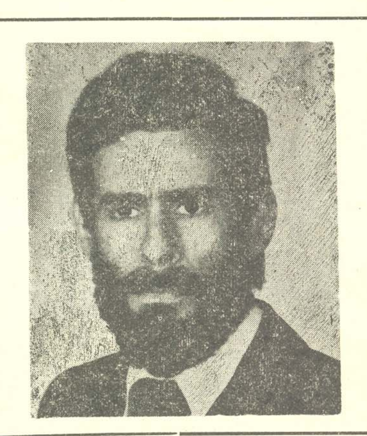
حركة النقد الأدبي المغربي الحديث



ولد بفاس سنة ١٩٤٧ نشر نتاجاته النقدية في الجرائد المغربية والمجلات العربية أسهم في تحرير صحيفة - الشعب - الاسبوعية .. وسنة ١٩٧١ أصدر صحيفة أدبية باقليم مكناس .

أحرز سنة ١٩٧٥ على جائزة اليونسكو في مباراتها التي دارت حول وضعية المرأة .

يوالي النشر والتعريف بالادب المغربي في - الاديب - و - الموقف الأدبي - .

اجرى الحوار العربي بنجلون

لالقاء المزيد من الاضواء على الحركة النقدية الادبية الحديثة بالمغرب ، أجرينا حوارا مع مجموعة من الادباء هم :

١ - عبد الرحيم مودن : من مواليد ١٩٤٨ خريج كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس ١٩٧١ وحاصل على شهادة الدروس المعمقة في النقد ١٩٧٨ من كلية الاداب بالرباط . نشر سنة ١٩٧٦ مجموعة قصصية تحت عنوان - اللعنة - ويوالي نشر نتاجه الادبي بالجرائد والمجلات المغربية .

٢ - ادريس الصغير : ولد سنة ١٩٤٨ من خريجي كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس سنة ١٩٦٩ اصدر سنة ١٩٧٦ مجموعته القصصية - الكلمات الزرقاء - ، كما يساهم بانتاجه الادبي في الجرائد والمجلات المغربية والمشرقية .

٣ - د . ابراهيم السولامي : ولد سنة ١٩٣٨ . نال الاجازة في الادب بتقدير - جيد جدا - من جامعة القاهرة عام ١٩٦٠ . ثم شهادة الادب المقارن ١٩٦٣ ، والدكتوراه ١٩٧٣ .

في سنة ١٩٦٨ أحرز على الجائزة الاولى لوزارة الشبيبة والرياضة في المباراة الوطنية التي دارت حول الادب المغربي ، وترجم مع د . محمد برادة رواية - الخوف - لستيفان زفايج سنة ١٩٦١ ، كما صدر له حتى الان مجموعة شعرية بعنوان - حب - ١٩٦٧ ، ودراسة - الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية - ١٩٧٤ ، وكتاب - تاملات في الادب المعاصر - ١٩٨٠

٤ - مصطفى يعله .. أبصر النور عام ١٩٤٥ ، أحرز على الاجازة في الادب العربي سنة ١٩٦٨ ، وشهادة استكمال الدروس سنة ١٩٧٥ ، ويحضر الان أطروحة جامعية عن الفن القصصي المغربي وله مجموعتان قصصيتان هما - انياب طويلة في وجه المدينة - صدرت عام ١٩٧٦ ، و - دائرة الكسوف - التي اصدرها اتحاد الكتاب العرب بسورية ١٩٨٠

٥ - مصطفى أجماهري : من مواليد ١٩٥٢ . عمل محررا صحافيا بقسم الاخبار في الاذاعة المرئية ومراسلا اخباريا في اذاعة - البيضاء - . ثم محررا اداريا في مؤسسة شبه عمومية بالجديدة .

ينشر نتاجه الادبي بصحيفة - اوراق - ومجلة - اقلام - المغربية . وسنة ١٩٧٨ اصدر مجموعة قصصية موسومة ب - أمواج -

١ - أثر النقد في تطور القصة المغربية

- ظهور القصة المغربية في شكلها الحديث يرتبط برافدين : الاول عربي الثقافة ، افرز قصاصين تمرسوا بكتابة قصص تدعو الى الجهاد لانتشال الوطن من براثن الاستعمار خلال مرحلة الحماية ١٩٣٧ - ١٩٥٧ ، منها - عذراء المرية - ، - عجائب الاقدار او عواقب الاصرار - لمصطفى الغرباوي ، و- عمي بوشناق - لعبد الرحمن الفاسي ، و - شقراء الريف - لعبد العزيز بنعبد الله ، و - افراح ودموع - ، - صور من حياتنا الاجتماعية - ،

– ربيع الحياة – لمحمد الخضر الريسوني ، فضلا عن قصص احمد بناني ، امنة اللوه ، مليحة الفاسي • علاء الجامعي عبد المجيد بنجلون ، عبد الكريم غلاب •

والثاني غربي الثقافة ، يتمثل في تطلعاتنا الى الادب الغربي بدراميته وتجريبيته المتأثرتين بالاجناس الابداعية ، الاخرى ، كقصص محمد ابراهيم بوعلو • أحمد المديني • ادريس الخوري محمد زفزاف •

ترى ماهو دور النقد في اثراء هذه الحركة القصصية التي تمتد من ١٩٣٧ الى ١٩٨٠ ؟

– عبد الرحمن مودن :

– علاقة النقد بالقصة القصيرة موضوع يحتاج الى وقفة طويلة قد لاتتسع لها هذه الاسطر القليلة • لنبدأ من البداية •

تاريخيا : أ – انطلاقا من العشرينات ، لم يكن بالامكان الحديث عن كتابة نقدية بمعناها العلمي – النقد كأسس وقواعد تستوعي من مجموعة من المصطلحات والمفاهيم التي تحتاج بدورها لمنهج المناهج – أو بعبارة اخرى كانت – الكتابة النقدية – التي حفلت بها صحيفة – السعادة – لاتخرج عن اطار وصفي بسيط يحلل الشوارد اللغوية ، والجوانب البلاغية ، والحيل التعبيرية المعروفة المنتمية – للعصر الذهبي لمرحلة الانحطاط – على حد تعبير احد الكتاب المعاصرين •

ب – الوجه الاخر للقضية يكمن في انعدام الابداع الادبي ان صح التعبير ، او بعبارة أخرى انعدام الاجناس الادبية الحديثة – قصة – مسرحية •• الخ – نظرا لان الساحة الثقافية لم تخرج عن اطار ثقافة الفقيه الذي يشتغل بعلوم الشرع من جهة ، ونظم القرية كوجه من وجوه الثقافة التقليدية من جهة أخرى – لم يكن الشعر في الواقع الا رافدا من هذه الروافد التقليدية ،وفي احسن الاحوال لم يتجاوز لحظة التنفيس والتفريج عن الكربة بمنجاة الغصن المياد والخد المتورد – •

ج – موقف هذه – الكتابة النقدية – نقدية تجاوزا •• كان عدائيا بالنسبة للاجناس الادبية الجديدة ويدخل في ذلك ايضا الفنون الجميلة – الرقص والغناء والموسيقا – ويرجع ذلك الى سيطرة الماضي من جهة ، والايمان بالموروث الثقافي كمثل اعلى من جهة ثانية ، واعتبار الاجناس الادبية الجديدة كعنصر دخيل من جهة ثالثة •

قد لانستغرب لهذه المرحلة – مرحلة العشرينيات – بظواهرها الثقافية الشاذة ، ولكننا نستغرب بعض – المواقف النقدية المتقدمة – في اواخر الثلاثينات ومرحلة الاربعينات وما تبعها من مراحل زمنية اخرى الى حدود مشارف الاستقلال • بالقاء نظرةسريعة على الصحف والمجلات الصادرة انذاك ، نجد التنوع الخصب لقضايا النقد وظواهره المختلفة ، ولعل كتابة عبد الكبير الفاسي وعلال الجامعي وسعيد حجي في مجلة – المغرب – و – جريدة المغرب – في اواخر الثلاثينات وبداية الاربعينات تؤكد هذا التنوع الخصب في الميدان النقدي ، وسنستغرب مرة أخرى نموذجا اخر يعد من اكبر العلامات في ميدان الثقافة المغربية ، وهو عبد الله ابراهيم ، يكتب في ١٩٤٠ ب – جريدة التقدم – المقال التالي الذي اقتطف منه هذه الفقرة : – اتجاه جديد في ادبنا اصبح يجنح الى القصة بدافع التقليد او بدافع الشعور لحاجات الساعة ومهما يكن من شيء ، فالمحاولة في اصلها الاول ترمي الى اعطاء تعبير ادبي عن احساسنا وظروفنا الحاضرة ••• – ان الحديث في القولة السابقة يدور حول فن القصة التي كان الادب المغربي في اشد الحاجة اليها لتطعيم جسده المنهوك بثقل الماضي • لو حاولنا عقد مقارنة بين مرحلة الثلاثينات والاربعينات والخمسينات وبين المرحلة الحالية انطلاقا من الستينات • البداية الفعلية للقصة المغربية •• أقول لو حاولنا عقد هذه المقارنة فاننا سنصاب بخيبة امل ناتجة عن البون الشاسع بين المرحلتين :

١ – سابقا – المراحل المذكورة اعلاه – كانت الرغبة المحمومة التي استبدت بالنقاد والكتاب تدور حول تأسيس فن قصصي جديد يستفيد منه الشرق اولا ثم

كما اود ان انبه السيد النساج الى ان محمد الاشعري شاعر وليس قصاصا . واقتصر على هذين المثالين ، لان هناك اخطاء كثيرة من هذا القبيل لاسبيل الى التطويل في حصرها . انما ينبغي الا يفوتني ان اذكر ان عملية التصنيف يجب ان تؤخذ ببعض الحذر في نقطة دقيقة وحساسة خصوصا اذا تعلق الامر بباحث سائح وليس مقيما . ولعل الادباء المغاربة سيبتسمون اشفاقا عندما يقرأون هذا التصنيف : « والدراسة النقدية لنصوص القصة القصيرة دون اسقاطات خارجية تكشف عن وجود اتجاهات ثلاثة . اولها تمثله كتابات خناثة بنونة ، وعبد الجبار السحيمي ومحمد زفزاف ومحمد ابراهيم بوعلو ومحمد زنيدر . وثانيهما تجسده قصص ادريس الخوري واحمد المديني ومحمد الهرادي وابو يوسف طه ومحمد عز الدين التازي . وثالثهما يقترب من التبلور والتشكل في بعض قصص مبارك الدريبي ، ومحمد برادة ومصطفى المسناوي » .

وانني لاتساءل : على اي اساس نضع في شلة واحدة كلا من خناثر والسحيمي وزفزاف ... وفي شلة اخرى نضع الدريبي وبرادة والمسناوي ؟ الم اقل ان الادباء المغاربة سيبتسمون اشفاقا ؟

على كل حال ان هدف تلك الملاحظات هو الاشارة فقط الى ظاهرة الاهتمام التي تلت ظاهرة الاهمال . لكن يبدو اننا كما سلخنا زمنا نشتكي من اهمال الادب المغربي من طرف الاخوة في المشرق العربي نحتاج الى وقت طويل لنتخلص من امتعاضنا مما يكتب عن ادبنا بشكل غير سليم .

النقد وادب الشباب

تطفح الساحة الادبية بكتابات شابة سواء في القصة او في الشعر لكنها تواجه باللامبالاة من قبل النقاد . كيف يمكن تفادي ذلك في نظركم ؟

مصطفى جماهرى

ان تكريس مثل هذه الممارسات للاسف يجعل النقد مطبوعا بأقبح ظاهرة وهي ظاهرة الفئوية . ورغم ذلك يجب الاعتراف بكل اعتزاز فان الشباب لايجدون غضاضة في نقد كتب – الكبار – ويحاولون تكسير طغيان هذه النزعة الفئوية البغيضة . وكانت النتيجة ايجابية اذا اطلعنا على دراسات نقدية جيدة ، وعلى سبيل المثال الدراسة النقدية التي كتبها الياس ادريس حول مجموعة « الهواء الجديد » لمعهد زينبي في مجلة المدينة (عدد ٤–٥) والدراسة النقدية الشاملة التي أعدها صدوق نور الدين حول المجامع القصصية والروايات التي أصدرها محمد زفزاف .

وبالنسبة للموقف الثالث فهو موقف سلفي وان كان بعض دعاة هذا الاتجاه يعتبرون أنفسهم – عن قناعة خاطئة – من أكبر مناهضي السلفية وبذلك فالذين يصدرون عن هذا الموقف ، يصدرون عمليا عن احساس عاطفي أكثر منه اعتقاد مبدئي وفكري ، فهم ينكرون الخلف ، ويعتبرون حركة النشر التي أقدم على خوض غمارها الادباء الشباب مغامرة في غير محلها .

ورواد هذا الموقف الثالث يغالطون أنفسهم أكثر من تصورهم بمغالطة القراء ، وذلك لسببين :

أولا : أن هؤلاء لم يصلوا بعد الى المستوى الابداعي الذي قد يسمح لهم باصدار أحكام نهائية حول أدب الشباب .

ثانيا : أن من باب تحصيل الحاصل القول بأن تجربة في البداية لايمكن أن ننتظر منها الكمال .

ولذا فان التصدي للشباب بطريقة عنيفة ومشبوهة أمر أدعى للنفور ، وقد فطن الدكتور عبد اللطيف أطيمش الى هذا حين عرضت عليه مجلة الطليعة الادبية القيام بنقد بعض قصائد الشباب ، اذ قال : « ان مزيدا من عنف اللهجة مدمر ، ومزيدا من المحبة والثناء مدمر وان لنا بين هذين البابين هدوء اللهجة وطيب النوايا » .

ولكن أهم الافات التي تطبع الساحة الادبية وتزيف حقيقة الادب والنقد هي اثنتان :

١ – غياب النقد بمفهومه الموضوعي وافساح المجال لمجرد قراءات – تعريفية – يطبعها الارتجال والتعاطف ومبنية على العلاقات الشخصية .

٢ – انصباب الناقد على شخص الاديب ليس في اطار الاثر الادبي وانما فقط لذاته وفي اعتقادي أن النقد مازال لم يؤسس أرضية صحيحة لينطلق منها ، وستبقى

عندما يتحول النقد الى صراع

– الدراسات النقدية قليلة ٠ والسبب يعود الى حلقتين مفرغتين ، اثارهما عبد الرحيم مودن في جوابه ٠ الاولى تتجلى في كون الادباء الفوا ان تمجد ابداعاتهم ودرجوا على ان يكون مرمى النقد مديحا واطراء لاذما او قدحا ، كما ان النقاد فهموا ان النقد ابراز المثالب ، وشهر السلاح في وجه المشرق وهذا ماتعكسه الحلقة الثانية ٠

– ادريس الصغير :

الحلقتان معا خلقتا صراعا نقديا ؟

لا اتفق على تسمية مايحدث في الساحة الادبية عندنا بالصراع النقدي ، لعلني سأكون متحمسا اكثر لتسمية بالخصومات حتى دون ان انعتها بأنها ادبية او نقدية ، انما في نظري خصومات تضع على وجهها « قناع » النقد لتخفي الدوافع الرئيسية والمسببات الحقيقية لهذه الزوابع التي اعمى نقعها المتخاصمين ، قبل ان يعمينا كقراء ، فاستلوا سيوفهم ولوحوا بها ذات اليمين وذات الشمال ، مكان الضحية هو النقد نفسه ٠

ان النقد كيفما كان المنهج الذي يتبناه ، يجب ان ينصب على العمل الابداعي ، واذا كان الصراع الايديولوجي والادبي ٠٠ شيئا طبيعيا في مرحلتنا التاريخية ، بل يمكن اعتباره ظاهرة صحية حيوية ، فان من الطبيعي ان ينعكس ذلك على الحياة الثقافية برمتها ، والخطأ في نظري يأتي من ان هذا الانعكاس يحدثبطريقة منفعلة بعيدة عن كل منهجية وبحث علمي بمعنىان الصراع يجب أن يحدث على المستوى المعرفي مستخدما أدوات علمية ومنهجية وان كان ينطلق من رؤى ايديولوجية معينة ٠

خصومات المتخاصمين ، تسقط منذ السطور الاولى في النبش والقدح المنفعل بزعيق ، يكيل فيها الطرفان لبعضهما تهم الجهل ٠٠ وتناول – قضية – في عمل ابداعي لايحدث الا لماما وبطريقة مبتسرة تضيع وسط الصياح واللغط ، لكن وسط هذه الحرب الضروس ، يمكن ان نحلل الظاهرة ونضع ايدينا على نقط الاشكال في « النقد المغربي الحديث » ولعل القضية التي ستبدو بارزة اكثر من غيرها هي قضية المنهج ، كثيرا ما اثيرت هذه النقطة في تلك الخصومات نفسها ، وكثيرا ما اثيرت في اللقاءات التي ما هي الا الوجه الشفوي للخصومات الكتابية ٠ وكان المتحاورون يفشون عجزا كبيرا في الحديث عن المنهج كنظرية ، مما يدل على غياب الاستيعاب ، ثم انهم يتهيبون التطبيق على الابداعات المنشورة ، وكثيرا ما عللوا عزوفهم عن التطبيق بسبب هبوط مستوى الابداعات ، مستدلين على أن كبار النقاد خلقوا بفضل كبار الكتاب ، وفي استجواب اجرته مجلة ثقافية مغربية قال احد النقاد : الناقد فلان يذكرني برولان بارت وفلان يذكرني بكولدن ٠٠ وانا اتساءل كيف اصبح عندنا بارت وكولدمان دون ان يكون عندنا حسب الادعاء السابق – كتاب كبار ؟ لايمكن في نظري ان نشهد حركة نقدية صحيحة ولا حتى ارهاصاتها ، مادام النقاد عندنا يتعاملون مع النصوص الابداعية بدافع الصداقة والقرابة ٠ فليس صدفة ان بعض النقاد عندنا اصبحوا متخصصين في الكتابة عن اسماء بعينها٠

ان تقييم الحركة الابداعية في المغرب ينطلق في نظري من جانب احادي خاطىء يحد مسبقا ٠ هذا عمل ناجح يجب دراسته وبالتالي فهو يدفع بالحركة الابداعية الى الامام ، وهذه عمل هابط ردىء يعوق تقدم الحركة الابداعية ، اذن يجب اهماله ٠ في نظري ان كل ما يكتب سواء اكان ام رديئا يسهم في التطور ان الاعمال الرديئة لاتقف حجر عثرة في سبيل الابداع الجيد ، لان الساحة الثقافية اكثر قدرة على الفرز واسقاط كل فاشل متعلق بحركة الابداع بتطفل ان الاعمال الفاشلة تثير كثيرا من – القضايا – الفنية اساسا بكامل الوضوح ومن ثم تهدينا الى مكامن الضعف في الحركة الابداعية واذاكانت قضية التنظير كثيرا ما اثيرت فان المبدع في نظري ينظر من خلال ابداعاته ، ومنها اساسا يجب الانطلاق لتأسيس حركة نقدية ٠

المنهج النقدي عند ابراهيم السولامي

يتبدى من خلال كتابكم « الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية » وكتاباتكم عن قصص مصطفى يعلى وعبد الرحيم مودن وادريس الصغير ، فضلا عن شعر محمد الحبيب الفرقاني ومحمد بن ابراهيم المراكشي ، أن لكم منهجا نقديا لايحيف ولا يحابي ، وينال تقديرا كبيرا من قبل الادباء كافة ·· خلاف المناهج النقدية الاخرى، التي اما ان تسمو بالعمل الابداعي الى الاعلى ، او تنزل به الى الدرك الاسفل ، هل لكم ان تحدثونا ولو بايجاز ، عن منهجكم النقدي ؟

د · ابراهيم السولامي :

على الرغم من ان سؤالكم منصب على الجانب النقدي في كتاباتي ، فان بالمقدور ان نقسمه قسمين : احدهما يتعلق بالجانب النقدي في كتابي عن الشعر الوطني المغربي ، وثانيهما بالنقد في مقدمتي كتابي عن الشعر الوطني المغربي ، وثانيهما بالنقد في مقدمتي كتابي « انياب طويلة في وجه المدينة » لمصطفى يعلى ، و « اللعنة والكلمات الزرقاء » لمودن والصغير ·· وذلك لان النقد الوارد في هذه الكتب مختلف اختلافا نسبيا ، فالكتاب المذكور دراسة جامعية وان شئت اكاديمة ، والنقد الوارد فيها تتويج لتتبع موضوع معين جمع بين انفار من الشعراء اختلفوا في السن والثقافة والتمثل والرؤية للحياة والناس والفن فتعميم النقد على انتاجهم يتناول بالضرورة ماهم فيه مشتركون او مختلفون ، والا فأن لكل واحد من اولئك الشعراء ميادين اخرى قد لايشترك فيها مع غيره ، كما ان له خصوصياتهم في التجلي او الاخفاق ·

وفي الدراسات الواسعة ، مثل التي نحن بصددها يحاول الباحث الناقد انّ يخلص الى تقويم عام للفترة المدروسة في جوانبها الادبية والفكرية والحضارية بغية تكوين رؤية عامة تكون بؤرة تتجمع عندها كل الاشعة المتفرعة عن الموضوع ·

اما مقدمتا مجموعتي يعلى ومودن والصغير وغيرهما من الدراسات التي توجد بين دفتي كتابي الاخير «تأملات في الادب المعاصر » ، فشأنها يختلف ، لان بها اراء نقدية تكونت من قراءة متأنية لانتاج قصصي – على الخصوص – معاصر ، مازال يملك سخونة المعايشة والعناء · واصحاب هذه الكتب اصدقاء اعرف عنهم الكثير ، واتتبع بشغف مايبدعونه من انتاج قصصي متطور لانهم جميعا في مرحلة العطاء الخصيب الواعد بالمزيد من التوفيق · لذلك كانت كتابتي النقدية لهم مشاركة وجدانيةوعقلية وتجاوبا صميميا لما كتبوه وان بدت فيه بوادر اختلاف في المضامين او في الجوانب التقنية ·

لكن ، لا النقد الذي قرأتموه في كتابي الاول ولا الذي قرأتموه في كتابي الاخير يمكن ان يدعي خروجه عن الاتجاهات النقدية في عصرنا وان لم تبد فيه ملامح اتجاه معين أي ان العملية النقدية هي حصيلة تكوين ثقافي ووعي حضاري ومزاج ذاتي ، ولن يستطيع اي ناقد الخروج عن هذا المسار الا النقاد العباقرة وهم نادرون في كل زمان ، اما بالنسبة لي فانني لا أدعي انتمائي الصريح لزمرة النقاد ، وان ولجت دنياهم احيانا ولوج المتسللين على استحياء بله ان اكون مبدعا لاتجاه نقدي خاص ·

الادب المغربي في النقد المشرقي

في بداية الحرب العالمية الثانية ، اصدر الاستاذ عبد الله كنون كتابا قيما موسوما بـ – النمو المغربي في الادب العربي – تكميلا للدراسات المشرقية في الادب العربي ولم يتطرق الى المغرب ولو بكلمة ، وفي طليعتها « الادب العربي » لاحمد حسن الزيات ، ويشأ التاريخ ان يعيد الشيء نفسه في كتاب اخر لاحسان عباس هو « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » غير ان اخواننا الادباء في الشرق العربي شعروا بضروة الاهتمام بادبنا المغربي الوليد فبرزت عدة دراسات عن القصة والشعر والرواية · هل لهذه الدراسات والنقدية بالاخص اثر في توجيه الادب المغربي ؟

مصطفى يعلى

ان شكوى المغاربة من عدم اهتمام الاخوة الشرقيين بالادب المغربي هي شكوى قديمة ، لعلها تعود الى زمن « هذه بضاعتنا ردت الينا » لكنها في العصر الحديث اتخذت حجم الظاهرة ، سواء لدى جيل المحافظين (انظر تمثيلا فاتحة النبوغ المغربي) او لدى جيل الشباب بشكل اكثر حدة ٠

وفي الواجهة ألاخرى فقد كثر في ايامنا هذه تهافت ملحوظ من بعض الاشقاء العرب على الادب المغربي خاصة ، فكثرت الكتابات عنه على مستوى الكتاب والمجلة والصحيفة ٠٠ وهي ظاهرة صحية تثير الاعجاب ، لكنها ايضا تثير الشك من الناحية العلمية بسبب نوعية هذه الكتابات اذ اصبحنا بالنسبة لبعضهم كقارة كانت مجهولة تكتشف لاول مرة او كما كان احدهم « التراث العربي في المغرب منجم » ويبدو انه اكتشف فجأة ٠٠٠ وهكذا كثرت الاخطاء المسفة وكثر التشويش غير المقصود في اكثر الحالات ٠ وهنا نتذكر مسؤوليتنا بسبب صمتنا وتأخرنا عن دراسة قضايانا الادبية على اوجه جدية ومقنعة ، باعتبارنا اكثر الناس فهما لادبنا ولبيئته لمعايشتنا له ولميادينه الحياتية والفكرية ، بعيدا عن اية شوفينية وانغلاق اقليمي ٠ وربما كانت هذه القناعة هي التي تقف اليوم وراء توجه الشباب المغربي الدارس الى اختيار الموضوعات المحلية لبحثها في اطار الشهادات الجامعية العليا ٠ وبما ان المجال لايسمح لرصد معظم الكتابات التي يمكن الاستشهاد بها هنا فأنني سأقصر حديثي على نموذجين اثنين كعينة بليغة « بالمعنى السلبي »

لقد اصدر السيد محمد الصادق عفيفي في بداية الستينات كتابا بعنوان « القصة المغربية الحديثة » واقل ما يمكن ان يقال عنه انه جمع وتلخيص لبعض القصص المغربية القصيرة المبعثرة في الجرائد والمجلات والمجاميع القصصية المغربية واسقاط المقاييس فنية تقليدية عليها ، مستفيدا ـ بشكل مدرسي مبتدىء ـ من تنظيرات مصطفى الساعاتي ، ورشاد رشدي ويوسف نجم ، ومحمود تيمو ٠ لذلك جاء الطابع العام للكتاب سياحيا مسطحا قد يفيد في ترويج الاسماء المغربية وبعض الانتاج المغربي في الاقطار العربية الاخرى ٠

وبالمناسبة فانني غير مقتنع تماما بقضية التلخيص عندما يتعلق الامر بالقصة القصيرة ٠ احد اسباب ذلك يكمن في السؤال التالي : هل يمكن تلخيص قصيدة شعرية ؟

ثم ان الكتاب اصلا عن « القصة المغربية الحديثة » فما تفسير ضمه الى ثلاث مسرحيات هي « انتصار الحق بالباطل » لعبد الخالق الطريس « وشيخ القرية لعبد الله شقرون » والطاحونة الحمراء : تمثيلية اذاعية لعبد القادر السميحي ؟ هذا علاوة على كثير من الاسماء التي وردت في الكتاب مع انها لم تجرب حظها في ميدان القصة القصيرة سوى مرة او مرتين ٠ فمن يعرف من المغاربة ان ادريس الجاي وعبد الرحمن السايح مثلا يكتبان القصة فبالاحرى ان يمثلا تراثا قصصيا جديرا بالدراسة والتصنيف ؟

والنموذج الثاني نجده لدى الدكتور سيد حامد النساج ٠ فقد اصدر كتاب « الادب العربي المعاصر في المغرب الاقصى ١٩٦٣ الى ١٩٧٥ » في اخر السبعينات ٠ ومن المؤسف اننا افتقدنا في هذا الكتاب الشخصية المتزنة للنساج التي عرفناها في كتابيه القيمين : تتطور فن القصة القصية في مصر و « اتجاهات القصة المصرية المصرية القصيرة » فقد بدى السيد النساج في كتابه عن الادب المغربي المعاصر بالغ الانفعال تحت ضغط قناعة ايديولوجية معينة ٠ لذلك تأثر اختياره للنماذج والحكم عليها ٠ فقد وزع الاطراء على من وافق ذلك المزاج الانفعالي بينما ادان البعض كمحمد زفزاف لخروجه عن دائرة تغذية ذلك الانفعال ٠

وقد وددت ان اهمس في اذن النساج ان « علال الجامعي ليس عنوانا لمجموعة قصصية ، بل انه اسم لقصاص وكاتب مغربي رائد ومتحمس ، كان ينشر قصصه ومقالاته خلال العقدين الرابع والخامس من هذا القرن ٠ اعبر عن رغبتي هذه لانني لاحظت النساج يكرر الخطأ في كتيبه « القصة القصيرة » سلسلة كتابك عدد ١٨ صفحة ٥٧ ٠

من الغرب عن طريق الشرق ثانيا ثم من الغرب بـدون وسائط ثالثا ٠

٢ ـ جوهر القضية يكمن في جوهر الفن ايضا ٠ او بعبارة اخرى : خلق تراث قصصي جديد متطور ينبع من واقع مغربي وبيئة مغربية ٠

٣ ـ القضايا المطروحة انذاك كانت تمثل قضايا الادب ايضا ، اي قضايا تمس الحياة التي تشكل عصب الادب ومحوره الاساسي ـ أشرت سابقا الى قضايا الالتزام التي ألح عليها عبد الله ابراهيم ، بالاضافة الى علاقة الادب بالحياة ، ثم تحكيم المقاييس الاجتماعية المرتبطة بالصراع في النص الادبي عوض اخضاعه لمقاييس اخلاقية واحكام مسبقة مستوحاة من الحلال والحرام ـ ٠٠

٤ ـ المرحلة الحالية انطلاقا من الستينات الى الان مرحلة لاتتجاوز مجموعة من الظواهر المرضية ٠ اقول مرضية نظرا لانه ماكتب وما يكتب لم يساهم ولو بشكل بسيط في تطوير واغناء التجربة الادبية عند المبدع تبعا للقاعدة المعروفة : ـ لانقد بدون ابداع ـ ، فالكتابة الادبية في كوكب والنقد في كوكب اخر ٠ نعم تخرجت افواج عديدة من الجامعات والمعاهد ، وظهر العديد من المبدعين في الساحة الادبية ، وبرزت نصوص متعددة في السوق ، وتوثقت الصلة بين المثقف والمناهج المستحدثة في الغرب ، وتغيرت الساحة الاجتماعية بافرازاتها اليومية المتعددة ، ولكن ٠٠٠؟ ظل النقد يدور في حلقتين مفرغتين ٠

أ ـ حلقة عدوانية : تكتلات وعصبة تضم العشيرة والسلالة والافخاذ والبطون ٠٠

ب ـ حلقة اخوانية : تضم المريدين والتابعين ٠٠

بين الحلقتين ، يبدع المبدع ، المبدع الحقيقي ـ ابداعه الذي ينطلق من ذاته ليعود اليها او بعبارة أخرى : ابداع المبدع الحقيقي يستمد ـ اكسير الحياة ـ من اخلاصه اليومي لعموم الكتابة ، الشيء الذي يؤدي به الى تطوير فنه ، وخلق اشكاله المتجددة ، وتقنيته المستحدثة النابعة من ضرورة اساسية يمليها هذا الاخلاص وذلك العمر ، وكأن الكتابة هي في الواقع تنظيم نقدي في حد ذاته مادام الحال هو الحال ، خاصة وانه استعمال هذه الحالات المرضية يزداد يوما بعد يوم ٠

ربما يبدو لك هذا الكلام هو حملة موجهة للنقد والنقاد ، غير انه عمق المسألة في رأيي يدور حول التساؤلات التالية :

أ ـ منذ الستينات الى الان مازلنا لم نؤسس نظرية متكاملة للقصة المغربية ، بل ان اعرق الفنون الادبية ـ الشعر مثلا مازال يفتقد ذلك ـ يمكنني تعميم هذه القضية على الابداع العربي الذي فشل في ايجاد اساس نظري أدبي ـ ٠

ب ـ كدليل على غياب النقد ٠ اقدم المثال التالي : نسمع كثيرا عن تيار السبعينات في القصة المغربية القصيرة ، ولحسم المسألة اضع العلامات التالية :

١ ـ وضع المسألة مغلوط من اساسه لان تيار السبعينات وجد قبل السبعينات من حيث الزمن كزمن ومن حيث الابداع كابداع ٠

٢ ـ هذا التيار لايشكل قطيعه مع مرحلة الستينات بل هو تطوير لها من جانب وتدمير لبعض اسسها الرثة من جانب اخر ٠

٣ ـ بقدرة قادر اصبح الناس يتحدثون عن تيار السبعينات بينما كانت الابداعات الجديدة ـ الخجولة ـ تظهر على صفحات أصوات بجريدة ـ العلم ـ منذ اواخر الستينات ، وكانت مؤشرا على تحول نهر القصة القصيرة نحو روافد اخرى ٠ ربما كان النقد في غياب او غيبوبة طويلة ٠٠ ؟ لست ادري ؟ لست ادري ؟

٤ ـ ان المبدع الحالي ، يبدع في ارض ـ خراب ـ وبالتالي فان ابداعه يحسم اشكالية الكتابة التي لم يتمكن النقد الان بظواهره المريضة من التغلغل في اتونها وعمقها ٠

كتابات الشباب بالتالي موضع اهمال • وكيفما كان الحال فان نقادنا مدعوون الى الالتزام بالنقد الموضوعي الذي يقف بين النقد الايديولوجي والفني • أي بين مستويات الواقعية والالتزام في النص الادبي وبين مستويات الصيغة الجمالية في التعبير السردي • وانه من باب المسلمات القول باستحالة الوصول الى حقيقة نقدية مطلقة •

كثر الحديث عن النقد وعن الازمة النقدية في المغرب الى الحد الذي أصبحت معه تأخذ باستمرار بعدا متزايدا • ففي الوقت الذي يدعي فيه بعض الكتاب وجود أزمةنقدية ينفي اخرون وجودها ويعتبرون أنها مجرد صراع زائف• وثلة أخرى ترى بأن أزمة النقد هي أزمة ابداع بينما بعض هواة كتابة المواضيع النقدية يرجعون سبب الازمة الى غياب الادوات النقدية القارة • والبعض الاخر يعزي ذلك الى غياب النقاد المقتدرين الموضوعيين وامتلاءالساحة الادبية بفرقة من النقاد السخرة أو من الادعياء •

وكل هذه الاراء فيها نصيب من الصحة ، ولكن السؤال المطروح هو التالي : هل الدراسات التي يكتبها أصحابها باسم النقد هي فعلا نقد أم شيء أخر غيره ؟

في الحقيقة ومن خلال عملية استقراء لما تحمله الصحف والمجلات ، نجد النذر القليل جدا من الكتابات التي يمكن اعتبارها نقدية ، بينما تظل الاخرى • فقط عبارة عن افرازات ذات خلفيات ايديولوجية واخوانية أكثر منها أدبية وفنية افرازات قد تؤدي أحيانا – وهذا ماحدث فعلا – الى تناطح لاينتهي بين كتابها ، وذلك لان لغة النقد عند هؤلاء هي أقرب الى القدح منها الى النقد •

في هذا الاطار كيف يمكن الحديث عن دور النقد في تشذيب كتابات الشباب أو كيف يمكن الحديث عن النقد وأدب الشباب عموما ، مادامت معضلة النقد عندنا تستفحل باتجاه صاعد ، ومادامت بعض أسباب الازمة لم تحل وما دامت كتابات الشباب بنفسها غير محددة المفهوم ، ولكن سنجازف بالقول بأن هناك ثلاثة مواقف يتخذها الكتاب ازاء أدب الشباب وهي :

١ – الموقف المحايد وهو موقف أغلبية الكتاب ، وهؤلاء لايأبهون بما يكتبه الشباب بصفة نهائية • وقد يقرؤون أحيانا كتاباتهم ولكن بالصدفة أو على سبيل الاطلاع •

٢ – الموقف الايجابي ويتخذه الكتاب الذين يتعاطفون مع كتابات الشباب ويحاولون توجيههم بوضع أصابعهم على مواقع الخطأ في كتاباتهم •

٣ – الموقف السلبي وهو الموقف الذي يتخذه بعض الكتاب الذين ينعتون كتابات الشباب بأنها – أدبركامي – و – كلام متشنج – و – محاولات تمريضية – •

هذه هي المواقف الثلاثة البارزة التي يتخذها الادباء المغاربة ازاء كتابات المؤلفين الشباب ، والجدير بالتسجيل أن الموقف الثاني الايجابي هو الذي يمكنه أن يأتي بفائدة عملية ليس فقطبالنسبة للكتاب الشباب وانها بالنسبة للادب المغربي عموما ، وقد عبر عن مثل هذا الموقف القاص محمد زفزاف وذلك بابداء رأيه في أي انتاج يقدم اليه واستجابته لجميع الاستفسارات التي توجه اليه مباشرة من طرف الكتاب الشباب ، ونفس الموقف يتخذه الدكتور ابراهيم السولامي الذي أبدى استعداده لدراسته أي ابداع يقدم اليه من أي أديبشاب

وهذا الموقف الايجابي ينبع في حقيقة الامر من معاداة أنانيةالمعرفة والايمان الكامل بمشاعية الثقافة من الشعور وبالمسؤولية التي يتحملها الاديب في أن يكون على الدوام في طليعة الموجهين •

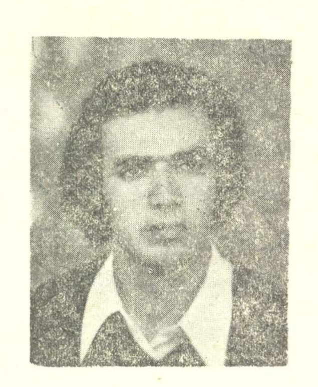
أما الموقف الاول فهو لايعدو في رأيي كونه موقفا سلبيا كذلك ، انما هو ليس موقفا عدوانيا ولكن سلبيته تظهر في أمرين : أولا أن هذا الموقف لايغني النقاش العلمي المفيد لان الكتاب الشباب سيظلون جاهلين تمام الجهل لاراء جزء هام من الادباء •

ثانيا أنه موقف صادر عن استعلاء لذواتهم واستصغار من شأن كتابات الشباب كما يقول الشاعر ابراهيم أبو سنة « بعض النقاد يشعر بانتقاص قدره اذا تناول بالنقد مواهب جديدة أو اهتم بأدب الشباب » •

وأمام هذه الحالة : هل يصبح النقد طبقيا ؟ أي أن الاديب – الكبير – لاينقد سوى ابداع الذين في صنفه ، والاديب – الصغير – لاينقد سوى ابداع امثاله• هذا دون اغفال اضافة الفوارق الايديولوجية بينهم •

مقدمات نظرية باتجاه

المسرح الذي نريد



ازداد بالدار البيضاء عام ١٩٤٨ .. ألف عددا كبيرا من المسرحيات ، ترجم بعضها الى الاسبانية ، كما ساهم بنتاجه القصصي ودراساته النقدية في - المحرر - ، وهو نائب رئيس اتحاد مبدعي مسرح الهواة بالمغرب .

اكويندي سالم

ـ ١ ـ

نعتبر هذه المقدمات مشروع أرضية لبلورة رؤيا واضحة نحو المسرح الذي نريد ، حيث كثر الحديث في الاونة الاخيرة عن ضرورة البحث عن اختيار مسرحي يستجيب لتقاليدنا وأصالتنا العربية الاسلامية بعيدا عن ربطه بالمناخ الذي يتحرك ضمنه مؤثرا ومتأثرا به في نفس الان ، ومن خلال فهمنا لهذه الجدلية والتي لايكون الواقع الثقافي الحالي والمسرحي على الخصوص الا التجلي الموضوعي لها .

ـ ٢ ـ

مما تقدم نجد أن المسرح من كونه ، يعبر عن تصور ومنظور للحياة وحيث وأن الانسانية لم تبدع الا تصورين للحياة ، تصور يضع في أولوياته الفكر على الوجود وأن واقع الانسان محدد به والثاني يعتبر أن الوجود الاجتماعي هو محدد وعيه ، والمسرح يعكس هذين التصورين كتكثيف جمالي للواقع متأثرا ومؤثرا فيه وفي تفاعل تام .

ـ ٣ ـ

ومن المنظورين الملمح اليهما أعلاه واللذين لايخرجان عن كونهما محددين لعلاقات انتاج معينة تحاول المحافظة على وتيرية هذه العلاقة واعادة انتاجها بشكل تكريسي لاستمرارية السيطرة في اتجاه مصلحتها أو في محاولة لتصعيد عملية التناقض في علاقة الانتاج هذه لتفجيره واحداث فجوة التغيير في عملية قطيعة بين ما هو كائن لتوليد يجب أن يكون بالفعل وكحتمية لصيرورة التاريخ في اتجاه الصراع الاجتماعي المفروض حتما .

ـ ٤ ـ

تبعا لهذه نجد أن المسرح في تصوريه : الا تكريسي أو التغييري وعلى امتداد خمس وعشرين قرنا عاكسا لهذه الجدلية المتحكمة في التاريخ البشري بفعل قانون الصراع الطبقي : فليس الاحتفال بآلهة اليونان هو الذي أوجد التراجيدية اليونانية لكنها علاقات الانتاج الزراعية

في مجتمع بدائي هي الاساس المحرك في جوقة الانشاد

وما التغييرات المحدثة في طبيعة هذه الدراما منذ تيلسبيلس حتى يوزيليوس الا الانعكاس الموضوعي للواقع الاقتصادي المتغير في بنية انتاج مجتمع زراعي بدائي لانمط مديني تجاري توج في الاخير بقانون صولون وتناحر اسبارطه واثينا الديموقراطي حيث كانت ديمقراطيتهم تدفع للمزيد من الانفتاح أمام تحويل المجتمع في قاعدته لتقبل الواقع الجديد - المدنية التجارية - والخروج من بنية قديمة متآكلة - نائعات أبولون - الى آله يوربيدس المنزلية من السماء في صراع أرضي لتتزوبع الكتيرا بالفلاح بدل التيهان في حلم الالهة لدى سوفوكلس ٠

- ٥ -

ان تماثل وتلاحم ثنائية الصراع التكريس-التغير في اطار التصورين المبدعين من قبل الانسانية هما المحمول الايديولوجي في عملية الصراع هذه والمعبرة عنها في الاطار الثقافي - **المسرحي كأفكار من أجل التمويه** فقط - لمحاولة استمرار عملية التكريس - الايهام ثم الاندماج لتحقيق التطهير الكاتارسيس في تنظير أرسطو للدراما الاغريقية في كتابه : - الشعر - والتي وجدت تناقضها ليس على المستوى الاقتصادي فقط انذاك بل في الاطار الايديولوجي نفسه (الفكري على يد زعيم المموهين) لدى يوربيدس كنقيض وفي وحدة ضرورية لمحاولة ضرب التكريس واتاحة فرص لتغيير ممكن في قوة طبقية تصارع بالفعل ، ومحاولة الانفلات من أسار الايهام ٠

- ٦ -

ان الواقع المسرحي والمتمرس على امتداد التاريخ البشري هو المعمول الفعلي في عملية الصراع والتي تشتد باحتداد الاصطدام وليس مجال الدراما الاغريقية الا مثال على حضورها الفعلي والقوي وفي غضون الفترة التاريخية المحددة للمسرح كتواجد للنشاط الانساني وكما هو الشأن في ماعبرت عنه مسرحيات الاسرار في القرون

الوسطى في اندغام الحكم الاكليروسي ، وفي فواجع العصر الاليزابيتي والتحولات الرأسمالية في القرن التاسع عشر ، والتي لسنابصدد رصدها الان كتجارب مسرحية

ولكن كتشخيص لهذا النشاط ثم كتعبير عن واقع صدامي طبقي معكوس كايديولوجية طبقية متجلية بشكل واضح في الممارسات المسرحية تلك ، وفي هذا السياق فقط يمكننا فهم قولة لينين : لافن فوق الطبقات ٠

- ٧ -

ومن ذات القولة نجد بالفعل أن المسرح لم يولد الا جماهيريا وفي حضوره هذا يحقق تعبيره عن مضامينه الكبيرة اذ أن الجماهير هي صانعتها الحقيقي ، وفي انتفاء جماهيريته قد يتحول الى مادة معلبة وهذا ما لمس في تعليمية الجنرويت في القرون الوسطى ، لكن ، الاسلوب ذاته يبقى ايجابيا في مضامين جماهيرية ، وهذا هو الشيء الذي استفاده المسرح على يد برتولد بريشت عندما استطاع شحنها بفلسفة المستقبل والتي رأينا أن المسرح كتصور من أحد تصوريها للحياة ، وقد ربطها بروح العصر فجاءت محفزة على معرفة وفهم الحياه بشكل يدفع لتغييرها ، ومن هنا اكتسبت شرعية تواجدها لكونها تسير وفق سير التاريخ ٠

- ٨ -

وحيث أن فلسفة المستقبل ليستا لا تصور الجماهير العريضة صاحبة المصلحة في التغيير فان جماهيرية المسرح بالتالي لن تقوده الا لاعتناقها بل انها روح وفلسفة هذا المسرح ، بل ان تلك الفلسفة التي ليست الا أحد التصورين المبدعين من قبل البشرية لضرب الايهام والافتعال ولقول الحقيقة وكل الحقيقة للجماهير ، كما أن التصور الثاني للحياة يسير عكس هذا من حيث كونه تكريسيا وتبريريا لما وقع ويقع ، فانه بالضرورة منعكس بشكل أو بآخر في محاولة لتحييد هذا الفن وتركه طرحا فكريا فرديا ليس الا وخارج بنيته الاجتماعية كايديولوجية ، والتي ليست الا التجلي الموضوعي للاستغلال والحيف والتعمية والتمويه بوسائط فنية شتى تحت مسوح البحث عن أشكال وصيغ مسرحية ٠

- ٩ -

من كل ما سبق نستنتج أن المسرح نوع من النشاط

الانساني شديد التعقيد شكلا ومضمونا ، وحيث أن علاقات الانتاج في تغير مستمر تبعا لتغير وسائل الانتاج فان الاشكال الفنية ومضامينها تأتي بالضرورة متأثرة ومؤثرة فيها ، وكما اتضح لنا ، وبالملموس عند الاغريق الذين لم يستقروا في تراجيدياتهم على شكل ومضمون واحد لتغير وسائل وعلاقات الانتاج ، والشيء نفسه يلمس في مسرحيات الاسرار في القرون الوسطى التحالف بين رجال الدين والاقطاع وفي تناصر النبلاء والامراء في العصر الاليزابيتي في فواجع شكسبير وفي مسرح التغيير الاجتماعي عند ابسن وكورني وراسين الذين استلهموا روح عصرهم لارساء فن برجوازي لا بالمفهوم الحرفي للكلمة ، ولكن كتطور تاريخي للطبقة المفرزة في الاطار المتحول ـ وسائل الانتاج ـ ، لكن الثابت هو الاستغلال والتمويه ـ علاقات الانتاج ـ ، بحيث لم يكن المسرح الا الانعكاس الصادق لهذه التظاهرة المقامة في ملاعب التنس لايهام الجماهير الاوروبية بوجاهة ونزاهة شعارها : الحرية ـ الاخوة ـ المساواة • ولكون ثورية الطبقة البرجوازية بالقياس للاقطاع ، وفي ضوء التغييرات المبشره بها ، لكن جوهرها بقي هو استغلال هذه الجماهير واخفاء المزيد من الايهام لابراز بخل الاخر ونبله الى حد الاندماج بحيث لاتكون عملية الانتقاد الساخر والمرء الا جسرا لضخ مرشة للاغتسال والخلاص من الحقد الاجتماعي المشعور به نتيجة معاناة طبقية معاشة وبقوانين فنية موروثة منذ أن قنن أرسطو للمجتمع الطبقي الاول ، ويكون الخروج عند هذهالوحدات / القوانيم ، مدعاة لتجريم وتكفير مرتكبها كما حدث مع بييركورني أو كما اسقطت تراجيديات شكسبير من عدادها لتنعت به •

ـ ١٠ ـ

اذن كان من الضروري لاي نبت جديد في المجال الثقافي ـ الفني ، مادام انه تعبير جمالي مكثف وشديد التعقيد للنشاط الانساني الذي ليس الا وسيلة وعلاقة للانتاج ، من أن يكتسب مشروعيته وهو الشيء ذاته الذي عرفه عالمنا العربي لانه لايشذ عن ضوابط التواجد، الانساني وصراعه في متغيرات الاستغلال بحيث لم يكن اعتباطا أن يلجأ المبدعون العرب الى المقامة أو الخط كأشكال لمضامين فنية تزخر بالتعبير عن الشعور بمرارة الواقع وفي نفس الاطار يمكننا فهم باباتابن دانيالوالتي كانت نيلا من استبداد وحماقات حكم قراقوش في عهد صلاح الدين الايوبي ، ومتنفس للجماهير العربية من تقلبات العصر المملوكي ، حيث استغل الدين كقامع روحي ومحرم لاي ابداع انساني كان ، وليس في انعدام الحاجة الاجتماعية كضرورة لوجود الفن ـ المسرح هنا ـ، ولكن كتشويه لهذه الحاجة وتحريفها تحت مظلة الدين ، وهذا مالوحظ عندما أحرق مسرح أبي خليل القباني باسم الدين في حين أنه لم يكن يشكل في مضامينه أي مس بالدين ولا أي خطر على وجود الحكم العثماني بسوريا أنذاك ، وانما لكونه ملتقى لاكبر تجمع وحشد جماهيري•

ـ ١١ ـ

اذن القمع المسلط لم يكن ضد حمولة هذا الفن بقدر ما هو ضد الفرصة المتاحة لخلق تواصل فعلى بين الناس من حيث كونهم يشكلون تحت نيره نوابض تفجيره والانزلاق في لحظات هذا الخطاب الممتد كجسد لتطارح هموم يومية معاشة وبلورة حس جماعي في تطارحها هذا، وهنا تقتضي الضرورة أن ننبه الى أن أدوات القمع ليست بالضرورة المنع ـ الشرطة ـ السجن ، فقط لكنها تكون المسرح ذاته كشكل ومضمون لهذا الخطاب ـ التواصلي المحمول وتحصل عملية التفريغ بدل الشحن ولا نخرج عن القوانين المسطرة منذ أرسطو وهذا بالفعل ما يحدث ولا نكون في اختبارنا قد أضفنا جديدا لفهم ومعرفة اليات الواقع وبالتالي العمل على تغييره بقدر ما نكرسه ونبرره ، وذلك نتيجة التهافت على مقومة ـ الجماهير ـ أو ـ الشعب ـ ، التي تؤخذ ككل متجانس وبشكل كمي والمسرح ليس الا ملعبا أو مقهى أو لساحة أو مظاهرة لهذا الجمع وغير المنسجم بحكم الواقع الطبقي الذي تحدده علاقات انتاج غير متكافئة وبالاساس قيام ملكية وسائل الانتاج الفردية ، والا حكمنا على نظرتنا هذه بسكونية هذا الواقع وتوقيف التاريخ ، وهذا يكرس له علم الاجتماع البرجوازي جهوده حول مفهومه للشعب ككتل وتجمعات متجانسة وليس كطبقات متناحرة بفعل

الملكية الفردية لوسائل الانتاج الناشئة عنها ، والشيء الذي يؤكده جون دوفينيو عند تطبيقه لذكر في رؤياه للمسرح الاحتفالي ، ولا يصبح المسرح هنا خارجا عنكونه نظرة تكريسية وتبريرية لما وقع ويقع على مستوى الواقع المعاش ، وهذا كله هو محمول نظرية الايهام - الاندماج في المجال المسرحي ٠

- ١٢ -

اذا كنا رأينا أن مسرح أبي خليل القباني أحرق لا لكونه يحمل في مضامينه ما من شأنه أن يشكل خطرا على الحكم العثماني فان وجود الحكم العثماني الاقطاعي كاستعمار هو الموحد الاساسي للجماهير السورية ضده وما فرجات أبي خليل القباني الا فرصة لاتاحة اللقاء والتواصل في مجتمع استغلالي ينظر بتوجس للسكنات وتحركات مقموعية وعكس هذا الواقع هو الدافع لانتعاش مسرح أبي خليل قباني في مصر بانفتاح حكم محمد علي وابنه ابراهيم باشا تبعا لمقتضيات التأثير الاوربي أنذاك ويمكننا تلمس مثل هذه اللحظات في تاريخ المسرح المغربي كذلك ابان الاستعمار الفرنسي لكن ما أن اختفى هذا العنصر الموحد على الصعيد الوطني حتى تعرت بفوارق طبقية التي اقتضت بالضرورة حرس وحذر الطبقة المستفيدة من التركة الاستعمارية سياسيا واقتصاديا وبالتالي بلجم ما كان موصولا بينهما وبين الجماهير الكادحة على خشبة المسرح بانتفاء الاستعمار المباغت ٠

- ١٣ -

اذن العنصر الموحد وطنيا كان عنصرا خارجيا : الاستعمار ، كما أنه كان عنصرا تجزيئيا كتركه للواقع المعاش على المستوى القومي عربيا ، وهذا هو مرمى الاستعمار الاول لاستمرار ضبطه وتحكمه في منطقتنا العربية والتي تستوجب اعادة الترتيب التحرري مما هو وطني ليصب في القومي وبفهم هذه الجدلية يكمن تمررنا في واقع الهيمنة الامبريالية ، وفي غياب هذا التجديد تتيه منطلقاتنا التحررية في كثافة وتعقد عصر الامبريالية وهجانة التركيبة الطبقية المهيمنة في تعدد رؤى التحرر هذه ، الشيء الذي ينعكس بالضرورة كتكثيف جمالي للواقع على الساحة الثقافية والمسرحية بالخصوص بحيث يكون منطلق البحث عن صيغ وأشكال تعبيرية كتأسيس نظري في غياب تراكمات فعلية كقاعدة لهذا التأسيس ، بله قفزا لمراحله ومنجزاته ، الشيء الذي يوقع في منزلقات فكرية وأخطاء تربطنا ببرغي الامبريالية ونتحول من كوننا عصا في عجلتها الى دولاب من دواليبها ٠

- ١٤ -

من هذا المنطلق كان تفريقنا لاشكال وصيغ قديمة أفرزتها لبنى ومراحل اقتصادية متجاوزة بدعوى أنها غير معبره عن أصالتنا والاصل أننا لانرسي هوية بمفهوم شكلي في سلفي بقدر مانرمي الى وضع ثقافتنا - مسرحنا في اطارها التاريخي الذي هو مرحلة التحرر الوطني في منحى قومي اشتراكي في عصر مواجهة الامبريالية ومن هنا كان رفضنا للمقولات الداعية للاستفادة من أشكال جاهزة وذلك بالرجوع الى مسرح البساط والحلقة وسيد الكتفي والسامر والتعازي والزار ، أو الى شخصية البوهو ، جحا ، حربا ٠ لميسح ٠ كأشكال - وطنية قومية - تستجيب لوجداننا الشعبي وذلك باعتبارها افرازات لمرحلة اقتصادية - سياسية تختلف تمام الاختلاف عما تفرضه المرحلة الراهنة ٠ غير أن هذا لايمنع ٠ وبعد عملية التقصي والدراسة - من الاستفادة منها وهذه الاستفادة وجب أن تكون مشوبة بالحذر من السقوط في متاهة التبرير للانبهار ببساطة الشكل وسرعة التواصل المحقق وبشكل مموه اذ أن التواصل وعمليته مشروطان بشروط تركيبية الواقع الاجتماعي الاقتصادي ، وهذا التنبيه ضروري لكون العديد من التجارب المسرحية سقطت في فخ هذه البساطة وبالتالي في متاهة الانتقاء ثم التخلي عن جدلية الفكر والواقع ٠

- ١٥ -

من كل ما تقدم نجد أن شكل ومضمون المسرحية تحدده طبيعة العصر بحكم أن المبدع هو ابن عصره بالفعل أي أنه متفاعل فيه فلا يكون عمله الابداعي بالاساس الا انعكاسا لهذه التفاعلات ومن قمته نفهم كل التحولات الطارئة في بنية الدراما وتوجهها الى الاطار الملحمي في الاخير ، وبحكم الصراع المحرك

للواقع والتاريخ وبالتالي نقول ان عهد الاحتفال انتهى بانتهاء المجتمع الزراعي البدائي وأن روح الالهديونيسوس - باخوس - لم يعد لها أي أثر ومنذ يوربيدس وليس الان فقط ، كما أن اللامعقول مثلا لم يفرز شراسة الكاراتيلات واحتكارها بقدر ما جاء معبرا عنها في مدى عزلة وتمزق الانسان وتيهانه في البحث عن حلول فردية من منطلق الخلاص والرفض الانتقائي في دوامة عدم امساك خط الوضوح ولم يكن شكل ومضمون مسرح اللامعقول اختبارا في حدود البحث ، وانما انعكاسا لواقع الانسان في مجتمع أصبح فيه التواصل مستحيلا ولا تقوى ضم اللغة على تكسير كثافة بنيته التي هي في نفس سمك كثافة القهر والاستغلال المسلطين عليه وفي حدود الوعي بهذا يمكن الخلاص لا الشعور به فقط ٠ وحيث أن اللا معقول كشكل مسرحي جاء منسجما وعملية الشعور بالواقع المتولد عنه - لا الوعي به - فان معطاه المعرفي لم يتجاوز عملية الشعور ، ومن ثمة كان سقوطه في زخم حمولته الفردانية للخلاص ٠

* أكويندي سالم *

---

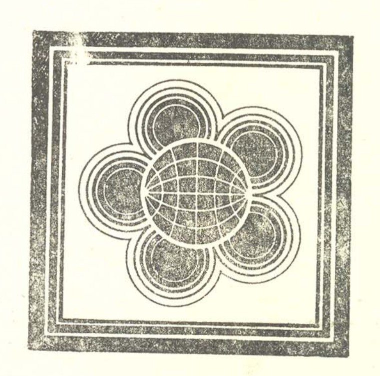
* ملاحظـــات : هوامش

١ - من هذه الفرصة التي يتيحها المسرح كعرض أمام حشد كبير من الجماهير انطلق سعد الله ونوس في محاولة تسييس الجمهور وذلك لانعدام هذا الجانب لدى الجمهور خاصة الجماهير العربية الشيء الذي كرس بعد نكسة حزيران لكن غاب عن سعد الله ونوس ان هذه الحشود لايربطها الا تلك الفرصة - العرض التي لايمكن أن تتحول بالضرورة الى تعويض عن عمل تنظيمي يقتضي بالضرورة الاداة : الحزب ، وفي أحسن الحالات لايمكننا الا أن نشعر الجمهور في هذه اللحظات بمتعة التغيير عن طريق تفتيت الواقع المركب والتوسل فنيا لديها - الجماهير - لمعرفته وتبقى الاداة هي القمينة بتعميق فهمه لكونها أداة نضالية سياسية في واقع سياسي ٠

أما عبد الكريم برشيد لايرقى الى هذا الفهم بل يكتفي بدفء الجماهير ليبرز أمامها الصراع التاريخي وتوحيدها حيث يفتقد عنصر التوحيد : عرس الاطلس ، ابن الرومي في مدن الصفيح-مسرحيتان -

٢ - انظر : مقدمة في علم الاجتماع وسيوسيولوجيا المسرح لجون دوفينيو ٠

٣ - انظر مداخلة د ٠ طيب تيزيني في مجلة الطريق العدد الخاص بالتراث العدد الاول فبراير سنة ٩ - ١٩ لمجد ٣٨



عن الكتابة والتجربة الحياتية

بقلم : الوفاق حسن

لطالما تقززت مما يكتبه ادباؤنا عن حيواتهم ·
ولطالما تألمت من أجوبتهم عن أماكن ولادتهم ، مدن سكناهم ، حالاتهم العائلية · اضافة الى صورهم · التي تتصدر مساحات متباينة من الكلمات ·

من المخجل للصحافة · أن توجه للمبدع سؤالا في – العمر – وكأنه عارضة أزياء ·

هذا درس يجب أن يلقن : ان حياة المبدع في أعماله ، وعمره ليس في جسده ، انه في روحه التي تبسط ظلالها على حياة الاخرين ·

ثم اذا كان عمر المبدع يشبه في بناء عوالمه أعمار جميع الناس – محكوم بالكم – فلنتساءل بكم يقدر عمر المتنبي؟
وأين يسكن · لوركا غارسيا ؟
وهل أشعار باباو نيرودا تخص انسانا في بيئة دون اخرى من عالمنا المتخلف ؟

وبكم يقدر أبناء دوستويفسكي من الادباء والقراء ؟
أنا الذي تألمت · يأتي دوري · لاكتب نبذة عن حياتي ·

أعتقد أن حياتي كما أريدها لم تتحقق بعد ، الحياة التي أصبوا اليها · توجد خارج العمر المعاش ·· ماوراء المسافة الزمنية المحصورة بين تاريخي الولادة العادية وموتها المسبق ·

ولادتي لم تحن بعد · وفي انتظار أن تعلن عنها لسعة ثعبان أو – زغردة – أفعى أحمل حزني المقدس داخلي ·كي أجنبه مجاملات الفرح الكاذب ·

كغيري من الناس · طرحت أمامي مشاريع مغرية وفكرت · ثم تساءلت : ما الهدف من حياتي ؟ · كان السؤال متخلفا نوعا ما عن تساؤل جاء فيما بعد : لم لاتكون حياتي تعرية للاخرين ؟ ·

– هل استهلك عمري جريا وراء تحقيق مكتسبات عادية
– هل أصبح عبدا · يقتل الجانب الروحي فيه · بأمر من سيده الاشهار ؟

– أم أجري وراء شبح امرأة · تشعرني أنني امتلك العالم · وفي الواقع لأمتلك سوى نزوة محكومة بالانطفاء

ربما بعض الزواحف تتلذذ بها أفضل مني ؟

أم أحمل القلم · جمرا في يدي ؟ · وأخلف سطورا يخاصمني بها التاريخ المختوم بالخاتم الرسمي · فأعيش مجادلا الزمان · بعد أن ينتهي العاديون ضحايا الاماني الرخيصة · وتبدأ حياتي المضادة لاعمارهم ·

مشروع حياتي اذن ، هو التمرد على تاريخ الموت ·لان ولادتي الفعلية تبتدىء بحضور الموت ·

لاجل ذا : اخلص لتجربتي البسيطة · أقرأ · أتعلم وأكسب مزيدا من العلاقات مع أحباب لايعرفونني · لكنهم يلتقون معي في المعاناة ، ويشاركونني الولادة · قبل البداية ، تعرضت لحالات مختلفة من المنفى ·

الكتابة اذن · جاءت نتيجة شعوري بالغربة في وسط عشت وأعيش فيه ·

ولغتي بدأت ، عندما استحال عليّ معرفة لغة أصغر فرد في هذا المجتمع الى أكبر فرد فيه ·

الكتابة نوع من النبوة ، الصبر الصادق في وعده أعطى للنبوة عظمتها · معجزاتها وتاريخها · أحيانا حتى الاعداء يخدمونك · يقدمون لك اكبر الخدمات ، دون أن يكلفوك كلمة شكر · اسمحوا لي أن أقدم لكل العاديين الذين أساؤا لي تشكراتي · لقد قضوا جزءا مهما من حياتهم البئسة في السخرية مني · واحتقاري ·

انهم مجرد عينات · تثير رغبة البحث في عوالم النفس البشرية ، التي سنظل مهما اجتهدنا · نجهل عنها الكثير ·

تطالبونني بصورة شمسية لاتعكس سوى الجانب الميت – في – · انها ظلال رمادية · معكوسة على ورق خاص · لذا أرفض أن تصبح ملامح موتي مفتاح العلاقة بكم ·

أريدكم أن تحيوا حياة الدم في عروقي · وأن يكون لقائي بكم · في مستوى حرارته وقناعته · وسلوكه مني ·

أريد أن يكون اللقاء بكم · في لون ورده الذي يتفتح في ربيع الجرح · أريدكم ،،، اريدكم · أنا مدين لمجموعة عوامل · ولبعض الرجال ، الرجال ·

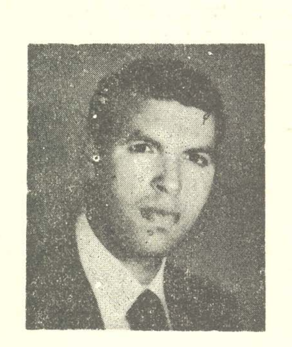
كم هي نبوة الكتابة صادقة وكم هم الكتاب صابرون وطيبون · انهم يأتون من القادم فيما أغلب النقاد يطلعون من الماضي ·

الوفاق لحسن

وادي الدّماء

بين الفنية والالتزام

« بحث في أدب المرحوم عبد المجيد بنجلون »



ولــد سنة ١٩٤٤ بالقنيطرة ، تعتبر – ناس بلا درجة – ، أول محاولة قصصية نشرتهــا له – العلم – سنة ١٩٦٨ توالى انتاجه القصصي ، حيث نشر أكثره بـ العلم الثقافي ، وبعضا منه بـ – المحرر – ، واخيرا أصدر في يونيه – حزيران – ١٩٨١ مجموعته القصصية الاولى – ويأتي بعدنا اخرون – ٠

محمد قنديل بعاير

حينما فكرت في الكتابة عن المرحوم عبد المجيد بنجلون كانت تتنازعني أفكار شتى وعواطف حيرى اتجاه الفقيد. فمنذ تلك اللحظة التي قرأت فيها الخبر المفجع وأنا أعزي النفس تارة بالعودة الى بعض فصول سيرته الذاتية – في الطفولة – التي كانت تهدي البسمة تلو البسمة الى شفتي المطبقتين وتجعلني أتخيل أن صاحبها مازال حيا يرزق وذلك لما اشتملت عليه من صور طريفة ســاخرة كانت تفيض الحبور والانشراح على صدري المثقل رغم فجاعة اللحظة وقسوتها ...

وتارة أخرى كنت أتسلى عن المصاب الجلل بالبحث عن المقالات التي كتبت عن أدب الفقيد – على قلتها – علني أجد فيها شيئا يقوي من رباطة جأشي ويعيد لي الثقة في القلم وآه من فقدان الثقة في القلم !

ان الباحث في أدب عبد المجيد بنجلون يلاحظ أن كتاباته قد تنوعت حتى كادت تشمل جل الانواع الادبية المعروفة ⊡

وهكذا فقد جمع بين فني الشعر والنثر ، وإن كان النثر هو الغالب كما وكيفا وبه اشتهر ككاتب لــه أسلوبه المميز له ٠

وأنا هنا لن أعرض لجميع مؤلفات الفقيد – لان المقام لا يتسع لذلك – وانما سأركز بالدرجة الاولى على مجموعته القصصية – وادي الدماء – لانها صادفت هوى في النفس، ولان كاتبها يتوفر على الادوات اللازمة لكتابة القصــة القصيرة ، ولانها – اضافة الى هذا وذاك – ترصد فترة مهمة من تاريخنا الحديث تلك هي فترة الاستعمار التي جوبهت من طرف المغاربة كل حسب مقدرته واستعداده بحركة نضالية جمعت ، الفكر والسلاح ...

طبعت مجموعة – وادي الدماء – وربما أول مرة بتاريخ – يوليه سنة ١٩٤٧ – في القاهرة – حسب المجموعة التي اعتمدت عليهــا – وتضم عشرة قصص هي على التوالي : – وادي الدماء ، الاسيرة ، غريب ، الفتى النساج صائد الاسماك ، عائشة ، اللحظات الاخيرة ، فتاة من باريس ، عينان في الظلام ، وشريد في الغابة – ٠

هذه القصص – في رأيي – يجمعها خط فكري متقارب يمكن تلخيصه فيما يلي وذلك من خلال قصة : – صائد الاسماك – ٠

أ – تفتتح القصة في الغالب بمقدمة يرسم فيها الكاتب جوا من الهدوء والاطمئنان الذي يسود منطقة من مناطق مراكش – المغرب – وكيف ينعم الناس بالطبيعة والحرية – منذ أربعين سنة وهو يعيش على هذا الشاطىء محترفا صيد الاسماك ٠٠ ان نفسه لتمتلىء نشوة لهذه الصخور المترامية وهذه الرمال – ٠٠٠

ب – حلول طلائع الاستعمار – الشـاطىء – وعدم الاهتمام به في البداية : – ٠٠٠ لقد رأى كل شيء ، وها هو يفكر ، انه ليخيل اليه أنه رأى جيشا من الصيادين في أسطول من القوارب يستعدون للشروع في الصيد – وأخيرا قال لنفسه : ليفعلوا فان من حق البحر أن يكثر فيه الناس كما كثروا في الارض – ٠٠٠

ج – تدخل الاستعمار ومنعه الاهالي من خيرات بلادهم :
فوجىء عباس الصياد وهو يصلي ذات يوم برجلين غريبين بجانبه ، منعه أحدهما من الصيد على الشاطىء والا حطم قاربه ٠ فقال عباس للرجل :

– ٠٠٠ اسمع ياسيدي كفى من هذا الهزل ماذاتريدان؟
– أقول لك انه يجب أن ترحل من هنا وتذهب بعيدا ، انظر الى الجانب الاخر ألست ترى الصيادين انه لايجوز لغيرهم أن يصطادوا هنا – ٠٠٠

د – انتقال الاستعمار من التهديد الى التنفيذ :
– ٠٠٠ وكانت دهشة عظيمة حينما أقبل اليه أحدهما وقصد الاخر نحو القارب ورآه يقترب منه ثم رفع معولا في الهواء وشرع يحطمه كما قال بالامس – ٠٠٠

هـ – رد الفعل من طرف المغاربة – المقاومة في أبسط أشكالها – ٠٠.فأسرع اليه ليمنعه ، ولكن الرجل دفعه في وجهه فرد عليه عباس – عباس قاهر الامواج بضربة ألقته على ظهره مشلولا – ٠٠٠

و – انتقام الاستعمار :

– ٠٠٠ تكاثر عليه الصيادون الفرنسيون ، وألقي عليه القبض وقضى بعد ذلك في السجن ستة شهور – ٠٠

ثم ينهي الكاتب القصة في الغالب بنوع من التفاؤل وازدياد الامل في الخلاص من ربقة الاستعمار ، وهكذا تنتهي قصة عباس الصياد بابحاره مرة أخرى في عرض البحر – حتى وهو يعيش لحظاته الاخيرة – على ظهر أحد القوارب الفرنسية التي ركبها خلسة :

– فأحس رجل البحر القديم بنفس المشاعر التي كان يحس بها حينما كان يركب البحر المائج في أيامه الذاهبة وبرقت عيناه فرحا واغتباطا – ونسي ما قاساه في أيامه الاخيرة – ٠

هذا هو الخط الفكري المشترك الذي تسير كل قصص المجموعة تقريبا في مساره مع مراعاة اختلاف الشخصيات والزمان ، المكان ، الحوار ، العقدة والحل من قصة لاخرى

وكأني بالكاتب وهو يكتب قصصه هذه كان يركز على هدف معين يضعه نصب عينه لايريم عنه ألا وهو تعريف المشارقة بقضية بلده وما يعانيه – المغرب – على يد المستعمر الغاشم من ويلات ومظالم مع التركيز في نفس الوقت على تصوير الاستعمار بحيله ودهائه وجبروته وقسوته واتخاذه جميع الوسائل بغية الوصول الى أهدافه حتى ولو أدى ذلك الى قتل الابرياء وحرمانهم من قوت يومهم ٠٠٠

ومن البديهي أنه يتضح لنا من خلال قصص المجموعة كلها أن المغرب كان مقسما في هذه الفترة بين استعمارين: الاستعمار الفرنسي في الجنوب ، وكان يتمثل في عدة أشكال : – جباة الضرائب – قائد كتيبة – اندريه – الالات الحديثة التي تحاول القضاء على الصناعة التقليدية المحلية ٠٠٠ الى غير ذلك ٠ والاستعمار الاسباني في الشمال ويتمثل في – حسب القصص – : قائد كتيبة – كولونيل في الجيش – بيدور سانتاجيو – ، جزار اسباني ٠٠٠

هذه باختصار هي المضامين التي تدور حولها قصص

المجموعة كلها ، وهي مضامين كما لاحظنا تغلب عليهـــا الصبغة النضالية التي كانت تميز تلك الفترة التاريخية وتكاد تطغى عليها ٠

ترى هل وفق الكاتب فنيا في عرض هذه المضامــين النضالية التي استعرضناها سابقـا ؟ أم أن تلك الفترة المهمة من تاريخنا لم تكن في حاجة الى فن بقدر ما هـي محتاجة الى نضال ومقاومة وايمان بالقضية وتحمس لها تغني كلها عن كل ابداع فني ؟٠

أما الالتزام فليس هناك شك في أن الكاتب كان ملتزما بقضايا وطنه مسايرا لما ينتابه من أحداث جسام تمثلت في تمزيق وحدة المغرب من طرف دولتين استعماريتين ٠

وقد امتطى لهذا الغرض ظهر الواقعية التـي أسلست له الزمام ، فجاءت جل قصص المجموعة موسومة بميسم هذه الواقعية الصارخة التي تشدك اليها منذ البداية ٠

فهل اكتفى الكاتب فـي واقعيته بملاحظته الواقــع وتسجيله ؟ وهل اعتمد على النقل المباشر من الحياة لدرجة تجعل قصصه صورا فوتوغرافية تنقصها لمسـة الفنان المبدع ؟٠

الواقع أن عبد المجيد بنجلون فـي مجموعته – وادي الدماء – كان يستقي مادته وموضوعاته من حياة الشعب المغربي ، ويخضعها لمحك الاختيار ، على اعتبار – أن كل فن اختيار – ومادام الكاتب يختار ففي استطاعته فنيـا أن يزيد على الواقع وينقص منه شريطة أن يبقى محافظا على صدقه ومعقوليته ، ومادام الامر كذلك فالكاتب هنا لم يكن ينقل الواقع نقلا حرفيا وبحذافيره ، بل كان يلجأ الى اللمسة الفنية حتى وهو يعبر عن جو مشحون واقعية فلا عجب اذن اذا توفرت قصصه على نفحات من الاسطورة والرمز وبعض الصور الرومانسية التي كانت تلون أسلوبه وتضفي عليه نوعا من التشويق بالرغم مـن غلبة السرد ووصف لما كان في الماضي وسيطرة الواقعية ٠

ولا ينبغي أن يفهم من الاسطورة الاسطورة الشعرية ، – لان الاسطورة القديمة لا تعني اليوم شيئا فـي نظر الرجل العادي ، ولا يحس باستجابة لها – ولكنهـا تلك الاسطورة العفوية الساذجة التي تتكشف في النهاية عـن رمز من الرموز الخالدة التي تجعل من – عائشة – بالرغم من موتها المحقق كائنا يمر كالبرق ممتطيا صهوة جواد يرف بين الاشجار ويزور القرية من حين لاخر ٠٠٠

وبعد فهل كان المرحوم عبدالمجيدبنجلون مقاتلابالكلمات على حد قول – هوشي مين – : – الاديب مقاتل بالكلمات٠

ما في ذلك شك ، لانه في الوقت الذي كان فيه المغرب يكاد يكون مجهولا من طرف المشرق لدرجة أنه كان يعرف بـ مراكش – ، وفي الوقت الذي كانت فيه الامية ضاربة اطنابها في بلادنا ، وكانت اللغة العربية كيتيمة في مادبة اللئام ، في هذا الوقت بالذات كان هناك أدباء يجاهدون بأقلامهم ، وقـــد كانوا يعرفون مدى فعالية الشـــرق في ترويج أفكارهم ونشرها حتى تعم الملايين من الناس ، لذلك هاجروا الى مصر وكان من بينهم عبد المجيد بنجلون الذي لم يكتف بطلب العلم فقط بل سخر قلمه لخدمـــة قضايا بلده وفي مقدمتها الحرية والاستقلال ، وشـارك مشاركة فعالة في تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة سنة ١٩٤٧ وكان كاتبه العام ٠

محمد قنديل بعاير

المراجـــع :

١ – مجموعة – وادي الدماء – المكتب الثقافي الدولي – جيزة

٢ – الادب ومذاهبه – الدكتور محمد مندور

٣ – فن الشعر – الدكتور احسان عباس

٤ – مجلة الاداب البيروتية –

حول مفهوم المسرح الثالث

المسكيني الصغير
وردة ابراهيم
حميد برودان

ربما أصبح لزاما علينا أن نحدد فهمنا المجيد الواعي لمسيرة المسرح المغربي عبر امتداد التجارب المتعددة التي عايشها المسرح الهاوي المغربي لذا سوف نفاجىء الغائب وندعو الحاضر الى المشاركة في طروحات ظلت تراودنا .

لقد كانت ضرورة التجريب والملاحظة .. والتجريب على جميع الصعد النظرية التي شملت مجالات الفعل الانساني على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي .

كانت اساسية من اجل موضعة ومنهجة من اجل طروحتنا التي تتنفس الصعداء امام طروحات هولامية حول المسرح المغربي بصفة عامة .. حيث تجرأ هذا في التداخل الرسمي بالنسبة لتعريف المسرح ودوره وهذا التعريف لايمكن الاعتماد عليه او الاخذ به نظرا لبعده الواحد الذي يخدم جانبا واحدا او التداخل - الحر - الفردي الذي تأثر بشكل او باخر بنظريات اكاديمية صرفة او قريبا منها او الثورة عليها احيانا .. بالاضافة الى نشر كثير من الاجتهادات والدعوات الى مفهوم المسرح المطلوب .

وامام هذا التداخل في الطرح .. فان المفهوم الحقيقي للمسرح العربي .. انطلاقا من وضعه .. ظل حبيس التأثير والذاتية ...

لذا فقد اصبح البحث لتقنين هذا البحث من اجل الوصول الى المفهوم الحقيقي بناء على معايشتنا جميعا للفعل المسرحي .

ويمكن تسجيل جانب مهم ، كنتيجة على المعايشة .. هو :

ان ازمة الاختيار - أزمة في جميع المجالات .
اختيار اقتصادي - أزمة اختيار سياسي .
اختيار ثقافي - أزمة اختيار مسرحي .

واذا اصبح من المفروض التحقق من اشكالية هذا الاختيار المنتظر .. فان نفي كل اصناف التقنية يصبح هو الاخر واجبا ملحا .. مادامت الدعوة تفرض التزاما معينا تجاه اي اختيار ثقافي - ومسرحي .

ووعيا منا بالصراع او شته الصراع الدائر ووعيا منا ايضا بالمتاهات الموضوعية امام الوعي باسباب

الصراع فان الثقافة المسؤولة والمسرح لايمكن ان يكون بمعزل عن التوجه الحقيقي ٠٠ لان المسرح لايمكن أن يستغني عن هذا الاختيار او ذاك ٠٠ (اختيار ليبرالي اختيار اجتماعي اشتراكي) لذا يجدر بنا ان نناقش وبموضوعية بعيدا عن الادعاءات والتصور والتغني الاجوف من اجل ان ننقل النقاش بناء على معطيات هذا المسرح المطلوب ٠ وبناء على الضوء الزماني الحضاري٠٠ الاجوف من أجل أن ننقل النقاش بناء على معطيات هذا الباب يصبح اختيار المسرح الثالث كتيار يأخذ بمفهوم الثقافة المسؤولة لان وضعنا واختيارنا الاقتصادي والسياسي والثقافي والمسرحي لايمكن ان يستقبل كل شيء ببراءة كما انه لن يستطيع ان ينيب عنه من يدعي المصلحة العامة والثقافة المرغوب فيها لن تكون هكذا لان التفاوت في عملية التقدم على الصعيد المادي اصبحت تفرض كثيرا من النماذج الاخلاقية التي لاتترك الفرصة أمام الاجتهاد والتفكير في ايجاد مسرح يعتمد بالدرجة الاولى على الاحتكاك الطبيعي الحضاري وعلى الخصوصية التي لايمكن فصلها عن جميع المعطيات المكانية والزمانية والتاريخية والايديولوجية التي تتبنى مفاهيم انسانية بالدرجة الاولى ولكنها لا تنفي طابع الخصوصية كميزة ضرورية في الوجود ويمكن ان نضع ابعاد هذا المسرح من خلال عدة ابعاد يتبناها منها ٠

المسرح الثالث :

يحاول هذا المسرح أن يكون الوجه الحقيقي للمكان والزمان والتاريخ ٠

١ ـ المكان : المغربي العربي الاسلامي الافيقي العالمي لان منطق المكان يفرض حدا أدنى للتفاهم والتعاون والتفاعل على صعيد الوجود الانساني كما ان المكان هو امتداد جغرافي بالنسبة للعالم العربي بجميع امكانيته المادية والبشرية وهذا يعد شرطا في المواجهة مواجهة العدو أي كان ـ استعمار ـ ـ فكر استعمار ـ ـ استعمار اقتصادي ـ رجعي ٠

٢ ـ الزمان : يرى هذا المسرح أن عملية التواجد في الزمان تأتي عن طريق التلمس يعني من الملموس الى المحسوس لهذا فان الشكل والمضمون الحضاريين يجب ان يكونا حافزين دائما في احساس الجمهور العربي انطلاقا من تحليل اشكالية التفاوت المادي الذي ينعكس على موقف المكان العربي وهذا يعكس بالضرورة تفاوتا في الرإي وتفاوتا في الموقف ٠ واستيعاب هذه الاشكالية يعطي الحضور في الماضي والحاضر والمستقبل ولا يمكن ان يكون عامل الزمان مجرد احساس بعيد عن عملية التفاعل المكاني الحضاري وبالتالي فان الزمان في المسرح الثالث هو مقياس لمعرفة موقف المسرح المغربي العربي من وجود الاخرين يلتقي بحيث ينفعل ويتفاعل وينفي هذا الانفعال والتفاعل كلما وجد نفسه امام الضد والذي ينفي عنه حركته في الزمان والمكان ٠

٣ ـ التاريخ يرى المسرح الثالث ان التاريخ حركة حيث يمكن استعارتها وتشخيصها مرة اخرى بناء على الموقف من الاخر فالاستقراء في المسرح الثالث وهو استقراء ينبني على قناعات اديولوجية مرحلية فليست البطولة من صنع شخص واحد لان الناس ليسو على دين حكامها بل ان الحكام هم الذين على دين الناس التاريخ في المسرح الثالث هو الحاضر ولكن على اساس التحدي القائم في اطار قناعات جماهيرية فلا يمكن ان نستقرأ التاريخ من اجل التاريخ لان المسرح الثالث ينفي عملية النسخ والنقل التلقائية لانه ينفي ان يكون المسرح مسرح الطرفة والملح والغرائب واستعراض الامجاد الفردية ٠

المسرح الثالث يرى ان الادب ـ الانساني ـ في اغلبه خادع لانه يدعي الشمولية في التعبير عن حزن الانسان الكبير ولكنه يبدع بلسما من الدموع والاسف يتجلى هذا في شكله ومضمونه الذي يظل يدغدغ عواطف الجماهير بلغة مأساوية فالمسرح الثالث يرى ان الاحساس بالظلم والجوع والقهر والغثيان لايكفي والتخطيط لنزع هذه الحالة عن طريق الاستجداء هو حل ترميمي في أن المسرح الثالث يرى ان الوعي بالظلم هو تغير للحالة ، لهذا فان النقد الادبي لهذا النوع من التفوق الادبي ـ الثقافي ـ بصفة عامة ينطلق من اسقاطات

ذاتية فردية قد تتفوق في الشكل احيانا والعكس صحيح أيضا . ويمكن النظر الى اي موضوع مسرحي من خلال منهجية المسرح الثالث ما يلي :

المسرح الثالث – مع – تقنيات المسرح المتقدمة – ومع – اخر خلق مسرحي مثلا لمقامات بديع الزمان الهمذاني ، المجذوب الخ .. ولكنه يبقى ضدها دائما في الزمان والمكان والتاريخ مادام الموضوع ينفي الحد الادنى من فضح التناقض التاريخي ومداعبة الواقع من جوانب وهمية تظل تداعب هي الاخرى خيال المتفرجين ولاتشدهم الى واقعهم تقودهم الى مناقشة الضد في الزمان والمكان والتاريخ كأن يكون المضمون في التاريخ عربيا ومنافيا في الزمان – والمكان حضاريا – آنيا – كان يكون أيضا الموضوع في الزمان والمكان منافيا في المكان والتاريخ فيصبح تكريسا لمفاهيم بعيدة عن الفعل وتتعامل مع الضد ... الخ .

اشكالية التعامل

التاريخ

الزمان ⟵⟶ المكان

المسرح الثالث :

المسرح الثالث يضع أمامه هدف التغيير في تعامله مع جميع النصوص الهادفة ويعتبر شطرا اساسيا مع التراث المغربي والعربي والانساني بناء على أدوات ورموز حضارية قابلة للتغير والتغيير على طموحات الانسان المغربي والعربي بصفة عامة ومن هنا فانه يرتبط مع جميع النصوص في حدود ممكنة أهمها اخضاع هذا النص اخراجا ومضمونا وتوظيفه في عملية التشخيص المبنية على منهجية المسرحية لاترفض قانون التغير وفضح التناقضات المتجلية في المجال الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي يرفض المباشرة في الطرح المباشر في الطروحات البعيدة عن الاطار الفني لهذه المباشرة .

المسرح الثالث يتعامل مع المسرح العالمي في اطار متكافىء بعيد عن التبعية يرفض الاستيراد المستمر والتصدير المستمر يؤيد الخط الانساني في مواجهة كل أنواع الضغوط والشكليات يرفض الاسلوب المداعب كما يرفض كل تركيب لايقترن بالفعل المسرحي الانساني ضمن الزمان والمكان والتاريخ العربي .

المسرح الثالث ينفي التلقائية ويؤمن بالمشاركة عن طريق الفن – في اطاره المسرحي – وليس عن طريق الفن في اطار الفرجة – يعني بالمشاركة السلبية – وبمعنى أن المسرح الثالث ينطلق من توجيه اديولوجي معين تتحكم فيه معايير زمانية ومكانية وتاريخية تجعله في تعامله مع كل شيء وهذا واضح باختياره المرحلي والبعيد المدى من هنا فانه لاينفي كل تيار مسرحي الا أنه ينفي منهجيا تحديد هذا التيار لموقعه في الزمان والمكان والتاريخ العربي وعلى هذا الاساس فان المسرح الثالث لا يصدر كبضاعة فلكلورية بل يتعامل في حدود التكلف والتعامل مع جميع الفنون مادامت هاته الفنون تخدم الانسان وجودا وموقفا وتحديا .

المسرح الثالث مسرح المشاركة المواجهة

بمعنى يحدد موضعه نصا واخراجا لانه ضد التجمهر غير الواعي عقائديا وبالتالي فانه ينفي التجمع التجمهر بدون غاية فعلاقة الجمهور بالنص المشخص هي علاقة بحث عن بديل اقتصادي اجتماعي نفسي تاريخي في اطار فني .

المسرح الثالث يرى أن تعامله مع الزمان والمكان والتاريخ نصا واخراجا ينطلق من عملية تحليلية وتركيبية في اطر البحث عن الجديد في الزمان والمكان والتاريخ انطلاقا من تصور النص في اطار تعامله مع الواقع الذي يرتبط بالمتفرج وبالتالي يرتبط بطموحاته وحريته ووجوده وثورته على القديم السلبي معنى هنا أن الجديد هو القديم في اطار حركة مسرحية تاريخية تنفعل وتتفاعل مع الكائن الانساني فلا يمكن أن تتخيل الظلم في اطار

نص يعالج محاربة الظلم عن طريق الوعظ · والارشاد لان المسرح الثالث يتبنى فضح التناقض والسبب المعادي للظلم في اطار علاقة المظلوم بالظالم وانتفاء هذه الحالة بعلاقة هذا المظلوم بالظالم الحقيقي الخ ···

المسرح الثالث : يتخذ اسمه في اطار مضمونه بناء على تطور جدلي لتعامله مع أي نص من الفكرة في اطارها الواسع ، ماذا تعني الفكرة الاولى في تركيب المسرح الثالث ·

الفكرة : التصور المنطقي لاي جانب من الفعل الحركي المنهج الفعل الانساني الذي يدخل في نطاق التفاعل الزمني والمكاني لصناعة فعل معين بمعنى ـ فكرة الحياة ـ فكرة ـ الوجود ـ فكرة ـ علاقة اقتصادية ثقافية الخ ···

ضد الفكرة أو الفكرة الضد

التصور المنطقي المضاد للفعل الحركي المنتج الفعل المضاد الانساني الذي يتبلور في نطاق تفاعله الزماني والمكاني والتاريخي فعلا مناقضا للتصور الواقعي للفكرة الاولى بمعنى ـ فكرة ـ الخلاص من الفقر ـ فكرة ـ وضد ـ فكرة ـ الدعوة الى الرحمة التي قد تنطبق ميتولومي في أساسها عن فكر صرف أو فكر مادي صرف نقيضهما وبهذا يكون ـ الضد ـ خلقا ثانيا أو قريبا من التصور المنطقي ـ أو التلقائي أو بعيدا عن التصور المنطقي المضاد أو مناقضهما ·

الفكرة الثالثة :

هي التصور المنطقي للفعل الحركي المنتج الذي يتجه الى الامام بعيدا عن التصور التلقائي للفكرة الاولى ومستفيدا من التصور المضاد للفكرة ـ الضد ـ بمعنى لايمكن أن يتقبل المسرح الثالث تصورا بعيدا عن الفكرتين اللصيقتين بالوجود الانساني المرتبط في نفس الوقت ضمن علاقات تحكمها مقاييس ومعايير تتحكم في السير الطبيعي لاي تصور جدلي يؤدي الى ـ الجديد ـ دائما في نطاق الفكرة التلقائية الاولى ـ كقديم ـ والفكرة الضد ـ الجديد ـ في نطاق فترة الانتقال والفكرة الثالثة في نطاق استقراء الفكرتين السابقتين بمعنى أن التغيير هو التجديد في نفس الوقت والتأصيل ، ومن هنا جاءت فكرة المسرح الثالث بناء على الحركية وعلى قانون التغير الذي يحتفظ في نفس الوقت بالمقومات الاولى في نطاق الزمان والمكان والتاريخ وأي تعامل مع الاخر يدخل في نطاق جدلي ينفي الاول من أجل الثاني كما أن الاول لايمكن أن ينسخ الفكرة الثالثة ومن هنا جاء المسرح الثالث ·

المسكيني الصغير وردة ابراهيم
حميد بروذان

عبد الكريم بن ثابت

الحب والحرية

البداية : فاس

في مدينة فاس عاصمة الثقافة بالمغرب ، برز شاعرنا الى الوجود ، فعب من مفاتن الحياة ، وثمل من غصصها فكانت شاعريته الفياضة تشدو بجمال بلاده ، وجمال الطبيعة وجمال الحرية الانسانية ، وانعتاقها من الاسر والقيود ٠

قال عنه الاديب المغربي عبد الكريم غلاب : — ملأت عليه حرية بلاده كل احساسه ، وكانت ملء قلبه وعاطفته ومشاعره جميعا ، وقد وزعت احساساته مع هيامه بالطبيعة والجمال ، فكان شاعر الحب ، وكان شاعر الحرية — ٠

ولد الشاعر عام ١٩١٥ من أسرة ذات يسار ، وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدارس الفرنسية سنة ١٩٢٨ ، ولكنه تمرد عليها ليسعى بنفسه الى حلقات جامعة القرويين متطلعا الى دراسة اللغة العربية ، منكبا على الدواوين الشعرية يتغنى بقصائدها ويهيم في جمالها ، ويحفظ الكثير منها ٠

ويذكر الاستاذ غلاب في توطئته لديوان — الحرية — أن ابن ثابت تأثر بجولاته في الاحراش والسهول المحدقة بفاس ، حيث كان يقضي الايام والاسابيع متذوقا يتأمل البادية ومافيها من الحسان اللائي قال عنهن أبو الطيب المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكان أحب شيء اليه أن ينأي عن صخب الحياة



بالمدينة ، ويلتجيء الى ركن قصي في مقهى قبالة نهر يتوسط حديقة — جنان السبيل — ، فيخلو الى الشعر يقرأه ، والى الورق ينظم شعرا ويكتب مقالا نقديا أو قصة ، وهذه الظروف طبعت شخصية ابن ثابت في ميعة شبابه ٠

من جنان السبيل الى وادي النيل :

وقبيل الحرب العظمى الثانية ، هاجر الى القاهرة

في طلب العلم ، فالتحق بكلية الاداب ، وفيها تفتحت مداركه الثقافية والادبية ، وألفى مجالا أرحب لينسلخ من قيود المجتمع التي تدجن الفرد ، وتعوق طاقته الابداعية عن التعبير الطليق من أصفاد التقليد الا ان ثابت ظل كسير النفس رهيف الحس يؤكد ذلك الكاتب السوري عبد المعين الملوحي بقوله : — عرفت عبد الكريم بن ثابت في القاهرة عام ١٩٤٣ . كنا طالبين في كلية الاداب ، وكنا نسكن في شقة تقع على سطح بناية عالية في الدقي ، كان يقضي أكثر فترات راحته في التأمل ، وفي قرض الشعر ، يتكوم على نفسه ويسحب أنفاسا من لفافته ، ويضع رأسه على كفه ، وأمامه قلمه وورقة ، ثم يختلس من حين الى حين فرصة من فرص الالهام ، فيسجل قصيدة بخطه المغربي الغريب ، كان رقيقا وكنت قاسيا ، وكان قليل الحركة وكنت دائم النشاط ، وكان مهذب الالفاظ وكنت شديد الكلام ، وكان كثير الذهول ، وكنت دائم اليقظة ، كان مابيننا مختلفا من كل الوجوه . ومع ذلك فقد اجتمعنا على صداقة صافية .. — .

وأقبلت مرحلة المطالبة بالاستقلال حوالي ١١ يناير ١٩٤٤ فكان ابن ثابت من أكثر شباب المغرب الذين ساهموا في تكوين رابطة الدفاع عن مراكش تحمسا لفكرة الحرية ومن الذين هيأوا المذكرة التاريخية التي عرضتها الرابطة على سفارات الحلفاء ، وقنصلية — فرنسا الحرة — بالقاهرة ، تلح على استقلال المغرب .

— القدر بالمرصاد :

وفي عام ١٩٤٥ ، أحرز ابن ثابت على الاجازة في الادب من الجامعة المصرية ، ثم عاد الى وطنه ليشارك في تحرير شعبه ، ويشهد أفراح الاستقلال السياسي سنة ١٩٥٦ .. عمل اثرها بالسلك الدبلوماسي كاتبا في السفارة المغربية بتونس ، لكن القدر لم يمهله حتى يرى انتاجه مطبوعا تتناوله الايدي ، فقد عاجلته المنيه يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦١ ، الا أن هذا لم يحل دون أن تخرج أعماله الادبية الى النور .

لقد أحس الاستاذ غلاب أن من غير الوفاء للادب العربي في المغرب أن تطوى هذه القصائد مع جسد الشاعر ،فجمع أشعاره المبثوثة في المجلات والجرائد المغربية ، ك — رسالة المغرب — و — العلم — و — دعوة الحق — ،وطبعها بين دفتي — ديوان الحرية — .

ولابن ثابت مؤلفات مخطوطة ، منها مجموعة قصصية ومذكرات عن الحياة في المغرب ، حرر كثيرا منها في الصحف المغربية ، باستثناء — حديث — مصباح — الذي تضمن أحاديث في الفن والادب والنقد والاجتماع .

وهذه الاحاديث تتطرق الى الحرية والفن ، فالفنان لايمكنه أن يحيا بدون حرية ، هذه الحرية الشخصية التي لاتقيدها قيود : — الفنان الحر رسول حمل رسالة سماوية عن طريق الموهبة والالهام لادائها الي بني قومه بل الى الانسانية جمعاء — ، ان الذين يطالبون الفنان باجتناب هذا الشيء وذلك لانهما من المثالب ، فانهم — في نظر ابن ثابت — يقتلون الفن والفنان ، وهم البلاء الذي يحل بالامة لانهم يطفئون نار الموهبة ونور الالهام .

ويرى ابن ثابت أن كل فن ينطوي عن الجمال ، وأن كل فنان يحب هذا الجمال : — نحن نشعر أننا في حاجة الى من يقوي فينا الاحساس بالجمال ، ومن يطهرنا ويطلعنا على مناحي النقص في الطبيعة وهذه هي وظيفة الفنان — ، كما يرى أن المرأة مازالت وستظل الى الابد الينبوع الاول للوحي والالهام والابداع الفني في شتى ألوانه .

— أصالة الشاعر :

في متابعة مستوعبة لشعر ابن ثابت ، نعثر على نفثات انسانية خالدة تتخطى الحدود ، وحركات نضالية مثالية ، وعاطفة قوية تنساب منها الرقة ، وشفافية تتجلى في هيامه بالمجهول البعيد الذي نعشقه ولا نحققه ، والذي نلمحه قريبا قريبا ، بعيدا بعيدا ، كما تتجلى هذه الشفافية في التطلع الى الحرية ، والتخلص من اسار الزمان من قيد اللحظة ، وقيد القصور الانساني ملتزما بالهيكل التقليدي مع تلوين القوافي والاوزان ، مهتما بشكل واضح بايقاع الشعر الذي يوقعك في حبائله من اللحظة التي تطل فيها على الشاعر ، فاذا أنت أسيرها الذي لايستطيع من أسرها فكاكا واذا أنت الظامىء الصادي الى هذا المنهل الثر الجميل الذي يروي غلتك ولنصغ الى قصيدة — طيف — ، التي تشي بروحه العامة وموسيقاه العذبة ، وقدرته على التعبير بالكلمة المتألقة:

فتنتني كيف أتيت
و تسربت لبيتي

أنا فيه قابع كالأهم حزنا منذ غبت

كيف يا - نينتي - جئت غرفتي . كيف حللت

خبريني يابنة النور أأنت اليوم أنت

هوذا قلبك الخافق بالخوف كأمس

اه منه وهو لاينطق الا مثل جرس

خافتا يشكو لي المجهول في رقة همس

خبريني يابنة النور أأنت اليوم أنت

ثم مست شعر رأسي فا نتشيت

وتمليت عبيرا فاح منها فسكرت

ثم قالت : أيها الولهان هاانى اتيت

وشاعرنا بمناجاته – فينوس – ، يذكرنا بمناجاة لويس أراغون – الزا – ، ومناجاة محمود درويش – ريتا – تلك الحبيبة المشرقية التي تسكر برؤاها الافئدة ، ويعربد في وجنتيها القمر . لقد هام ابن ثابت بها حبا لكن الايام والمسافات طوت مابينهما ، هي في المشرق كالطيف الحزين يذرع ، وهو في المغرب كئيب يقبع فأرسل الى صديقه ليقول لها :

ياصديقي قل لفينوس : لقد كان وكنت

كان يشقى بك حبا ويرى العالم أنت

ويرى فيك خلودا للمعاني كل وقت

يعرف الجنة والخلد اذا أنت ابتسمت

ويرى الغيهب والسحر عميقا ان عبست

وتكبرت عليه فتمنعت وجرت

ثم أوقدت لهيب النار فيه وسخرت

كان يدعوك الى الوحدة روحا فأبيت

شاعر الوطنية :

ولن تتصل الاسباب بينك وبين الشاعر حتى تتبين فيه الانسان المفرط في وقته ، الحساس المرهف في حساسيته ، وحسبنا أن نقف هنيهة عند – لك الله ياقلبي – ولهذه القصيدة حافز خاص حيث حدثت في عام ١٩٤٩ كارثة طارئة في سماء الباكستان ، ذهب ضحيتها

ثلاثة من المناضلين ، كانوا عائدين من مؤتمر وطني . هم د . الحبيب ثامر من تونس ، وعلي الحمامي من الجزائر ومحمد بن عبود من المغرب . كانوا جميعا أعضاء في – مكتب المغرب العربي – بالقاهرة ، وتصعق نفس الشاعر ، ويرتعش وجدانه لهذا الخطب الجال ، فاذا عينه تسفح الدمع سفحا ، واذا لسانه ينطلق بهذه القصيدة الرائعة .

الا خبروني مادواء بكائيا

وكيف ترى أسلو وأنسى مصابيا

مصاب لو أني بعت نفسي رخيصة

الى الموت ماألفيت بعض عزائيا

بكاء لو أن الله فجر أعينا

على الارض كانت دمعة من مآقيا

لقد مات من كانوا مصابيح ليلنا

وضم الثرى – واحسرتاه – الامانيا

ولم يكونوا رفقاء حياة عادية ، بل كانوا رفاقا في المعركة :

وما أنا أبكيهم رفاقا اضعتهم

ولكنني أبكي الجهاد المثاليا

ومأأنا أبكيهم ضحايا ثكلتهم

وان كان هذا متلف النفس قاسيا

ولكنني أبكي نجوما تألقت

ومغربنا الدامي يخوض الدياجيا

وشاعرنا ابن ثابت يحيا طي التاريخ ، يتأثر بأحداثه ويتجاوب تجاوبا انسانيا عميقا مع البشرية في ملماتها وخيباتها وتقلبات حياتها . ففي قصيدة – القيد – يتحدث عن عدو الحرية الذي يكبل اليدين والقدمين ، ثم يتغلغل في الفكر والروح ليحجب عنهما النور واثار الجمال والفنون ، فأين هذا القيد ؟ وهل تراه العيون ؟ .

يجيب ابن ثابت :

أتراه في يديا أم ترى في قدميا

ذلك القيد الذي يضحك مني وعليا

ودموعي كلما أرسلتها من مقلتيا

شرب الدمع ولما يروه دمعي ريا

أين ذاك القيد أين ؟

أتراه اليوم عين ؟

كنت مذ جئت الى الارض أغني للجمال
ولقد كان بعيدا فوق افاق الخيال
فتطلعت اليه وتمنيت الوصال
واذا القيد ثقيل في فمي رغم النضال
أين ذاك القيد أين ؟
أتراه اليوم عين ؟

ويراه في الفكر كما يراه في الروح :

هو في الفكر وقد ران عليه من زمان
قبل أن يوجد انسي على الارض وجان
قبل أن نعرف ماالعز وماثقل الهوان
قبل أن نعرف من نحن وفي أي مكان
هو في الروح التي ماعرفت قط السكينة
هو فيها قبل أن تظهر في الارض حزينة
هو فيها قبل أن توضح في الجسم سجينة
رابض فيها كليث ثائر يحمي عرينه

أين ذاك القيد أين

أتراه اليوم عين ؟

وفي قصيدة - ليل وصباح - نفحة من - ارادة الحياة - لابي القاسم الشابي ، فكلاهما تأثرا بالمدرسة المهجرية لما في شعرهما من نزعة ذاتية تهفو الى الحرية المطلقة وتنفر من التمذهب وتدعو الى المحتوى الفكري الحر ، ولما فيه كذلك من لجوء الى التعبير الرمزي ، فابن ثابت يحثنا على الجهاد :

.. وبعد زمان أطل الصباح
كطفل على مهده يبسم
كعذراء بين مروج البطاح
تتيه وترقص أو تحلم
كثغر الورود كخد الاقاح
على حزن ضاحك ينعم
ونادي المنادي الكفاح الكفاح
وداووابه يأسكم تسلموا
فما من سلام وما من نجاح
بغير الجهاد فلا تسأموا

ويبدو أن الشاعر داخل الاطار الرومانسي ، اراد أن ينظم شعرا تأمليا في الحياة والموت والمصيرة لكنه كان لايساير تأمله حتى النهاية . نجد هذا في - ليلة - :

لاتسلني كيف كان الامر انا لست اعلم
كل ماأعلم أني بت في جوف جهنم
وقضيت الليل ، والليل سعير يتضرم
وعظامي بلظى النار وفيها تتحطم
صائحا يارب ماذا قد جنيت الليل فارحم
وأمامي كان عملاق كريه الوجه أصرم
تقفز الاحرف من فيه شرارات تكلم
قال لي : ربك أدرى بك ياصاح وأحكم
أنت منه قد طلبت النار يوما ، أنت أظلم
أو لم تسع اليها وتراها بك أكرم
فذق النار التي أبت اليها وتعلم
فلعل النار تهديك ، وهدي النار أقوم

هذه لمحات عن حياة وشعر الشاعر ابن ثابت ، الذي امن بالله والجمال والحب والوطن ،وغنى بعاطفةمشبوبة تتخللها شفافية .

العربي بنجلون

قراءة في قصص

الممكن .. من المستحيل

دريد يحيى الخواجة

هل يمكن دائما أن نستشف عالما يتحرك فيه السحيمي والى أي مدى يقدر هذا العالم أن يقنعنا أو يبهرنا على الاقل ؟ ٠

حاول بامكانياته أن يلتصق بما يسمى بـ : ـ ملحمة الحياة اليومية ـ ، وبما تطرأ على هذه الحياة من تغيير أو اكتسته من أصباغ جديدة انعكست على الناس٠ ان مايلاحظه ـ والملاحظة ـ أساسية نكل فنان ،او يعاني على اثره ، يضعه في قلب من يصرخ أو ينكفىء ـ وان كان صراخا غائيا لايقول في أحايين وان كان انكفاء كامد الظلال في اخرى ، وقد نلحظه حاضرا في حنان رهيف في الام وعذابات المتوحدين الناس الاشقياء الذين يحيون بيننا وقد جفت دموعهم وباتت أعصاب وجوههم المشدودة حكاية تبنى عن شرخ مايكبر في تكاثف انعكاس الخارج عليهم مع مرور الزمن الثقيل ٠ لكنه ـ مع ذلك ـ غالبا مايتحدث عنه هؤلاء مجردا اياهم من ملامحهم الدقيقة الذاتية فتبدو الاشخاص خطوطا عريضة أولية لرسام يشرع في صورته التي لم تتوضح بذاتها مما يسقط شخصياته في العمومية والتسطح ٠ لايتركهم يغنون وحدهم أغنياتهم للشمس أو لليل ، فيكشفون ، بل ليكشف هو عما يتوهم انهم كذلك ٠ وهو ان لامس أحيانا أعماقهم حقيقتها وفواصلها ، بحنان وتعاطف وعمق فانه في غالب الاحوال يضعهم على هامش الواقع أو بمعنى أدق على ماقد يبدو حقيقة،بدل أن يخلق الحياة بوسائلهم وحقيقتهم هم وعلى هذا تبدو اللحظة المأزومة أو الموقف المأزوم موقفا يخص الكاتب وحده أكثر مما يخص أبطاله وتصبح الجزئيات التي يجب أن تعمق اللقطة الانفعالية في القصة . سائبة موزعة قصة الريال ـ١ـ مثلا وعندما يطلق السحيمي أبطاله من بين قضبان نفسه ، ويوجه المراة أمام كياناتهم،تبدأ دماء الحياة تتدفق في مدلولاتهم وبخاصة حين يستعمل ـ المونولوج الداخلي ـ أسلوبا للتعبير عن مخفيات النفس ودقائقها ومعطياتها التي تجسد لحظة الماضي والحاضر والمستقبل : ـ قصة حمدان وقصة : ـ كما هي العادة ـ ٠

وفي اسلوب المجموعة بساطة تصل أحيانا الى اسلوب : ـ الكتابة العادية ـ : ـ قصة : المساء الاخير ـ ٠ ـ والبساطة ـ في التعبير الذي يكون اسلوبه وشيئا ما

لغته ليست شيئا سيئا على الاطلاق ، لكنها هنا تبدو في أحايين كثيرة ساذجة ، - وغير مراجعة - بحيث تبدو الجمل نافرة أو خافتة الايحاء والنغمة . فاللغة العربية تمتلك قدرة عجيبة على الدخول في الوعي في ظاهرة ابداعية حتى حين تجري على لسان الناس العاديين بصورها وامكانياتها . والقصة القصيرة قبل كل شيء اسلوب مصادم حتى في بساطته الحيوية المبدعة ، يجب ألا يعانيه القارىء في خمول بل يشده الى ممارسة دوره في المعاناة والتركيب والتأويل وفرز المحتوى مما يخلق نوعا مهما من النشاط النفسي والعقلي بدل أن يكون اسلوب كتابة لاأسرار له على الاغلب . نعثر في مقاطع بعض القصص بجمل فيها حنو مؤثر .. بلغة فيها بعض الايحاء لكن مع ذلك يظل ظل هذه اللغة لايبتعد كثيرا عن قشرة الكلمات الخارجية وهذا يأتي عفوا خلال السياق أو حين يتبنى المؤلف عواطف الشخصية القصصية ، وان لم يكن هذا التبني موفقا داخل تركيبية القصة ، بل هو يحاول أن يؤثر تأثيرا ابتزازيا - مثال :السجن الكبير -٢ فالقصة موقف بما يخلقه الكاتب من حياة أو يجريه من أفكار على لسان أبطاله وناسه بعيدا عن أي غنائية مجانية متكلفة او تعاطف يضر بموقف الشخوص أنفسهم فلا يبرزون بصدق وعمق الحياة نفسها في هذه المواقف لذا يظل الفن وبخاصة الفن القصصي يقوم على أساس

من النظام والضبط وعدم الجري وراءأية انعكاسات أولية يمكن أن تستأثر بالفنان للوهلة الاولى بما يملك من حس دافق ورفض للمأساة بكل أشكالها من البداية .. ومن هنا تبرز المسافة بين الدراما والميلودراما .. ومن هنا أيضا تأتي أهمية - الشكل - في القصة القصيرة بخاصة فالقاص لم يعتمد تقنيات متقدمة في الشكل ، وجافاف التنويع ، أغفل - حركة الشكل - التي تغني التجربة وتعمقها وترفع من مستوى العالم القصصي - ابداعية اللغة تدخل في هذه الحركة أيضا - كما نوهت ناتالي ساروت بأن : - الشكل هو الحركة التي بها يحيا المضمون واذن فان هذه الحركة عمل خلاق - . وأعتقد أن أخطر مايفرزه - المضمون - في مجموعة : - الممكن - من المستحيل - في الاتجاه السلبي أحيانا هو ركوبه - منهج الموضوع المغالط : أو المنهج اللا منطقي غير المتوازن كما

في قصة : - السجن الكبير - وقصة : - الريال - . والان الى دراسة تطبيقية على مجموعة من القصص :

□ - المساء الاخير -

(الحب .. والشيء الاخر)

نجد اللغة في قصة - المساء الاخير - مستقرة لاايحاء فيها مفصلة تفصيلا على المعني أين مغامرة اللغة في القصة القصيرة ؟ . القصة هنا سرد أو بسط حكائي لايترك أثرا ما . والحوار فضفاض . والتناول الفكري بسيط . انها قصة - فتاة : - تنظر الى العالم من فوق من الخارج ، وهي كفتاة مثقفة ، يبدو لها أن الاخرين غارقون في التفاهة والسطحية وانها تتحملهم من غير أن تشاركهم أبدا . - .. نظرة تقريرية أفسدت سياق القصة . و - هو - قرر فجأة : - انها معقدة أنها تعيش حياة مفترضة - . القصة غير مقنعة . فهو لايحبها ، وهي لاتحبه ، وتستمر معه ومع الاخرين ويعرف ذلك ، يعترف بأنها معقدة و ...

كلمات الحب فقدت معناها ، ويجب الاحتراس في استعمالها في ادبنا المعاصر ، على الاقل يجب أن تكون لدى القاص القدرة على سبر أغوار الطبقات السميكة التي ترسبت فوق هذا الجانب منه أو ذاك ،خلال رسم أبعاد الشخصيات ، وأذهب مع - جان رينيه هوغانان - الى أن : - الكلمات أو بعضها على الاقل ينتهي بها الامر الى أن تبلى . -

ويجب أن نحذر حذرا شديدا عند استعمال امثال هذه الكلمة حتى يقتنع القارىء بالحقائق المنطوية تحتها فليس شيئا سهلا على الاطلاق في نطاق العمل الفني أن تضع ، اليوم ، كلمة : - أحب - أو - أكره - مثلا في سياق الكلام الا اذا تحددت - داخل مفهوم تفرزه الخصائص النفسية والفكرية المرتكزة عليها الشخصية داخل المعنى الخصوصي لهذه الكلمة أو تلك في الحالة المرصودة ، بعيدا عن أي صورة عمومية أو مجانية . فمثلا في قصة - المساء الاخير - نجد أنه يحب ضحكتها القصيرة المرة ، ووجهها المتعب أبدا ، وغضبها ثم

يتساءل ماذا بعد ؟ . فأي شيء هذا الاتي بعد الحب ؟ .. أي نوع حب هذا الذي ينتظر شيئا أكثر من امتلاكه - الحب - في ال : - بعد - . ثم هو في أمسية السبت يفتح كتابا بعد الغداء ، ويكتب رسالة الى - الاخرى البعيدة - أو ينتظر فتاة تأتي سريعة وخائفة ثم يلبس ثيابه لان الساعة الخامسة تقترب ، ويذهب الى المقهى لينتظر هناك بعد كل هذا - الحب - . ان هذه الكلمة أفسدت السياق . وليس شيئا خفيا على من يقرأ اوصاف لم توفرها له بدورها . ليس الامر ضد هذا المفهوم أو ذاك لكن ضد طمس الحقائق التي قد توصل اليه.. الى مداوله لتعمقه وتثريه لنلمس مايجري في الحياة المكتشفة . وكم يبدو هذا الحب مضحكا ، حين تكون أسباب حبه .. - هكذا - بضحكتها القصيرة المرة وبوجهها المتعب أبدا ، وبغضبها الذي لاينتهي .. - .. هذه الاسباب هي نفسها التي أدت لدى هذه الشخصية الى أن يسارع هاربا من المقهى تحت دهشة نظرات الجرسون خائفا من صورة الحبيبة : - ستلقي نفسها باعياء على الكرسي قبالته سيكون وجها متعبا كالزمن ، وتطلب قهوة بلا حليب ... - .

أذكر هنا حوارا جرى بين رجل وامرأة في رواية من روايات كولن ولسن . يقول الرجل :

- هل تحبينني ؟

تقول المرأة

- لا

- كيف تشاركينني الفراش اذا .

تقول له :

- هذا شيء اخر .

- كولن ولسن - هنا يحد الحب بمفهوم البيئة التي يعيش فيها . فكلمة الحب شيء - في رأيه - وتسليم الجسد شيء اخر . وهي لاتحبه - وهذه العبارة لاتعني بالضرورية أن - تكرهه - كما رأينا ، لانها تشاركه جسدها .

وفتاة القصة هنا ، على الرغم من أنها لم تفكر في حب رجل القصة ، الا أنها مع ذلك تترك له نفسها مع أنها ارتبكت قليلا حين سألها :

- هل تتركين لهم نفسك .. أيضا ؟ .

ويقصد بذلك الاخرين الذين تلتقي بهم تتحدث اليهم تماما كما تفعل معه . وحين سألها ذات يوم لماذا تترك له نفسه مع أنها لاتحترم العواطف - على طريقة كولن ولسن السابقة - أجابته وبكل بساطة وبعيدا عن أية اثرة انسانية مسوغة ومع أنها كانت لاتنفعل حين كان يحتضن يدها بين يديه - أجابته وهي - المثقفة - :

- لان هذا يعجبك ، ذلك كل مافي الامر

والسؤال الان ، هل الاجابة نفسها تنطبق أيضا على صلتها بالاخرين ؟ .. أية امرأة هذه ، مثقفة ، تفعل كذلك ؟ .. وهي - على لسان الكاتب - : - كفتاة مثقفة يبد ولها ان الاخرين غارقون في التفاهة والسطحية وانها تتحملهم من غير أن تشاركهم أبدا .... لكن ، أليس ما تفعله مع الاخرين ، هو مشاركة ، مهما كانت من نوع ما ؟ .

ثمة علاقة مأزومة ، وأزمتها ناتجة من عدميتها ، وكان بالامكان الغوص في اعماق هذه (الازمة) لخلق حالة من العلاقات التي لاعد لها ولاحصر في الحياة الواقعية في المجتمع المعاصر ، بين رجل وامرأة بحيث تبرز أدق العواطف الانسانية المعاصرة وأبعاد قلقلتها ، بدلا من هذه الاشارات العابرة المضحكة أحيانا ، والتي كانت تبدو مجانية متسرعة ، ومحيرة : تقول له - أنت من جميع الوجوه ممتاز . ولكنك خضعت للمجتمع . وهذا سيء . - لاأدري ماذا تسمى اتصالها بالاخرين وبه أيضا على ماذكرت - . كيف ؟ . وأي امتياز له في هذه الوجوه جميعها ؟ . ولماذا وافقته وهو يقبل شفتيها ولماذا كذبته حين صارحها باتصالها بالاخرين وهي التي اعتادت الصراحة وبدأت علاقتها بدون خصوصية ماهي أوجه خضوعه للمجتمع ؟ وأي شيء هذا مهم وصحي في خضوعه وعدم خضوعه ؟ .. لاأحد يدري . أما الحوار فكان مربكا سريعا رهوا طافيا على السطح لم يرصد الحياة الحقيقية وراء تعب النفوس والزمان والخوف

من الاخرين الذين يمكن أن يكونوا - جحيما - وراء التفاهة التي تغرق الناس وتفترسهم في ان . ان العقبة لم تحتفظ بسر الواقع من البداية .

□ - السجن الكبير -

(هل يستوي في السجن كل شيء ؟)

السرد مباشر أو اللغة خطابية . واسقاط الكاتب معنى السجن على السجان والقانون والقاضي ساذج وغير مسوغ حين نعرف أن السجين كان مجرما كما ان الحرية أفرغت من معناها تماما حين اختفت وراء دماغ المجرم فغدت حينئذ سلاحا في يده وهو يهاجم القانون والسجان والقاضي من أجل أن يسوغ فتكه بالمجتمع وماذا يعني هذا - الوصف المؤثر - الذي دفعه القاص على لسان هذا المجرم الكبير عندما وصف رفيقه الذي اعدم وكان معه في الغرفة - وهو مجرم بالضرورة - : « كان لايعرف ماذا سيفعلون به - اصبح طفلا صغيرا في لحظة واحدة وصرخ كالاطفال ، وتمسك بحديدة الفراش ، ورنا الي من خلال الدموع ، ثم فتح فمه وصرخ برعب .... لقد كان وديعة هنا ، وديعة عند من ؟ .. السجان ومن رضعه هنا ، ومن وضع القاضي نفسه ، ذلك الذي يحكم بقتل الناس ويحكم على الاخرين بالسجن ...» فأي تجديف هذا على لسان مجرم ؟

ويقول القاص في مكان اخر من القصة على لسان هذا السجين المجرم : - السجن والانسانية ، ذلك جميل حر أن أقف ، وأن أفكر ، وأن أخطو على أرض هذه الزنزانة .. الخ - . فكيف يمكن أن نضع كلمة السجن هنا مقابل الانسانية وهو الذي اغتال الانسانية حين اختار لنفسه أن يكون مجرما . واستفاضة القاص من معنى الحياة - الموت ، بأكثر من عبارة ومناسبة أفقد الفكرة تجوهرها . ولم يوفق أيضا حين عرض بما تفعله ادارة السجن للمساجين اذ ذكر أنها تقدم لهم الدواء بل وتعتني بهم حين ترسلهم الى سجون اخرى كمصحات لمداواتهم ، ففقد التجديف هنا تأثيره وغدا ضد الغاية المرجوة من السرد مما لايتناسب مع رسم عتمة السجن وقهره بخاصة وان هذا المسجون المؤبد ومن على شاكلته

نظل نتذكره وهو يطالب بحقوقه وانسانيته في أنه لم يحفظ حقوق الاخرين ،قد سلبهم انسانيتهم واغتال حياتهم .. ولايكون منظر الورود الحمراء والخضراء في داخل الزنزانات الا دلالة على انسانية هذا السجن على الرغم من أي شيء - لاالعكس اذا كان هذا موجودا لكن أغواء الفكرة من البداية جرت الكاتب الى الامعان في الوصف - لرفض فكرة السجن تحت أية ظروف - دون وعي لانعكاسها السلبي على غاية السرد . بخاصة عندما عرفنا أيضا بأنه ستقدم امرأة لكل سجين كل أسبوع فيما بعد ..

ولابد من التنويه هنا الى أن فكرة كون الانسان في سجن حقيقي مادي أو معنوي كانت تلح على ذهن السحيمي ، وكانت تبدو على شكل اشراقات ، واشرافات لمعاني معينة بين الحين والاخر ، لكنها كانت ضائعة في مثارات الافكار الاخرى - الموت الحياة - أو الحياة الموت أو ارادة الحرية غير الموظفة بمعناها الحقيقي في القصة لارتباطها بالمجرم : هنا أو هناك .. مخلوقات تنقصها الحرية - اسقاط في غير محله - .. وفي حوار اخر . - خارج السجن ، داخل السجن . لافارق فأنا سجين في كل مكان . السجن في كل مكان - . لكن السجين نفسه يعود مكملا كلامه السابق قائلا : - انا سجين لانني معك محكوم علي بك ، محكوم علي باحساس اني سجين - لقد أفسد الفكرة السابقة بـ - السجن المادي - هنا ، الذي وده القاص من البداية أن يكون - سجنا معنويا - كمنطلق ، الى جانب أن هذا يحدث تناقضا في سطور ثلاثة متتابعة فكيف يكون السجن في كل مكان ، على الاقل بالنسبة الى هذا المجرم العتيد - ولاندري كيف يحس بذلك ولماذا ؟ - وكيف هو سجين لانه مع سجان فقط مادام السجان هو شيء ما خارج المنفى قد يكون هنا أو هناك كما قال في السابق - ليس وليد حالة استثنائية فقط ، بل هو يعود فيؤكد ضد هذه الحالة الاستثنائية أثناء الحوار التالي :

- أنا خارج الناس . خارج حريتهم أنا سجين حتى اذا لم أكن داخل زنزانة .

ظلت فكرة السجن : - السجن الكبير - مترددة ، وقهره بخاصة وان هذا المسجون المؤبد ومن على شاكلته

وتارة على معنى خاص - السجن داخل السجن - ، وهي فكرة بشقيها بدت متناقضة على لسان المجرم نفسه في الوقت الذي لايريد الكاتب فيه أن تكون كذلك بل اننا نحار كيف يرسل مثل هذه الافكار وعن الحرية وارادة الحرية على لسان مجرم ، ولاي وجه اقتيد هكذا وزج به في السجن ؟ .. يقدم له الدواء ، وتسعى به ادارة السجن الى المصحات ، وتقدم له الازهار والنساء باغية الحفاظ على وجوده بعد أن أهدر وجود الناس ، ومن ثم يأتي ليلقي درسا في الحرية ، ويعلو صوته عازفا نشيده المؤثر دون ان نعرف شيئا عنه ؟ . فكلمات - الفلسفة - هنا مقتطفة ، هامشية كانت تسبح حول الشخصية وتعلوها ، وأقول تنفر منها ، فلم يحدث التعاطف المرجو من قبل القاص ، ولم تمس القصة بكل مافيها سجوننا نحن ، فلم نتأمل ولم نتساءل لان السؤال مات على شفاهنا أمام صورة المجرم الكبير المتغني بانحياز من خلال أو على موت غيره بالاضافة الى الشخصية التي دون ملامح ، وفي نهاية القصة هاتان الجملتان : يقول السجان لسجينه :

١١ - أحببتك انسانا ألقي في مصير غير مصيره -

فماذا هذا الكلام الغائم . ثم مادام البطل في القصة يصف نفسه بأنه مجرم كبير . **فأي مصير هذا الذي يتحدث عنه السجان . ؟**

١٢ - وفكر السجين أنه يحب هذا السجان لقد أفاق الى هذا الحب في هذه اللحظة .. ونزلت من عينيه دمعة صغيرة أحس بها في عاطفة الحب التي ولدت فجأة .. انه حر بشكل ما .. وقبل ذلك قال له السجان : - وعندما لاتنبع الحرية في أنفسنا ومنها ، فان السجن يكون لنا في كل مكان - . هكذا في طرفة عين يتحول السجان الى محب للحرية يفلسفها بل ويطلبها من الاخرين حتى يمارسوها من دخائل نفوسهم ، وهو الذي اعتاد كبت الحريات مختارا : و - يكرر عمله بجمود دون ان يتساءل يوما عن جدارة - . وهذا هو وصفه الحقيقي كاداة غبية للسجن بأي معنى . على أن رمز السجان ذو بعد مهم من أبعاد - السجن الكبير - الذي رمى الى أبعاده كاتب القصة : السجان - المسجون - الناس - القاضي - القانون - .. والشرح في القصة هنا أيضا جاء على مستويين :

- ففي مستوى المفهوم لمعنى السجن الكبير ،فان حدوث التصالح بين السجان والسجين غير وارد أصلا ، لانه ينفي العلاقة الجدلية بينهما وبالتالي ينفي أي اعتبار للمسميات ومدلولاتها من جهة اخرى ، وبالتالي يعني بأن بطل القصة رضي بحالة استمرارية هذا السجن وهوالذي ثقب اذاننا من البداية طلبا للحرية ، وقبل بسجانه الذي لايخسر - بدوره - شيئا من هذا التصالح الذي غدا سجينه بفضله - طيعا لاداته - في انتظار نوع حرية - غريبة وغامضة وغير ملموسة - تنبثق من داخل السجين هذا اذا افترضنا وجود سجان محرض يدل سجينه على طريق حرية ما ، تنتزع من السجان في النهاية حريته هو ، في سجن حرية الاخرين .

- المستوى الثاني :

ان هذا التصالح يجعل المجرم يحب سجانه ويسكن اليه - فجأة - أي انه يرضى بسجنه يأنس له ، فكيف هو : حر بشكل ما .

- كما هي العادة -

المشاعر الصغيرة عندما يكشف عنها الغطاء السميك

قصة فيها دفء حنون . اللقطة فيها رعب اللحظة التي تكتشف معجزة عذاب وألم المشاعر في جزئيات الحياة التي ولت ، بأسلوب التداعي والحوار الذاتي ، وكان وراء المعاني واللغة والصور ثمة شيء يعزف في حزن مخنوق مكونا الحب الذي يظل - ان صفا - يقرع النبض مدى العمر . قصة تحكي في هدوء ، ومع ذلك ليس في القصة مايفاجىء ، بل مايمثل بانوراما الحياة أو شيئا منها بين جدران بيت ، بكل تفاهاتها الصغيرة تنعكس في رفق اسر على مراة نفوسنا ، وهي تتجمع مثل بلورات صغيرة تعكس ديدن الحياة فينا ، تبدو لنا - هكذا - حين لانفتقدها - نفتقد جوهرها - ، ويتساءل الانسان كيف يمكن أن تمثل هذه الجزئيات على لسان المرأة المقرورة المضطجعة في فراشها في الليل وهي متوهمة وصول زوجها الميت - مثل هذه الحرقة . لعلها الحقيقة اذ يقول أوسكار وايلد : - اعطني التافه وخذ ماشئت .... - فكرت أنه قدعاد ، وعندما كانت ساعة الحائط قد دقت

اثنتي عشرة مرة أعلنت انه جاء باكرا هذا اليوم على غير عادته فهو في عمله الليلي ، لاينهي حتى الساعة الرابعة من الصباح - .. - وهو يفعل ذلك كل يوم ، ثم ينطلق الضوء قويا ، معه تنطلق معه كحة خافتة ، طالما أعلنت له أنه يدخن كثيرا ، ولكنه يكتفي بالصمت ، ويدخن انها تحبه في كل أحواله ، تحبه بجنون ، تحبه حبا يكاد يدهشها - .. ويظل القاص بعيون محمرة وبقلب أسيف القلب قوي النبض ، وبنفحة متفجرة سادرة حزينة ولهيفة احتفظت بتوترها حتى النهاية يلملم صدفاته من - شاطىء مهجور - ، ويشكل الصورة بها تلو الصورة : - فكرت أن تبعد عنه الغطاء لتنهض اليه انها تستطيع أن تقدم له مفاجأة سعيدة اذ تفعل ذلك ، لقد كانت تحرص أن يجدها مستيقظة لتشاركه شرب كأس القهوة ، ولتقدم له - اناء - السكر وتتأكد من قفل - البوتاغاز - . انه رجل على كل حال ، وقد ينسى أن يقفل الجهاز وهو ينسى في احيان كثيرة ابريق القهوة فوق النار حتى يفيض السائل الاسود على جانب الابريق - وهكذا تظل الصور تتابع المرأة مستلقية في فراشها ترصد هذا التتابع

العادة ، وتصبح الاعمال العادية التافهة حكايات حب مجنونة مدهشة ترتج في صدر المرأة التي كنا ننتظر أن تقوم الى زوجها ، وبين الحين والحين كانت هناك عبارات مدسوسة تحكي - شيئا - صغيرا جدا عن حياتهما - فهما بعد عشرين سنة من الزواج لم ينجبا اطفالا ، لقد اكتفيا بأن تكون طفلته وأن يكون طفلها ، وهي لاتغار من الاخريات ، وهو لايجد وقتا ليفكر بالامر - . ونهاية القصة لم تبد نهاية قدر مابدت بداية لهذه النهاية .. نهاية تتجدد فيها تلك الصور في البداية مرات عدة . انه سيل الحياة الذي تغذيه ثلوج الحزن المتساقطة أبدا من اللوعة البشرية في افتقاد من نحب ، والتي فاجأتنا في السطور الاخيرة - الساعة تدق تعلن الرابعة صباحا ، هذا موعد عودته من العمل في العادة ، كان ذلك موعد عودته . أما الان فانه لايعود ابدا . وتلمس الدموع بلسانها . وتهمس تحت الغطاء : - أهكذا ياسيد بيتي تموت وتتركني وراءك ؟ - . والنقطة الهامة هنا ، أن القاص لم يرد في تلك النهاية أن يخلق - ميلودراما معينة جو اصارخا مفعما بالتفجع .. لم تزد المرأة المفجوعة أن تلحس الدموع بلسانها مثل قطة مسكينة وحيدة ومقرورة في الفراش ، حتى لتحس أن الكاتب بقدر ما حرك مشاعرنا تجاه هذه المرأة دون صراخ بقدر ماصاغ الحياة على - عزائها - أيضا - هذا التوازن لايقوم في كثير من قصصه ، الى جانب أن شيئا من الميلودرامية ، قليلا أو كثيرا صبغ هذه القصص : الريال مثلا - . فكان قدوم الساعة الرابعة محركا لحيوية هذه الذكريات حيث العزاء في اجترارها يوما بعد يوم . ان سياق القصة ذاته يأخذ بنا الى هذا الموقف الذي يجسد الحزن الاخضر بالنسبة الى حياة تبحث أو تجد في شيء مايدفعها الى الاستمرار . وان تلك التفاهات أيضا يمكن أن تكون شيئا غير تافه حين نفتقدها الى الابد من انسان كنا نحبه . القصة مركزة . لاتريد أن تقول شيئا كبيرا - وهي لاتدعي ذلك - لكنها تمتلك الاحساس في جدوى هذه المشاعر الصغيرة لدى الناس الذين يحيون بها في تعبد .

- رصيف رقم ١٣ -

- والضحك الخافت في الاكمان .. لكن ممن -

قصة تحاول من البداية أن تمسك بخيط الخوف - الموت ، وهو يتدلى من شفتي بطل القصة عندما يهب لركوب طائرة . والواقع فان الطائرة قد تبدو - رمزا - لعل الكاتب لم يفكر عند الكتابة - لمعنى وهم الخوف من حركة أو آلة حركة الزمن الغادرة ، تنضوي فيه ردود الفعل لدى الانسان حين يتوهم تتلبس لحظة الموت كيانه في مقدمات معينة ، فآلة الحركة السريعة هذه : الطيارة ، ستودي بنا في النهاية الى قدر محتوم .. الى رصيف رقم ١٣ . لكن كم من الحرارة والسخرية والنداب يمكن أن يتخيلها كل منا حين يكتشف ان رصيف رقم ١٣ هذا ليس محطة لموت يقف فيها عمر الانسان هذا ، بل هو صورة من الشريط الذي مازال يمتد من بداية معروفة الى نهاية لم تعرف بعد . والقاص عبر مسلسل من الاوهام والتناقضات النفسية والهواجس يسر بنا في مشهد تتداخل فيه الصور النفسية والصور الخارجية ليعكس بعضها وليفسره في عملية أشبه بالسيناريو السينمائي لكنه سيناريو لايعتمد : - اللعبة السينمائية - بالمعنى المعروف بين تأخير وتقديم وتوخي الاثارة السطحية بل هو يقدم لنا الصورة بآلة سينمائية تقترب من أعماق البطل التي تتحرك من خلال المشهد المادي الذي تنتقل

اليه لتعكسه مرحيا بدوره بأعماق جديدة لديه وهذه الالا وضعت في حسابها منذ البداية ـ عملية المونتاج ـ جانبا حتى تبقي حركة ـ التواصل ـ عفوية وهي تعكس وتنعكس لكن كانت تتصيد التطويل و ـ تثير المنظر الواحد ـ المضيفة تبتسم . ولكن ذلك لايبعث على الاطمئنان ، كلهن يبتسمن هكذا ، بثقة بلهاء وهو لا يصدقهن :

ـ أعرف أن هذا كفني ..

وامتدت عيناه في جولة سريعة بالطائرة الكبيرة .وحين اخذ لمقعده في النهاية ، سارعت يداه الى الحزام الجلدي لمجرد الاحساس بالامان ، ثم توقف تفكيره لحظة ريثما اقتعد الكرسي بجواره رجل طويل جدا يرتدي ملابس غريبة ، ثم ود ان يسأله : هل أنت عزرائيل ؟ . ولكن الرجل سبقه الى الحديث :

ـ البوينغ هذه .. كأنها قطار .. ـ .

وعلى هذا الايقاع تسير القصة في تناول يهدف الى اتساع دائرة التجربة حتى تشمل الانسان الا ان تفرد التجربة وتوحدها . ومن هنا اكتسبت القصة بعدا ايجابيا نوعا ما فليس مهما أن تخاف من الطائرة وحدها كما هو بطل القصة ، وليس مهما أن تنتابك الهواجس ـ المضحكة المؤثرة معا ـ ذاتها لديه ، وليس مهما أن تتطير من كل شيء تقع عليه عيناك لتفسره داخل قوقعة الفكرة الملحة التي تمتص أعصابك أو مابقي من قوى دماغك على التفكير ، لكن مايهم هو ـ الموقف ـ ، والقصة ـ موقف ـ وهناك مواقف كثيرة في حياتنا تقاس على الموقف السابق لاتقل مرارة وسخرية وهاجسا والحاحا فكريا ونفسيا عما ذكرت . واذا افترضنا ـ تفتيت ـ موقف القصة ، أمكننا ان نقول مثلا ، لطالما كان الانسان مجموعة متنافرة من الخوف والشجاعة : ـ لن أموت ، أنا مازلت صغيرا ـ .. لاأخاف الموت ـ .. ومن الامل والاحباط : حين أصل سأشرب كثيرا اه ،حين أصل .. ، ومن التلوث والتطهر : ـ سأسهر ليال حمراء ـ و ـ أغمض عينيه في وعد ان يصلي كثيرا لله حين يصل ـ ... وعندما وصلت طائرة البوينغ به ، كانت يد تحركه :

ـ الحمد لله على السلامة .. لقد وصلنا .

كان لايستطيع أن يجيب ..ولطالما انعقد لسان الانسان أمام مواقف اتخذها أمام الحقيقة التي تكمن فيها . واكتشف ان رصيف رقم ١٣ ليس بشعا بالمرة أو ليس بشعا اطلاقا وأن ثمة بشاعة ما تتخلف في كل شيء حين نتصور أننا حتى عندما نأكل الحلوى فلكي ننسى فقط مرارة المصير ولدي ملاحظتان على القصة :

الاولى : ان التمادي في رصد شخصية الخائف في خط طولاني متشابه الحلقات ، صبغها بكثير من بسمات ـ الكاريكاتورية غير الموحية . بدل تعميق الفكرة ودفعها عمقيا ، والمثابرة على الاستفادة من اسقاطات هذه التجربة على مواقف اخرى مشابهة قد تشمل جزءا لابأس به من دائرة الحياة من خلال ماتشعه الفكرة الاساسية ،بدلا من هذا الاغراق الوصفي بلا أية دلالة تؤكد على قيمة اضافية مهمة ولقد كان بامكانها أن تفعل ذلك .

الثاني : كان يمكن الاستفادة جدا من الاتجاه الذي اختطته القصة بدءا في مفهوم الوهم والامل ـ في لحظة خوف معينة أو ـ التأزم ـ وحتى ـ الحلم ـ والا ما الذي يميزها عن ـ ألاف ـ من القصص كتبت في هذا الموضوع بشكل أو بأخر ، بقيمة أو بغيرها .. ان الوهم والامل والتأزم والحلم .. أمور لطالما تفلت من أصابع القاص في قصصه ، في الوقت الذي يحاول الامساك بها جيدا.

ـ الريال ـ

ـ يبخل به الفقراء وحدهم ـ .

تبتدىء هذه القصة بعبارة تقريرية : ـ كل صفات الانسان فيه ، انه يشبه هذه الحيوانات التي اصطلحنا على تسميتها بالانسان ـ . ويتمادى الحديث عن هذا الانسان الذي عرفناه رقما من الارقام منذ البدء . وتحاول القصة ان تجمع لقطات حياتية من خارج هذا الانسان وتعكسها عليه لتفسرها وتعلق عليها ، حيث تبرز لهجة الكاتب واضحة في كل تفسير وتعليق . انه ـ تدخل ـ لايترك مجالا للقارىء في أن يسأل ويفكر ويعي ويتعرف فيظل متابعا في شوق حكائي مجاني هذا الانسان دون أن يترك له الكاتب فرصة ـ التدخل الانساني ـ وتصبح العملية تأثيرية بحتة تدغدغ شفقة العواطف البشرية الانية من الظاهر فقط دون أن تكون القصة رهزا ، وتصادما وكشفا ، وتثويرا لاعماق الفرد ، دون ان تكون ـ قلقلة له ـ حتى يحاول الوقوف على أرضية جديدة

اقرأ معي هذا التدخل الفج من قبل الكاتب :

– وعاد يبتسم ..

ان مايجمعه الانسان أكثر من أي شيء اخر انه يستطيع أن يبتسم ، وان كانت ابتسامته تأخذ معاني جديدة فتتحول بكاء بلا دموع – .

وهذا التدخل الاخر المماثل ..

– كيف يمكن أن يكون الانسان انسانا ، وليس في جيبه غير ريال واحد ؟ كان يفكر ، وهو يجرجر رجليه عبر الشارع الكبير ، وينقل عينيه بين الناس ، والحيوانات التي كان يشبهها – فكرة الحيوانات : الناس .. تكررت وهي جملة مريحة مجدفة تنقذ الكاتب من كثير من جهد النفس لتنوير الحدث بشكل جدي ، ورصد مايمكن أن تنطوي عليه استجابة الناس تجاه البؤس . – انهم لا يحسون به على الاطلاق – هذه الجملة أيضا تقريرية سقيمة ومحشورة ، ولا تتناسب مع ما يجب أن تتميز به القصة من تركيز واشارة . – منافره – الناس له – مشروحة – من البداية – ، فلو كان كلبا لاخافهم على الاقل أو لجمعته عربة – الفوريان – ولو كان قطة لاهدى اليه الاطفال قطعة لحم أو خبزا مندى – لكنهم جميعا لايلتفتون اليه الان .. هو .. الحيوان الانسان ، لا يعرفون أنه جائع ، وليس في جيبه غير ريال واحد اعتقد أن العبارات الاخيرة لاتحتاج الى تعليق بعدما قلته في السابق . شيء واحد كان ينقذ هذه القصة من الشرح والمتاجرة بالعواطف والتطويل المستهدف فكرة مكرورة مقررة من البداية : الحاجة وعدم تحسس الناس لها هذا الشيء هو لو صيغت القصة على لسان المسحوق نفسه . فالقصة الذاتية تترك المجال واسعا للكلام عن النفس والحالة والمصير ، وتجعل القارىء أشد تعاملا وتحسسا مع أهداف القصة وسيرها وعندئذ يتشكل – الموقف – الصحي من قبل الناس القارئين وحدهم الذي هو موقف الكاتب نفسه لكن دون تعليق وفرق كبير في الواقع ، في مثل هذه الحالة ، أن يتحدث الانسان عن مشكلته بكل الحرارة الذاتية التي تخدمه وبين أن يتحدث اخر عنه الى جانب فتح المجال أمام قدرة الكاتب على صبغ الاسلوب بالصبغة الملائمة للموضوع القصصي ولقد كانت تظهر في آن أو أخر ملاحظات مثل تلك التي يخبرنا بها بأن هذا الشحاذ – يعرف بالفراسة لانسان الذي يمكن أن يحدثه في الامر فيستجيب له ويمده ببضع ريالات . انه يختار عادة نوعا من الناس تبدو في اعينهم طيبة متفهمة للاوضاع ، فليبدأ اذن .. وراح يتفرس الوجوه .. هذا الوجه تبدو عليه نفحة كاذبة واصحاب هذه الوجوه يكتفون بأن ينصحوه ليبحث عن عمل .. وهكذا يتتالى شرح مدى انعكاس صفات الوجوه البشرية .. لكن هذه الملاحظات سرعان

– ماتضيع في – الميلودرامية – و – الرومانسية – و – عدم المعاصرة – ، الميلودرامية لانها حاولت أن تستثير عواطف الناس تجاه هذا المسحوق بطريقة مجانية تماما . والرومانسية ، لانها ارادت أن تجدف على تجاهل الناس طلبا – للاحسان – انه لايملك ريالا واحدا مع أن – وهنا تبرز في القصة عدم معاصرتها أو تخلفها – فيه صفات الانسان ومن مستوى الشهادة الابتدائية – أي أنه على وعي ما بحالته – .. ومع ذلك فبطنه فارغة . فلماذا؟ لا يعمل ؟ ، هل من المعقول الا يجد مثل هذا الانسان القوي الذي يمتلك القدرة على السير طوال النهار لقاء ريالات معدودات يتوسل اليها من الناس . الا يجد أي عمل – يكلفه أقل جهدا من الوقوف المضني – وبوعي ما منه أكثر جدارة وكرامة ومنطقية من أن تكون يده السفلى فقط الا تحتاج مطاعم حتى الى غسل صحون مثلا ، الى تقديم طعام .. ألا تحتاج مئات الورشات الى من يحفر أو ينقل التراب والاحجار أو الى من – يحرس – واقفا أو جالسا – و .. ان شخصا هذه صفاته نتوقع أن تدينه القصة كعضو اجتماعي بغيض ومحترف ، بينما القصة بموقفها هذا وهي تشفق على بطلها ، انما تقف موقفا رومانسيا تجدف على أي منظر مؤذ ، دون هدف التغيير ، والتفهيم ، والتثوير . ولاأدري كيف لايستحي البطل من قوله في سياق القصة على لسان المؤلف بأن «ابتسامته تأخذ معاني جديدة فتتحول بكاء بلا دموع » . ان معطيات بطل القصة النفسية والجسدية والفكرية كانت منسوخة من الاساس ، فأي عمل هذا لم يكن أفضل من – الشحاذة – الذي بحث عنه ولم يجده وهو القوي ، وأي مزاج هذا يجعله يقارن نفسه وامثاله بالقطط والكلاب المذهبة حتى يسوغ شحاذته ، وأي وجه اله هذا سوف ينظر اليه ،

وقد تقوس اسم العمل - أي عمل حتى ولو كان الاحتطاب - على لسانه تعالى في أكثر من مناسبة ....

ثم أخيرا تأتي - قفلة القصة - ولابادر الى القول هنا الى أن القاص تكون عنده قفلة القصة غير منطقية بمستويات متفاوتة - كما ألمحت اليه في حينه - عبر السياق القصصي وما يمكن أن يفرزه في النهاية ، وهذا ملاحظ في غالب القصص ، بمعنى أن القفلة بحد ذاتها ليست مسوغة بنفسها ، فالمجال القصصي مفتوح أمام القاص لاختيار وصياغة القفلة التي تعني شيئا ما ، القفلة التي قد تبدو مستحيلة وممكنة معا في سياق وضع ما ، لانها هادفة ومبدعة وتشد القارىء الى التفكير والتأمل والاستزاده من فهم المسوغات واسقاط المعاني ، ان السحيمي يقدر على أن تكون لديه : « قفلة ذات مذاق» بحد ذاتها ، لكنها - قفلة بغير مذاق - ..مهدورة ومنفرة أحيانا في مكانها غير المناسب . تبدو كأنها - قدرة - على التخلص فقط من أي تفسير . في حين بدايات القصص تصب ما في النفس دون - هندسة - معينة ، دون انتظار .. أحيانا تقريرية تفسد كثيرا فما يمكن أن يؤديه الفن القصصي .. وأحيانا تحكي كل شيء من البداية ،فلكأنه لم يعد هناك أي داع لكتابة القصة .. وأحيانا تتداخل هذه الامور لتفسير القصة بصورة أكثر سوءا . لااريد بقفلة القصة - معناها الضعيف الساذج :هي تلك العبارات الاخيرة التي تختم القصة ، بل هذا الموقف الاخير الذي ينهي القصة . - ولا أعني هنا مفهوم المقدمة والعقده والحل في القصة التقليدية - فالقصة القصيرة المعاصرة قد تكون مواقف صغيرة جزئية أو حالات متداعية تقفل في النهاية بموقف متمم أو حالة كاشفة ما تعطي مفهوما معينا ذكيا يعنيه الكاتب ويلمح اليه ويترك القارىء يتقلب في تفسيراته أو يحددها تجعله ، على الرغم من ذلك ، يصل الى هدف ماواحد سعى اليه الكاتب،لكن بانعكاسات مختلفة ، وهكذا ، نجد قفلة القصة في قصة : -الريال- في أن الشحاذ وجد عزاءه أخيرا في وجه من وجوه الناس غير أنه فوجىء بأنه شحاذ اخر مثله باحث أيضا في وجوه أخرى ، فما كان منه الا أن أعطاه - رياله الوحيد - .. لفتة انسانية بحد ذاتها ، تؤكد على موقف مهم ، هو أن المسحوقين لهم قلب واحد ، ونبضات واحدة .. لكنها مجانية تماما حين نتساءل : كيف يمكن لهذه الشخصية بالذات أن تشفق على غيرها ، في حين لا تعمل شيئا من أجل الاشفاق على نفسها ؟.. وفاقد الشيء لايعطيه .. ثم يبالغ القاص في اشفاق صاحب الريال فيحدث نفسه قائلا : - ريال .. انه لا يكفيه - .. وكان يمكن أن تنتهي القصة ، لكن ماأفسد هذه النهاية أيضا ، تدخل الكاتب مرة أخرى تحت تأثير دافع أنه لم يقل شيئا مهما أو مقنعا ربما ، أو انه يجب ان يتغنى بما فعله بطله حتى يشرح للناس ما ألح اليه ليؤدي المعنى به كاملا ، أو تحت تأثير خطأ عدم المراجعة المستأنية لما يكتب . اقرأ معي ما قاله بعد الجملة السابقة - وذابت الدمعتان أخيرا - حين كان يكتشف أنه يعطي الاخرين شعورا بأنه انسان .. رغم جيبه الفارغ - .. فمن ظل لم يعرف بعد ، أنه - انسان - وأن جيبه فارغ ، وأن ريالا واحدا لا يكفي.. و .. و - أنه بدأ يندم عما فعل أصلا - .

* - حمدان -

حمدان : - عيناه تجحظان في عينيها فيحس أن سمراء الطفولة بلا لون ، بلا طعم ، برائحة قوية هي خليط من البصل والتوابل ؟ - وايضا : - كان صوتها حين لاتصيح يهدر كبحر .. - .. ويمضي السحيمي في رصد عذابات حمدان الموظف الصغير في المحكمة ، الذي قبل أن يعيش آلامه الخاصة هل هي نتيجة كونه متزوجا مسؤولا عن - رعية - : - بنت وولدين وزوجة - و - المسيح كان أعزب ، من أجل ذلك تقبل أن يجمع في قلبه كل آلام البشر أم لكونه لم يعد يجد القدرة على أن تنسجم نفسه مع العالم المجنون في الخارج ، حيث غدا أمثاله - من الاغبياء الانقياء - يرجمون بالشفقة والبلادة والخمول حتى من قبل زوجته : - ستقضي عمرك خاملا هكذا -.. شيء مرعب أن يختار الانسان في هذا العصر ، الذي أمس تياره يحرف الناس ، جلهم ، كاد أن يلغي أخلاقا انسانية تليق به وحده ، عمل منذ قرون من أجل ان يؤسسها لنفسه سعادة له ونماء وحماية من العدم والعبث والبوار - السكاكين تنغرس في قلبه - وهو في ملحمة الحياة القاسية هذه المفتتة للروح والجسد . - انه يموت ببطء - . زهرة زوجته تصرخ في وجهه : - كل شيء في غاية السوء هنا ، أنا لاأدري كيف قبلت الزواج منك .. لا أدري أين كان رأسي يوم قبلت ؟ .. كم هي المسافة في هذا العصر بين الحب بشيء والحب ؟. كم المسافة بين الاستقامة ونقيضها .. أن تعيش نفسك ، وأن تعيش

الاخرين حتى تصير حالتك مثل أحوالهم ، فكيف – هم – اذن : – اشتروا الفيلا والاثاث الفخم والتلفزيون والثلاجة والسيارة .. ؟ .. سؤالها غير مجاني . وزوجته تضحك من غبائه : من شرفه كما يفعل أسياده أيضا . وحتى هذا الاختيار الصعب يضعه في دائرة الشك التي شملت الجميع ، هو الذي عاش حياته دائما شريفا ، وكان لقاؤه بزوجته شريفا ويصر على أن يظل محتفظا بهذه – القيمة الكأداء المخزية ، انه يدفع الثمن غاليا .. أعصابه .. مستقبله .. ولم يزود بعد بما سيأتيه الغيب .. فهل يصر على موقفه ؟ ..

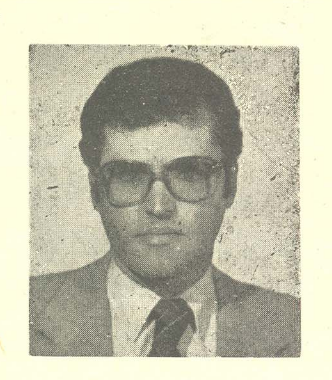
ويأتي صباح سيء أخر ، والدخان الاسود على الريق وهو هارب من البيت بلا مزاج .. من البيت الذي غدا مسرحا للصفع والعويل والمطالبة بدفع – الفدية – دائما . في أخر الامر يمد يده ، ويحرق ملفا كاملا في المحكمة ، ويلتقط ثمنه مائة ألف ، وكان الحاج بوشعيب يضحك بخبث : – كل زملائك يفعلون ذلك يا حمدان .. .. وهكذا كل شيء تحول داخل البيت ، كما تحول كل شيء خارجه في أتون هذا العصر ، لكن أعماقه ظلت تصرخ – انني لم أفعل ذلك بعد – لكن من يصدق ؟. حتى ولو: – أغرق في بكاء ندم لم يكن يفهمه أحد – . وهكذا ،يقدم القاص نموذجا معروفا لموظف صغير مأزوم ومحاصر في بيته ومجتمعه ، بحيث لا تسمح له الظروف في التمادي في الثبات على مبادىء الشرف والكرامة في سبيل حياة صالحة نظيفة . فالبيت المعاصر مقلد طماع واقع تحت تأثير مغريات لانهاية لها ، ويريد أنيحيا كما يحيا الاخرون دون حساب لامكانياته الواقعية ، ولايهم بعد ذلك – الوسيلة – ، مادامت الغالبية تدوس على كل مبادىء الاخلاق في سبيل الوصول الى أهدافها ، المادية منها خاصة . ان الاب في وضعه ، يدخل معركة خاسرة مع نفسه ، ومع بيته ، ومع مجتمعه ، في الوقت الذي لا تعطيه سلطة المجتمع مايكفيه ويكرمه ، وما يدفعه الى موكب السرقة والاختلاس والرشوة . حيث بدأ الانسان المعاصر يرفع مثل هذه السلوكيات شعارات مقابل الذكاء والحنكة والحكمة أيضا . وعندما يسقط الاب ، ويبكي ، لم يكن ليجد أحدا يفهمه . و –الاعتزال– في مثل هذا – التسابق المادي – دون أن تتحكم في المجتمع عناصر التعامل الشريف والتعاون الجمعي ذي الغايات النبيلة التي تعود بالنفع على مجمل مرافق المجتمع وتحث على الكسب المشروع – هذا الاعتزال شبه مستحيل لكنه ليس – بحال – مستحيلا ، والا انتهت الحياة ، لكونها في الحالة المريضة السابقة تهدم نفسها بنفسها .. وهذا هو سر نذير : – سقوط الحضارة – في المجتمع الاستهلاكي الغربي .

أقول هذا لان المؤلف أراد من بداية القصة أن يدفعنا الى أن نتعاطف مع – حالة – حمدان ، وأن يحرك فينا مشاعر الالتزام ، والتعرف على فدح الثمن الذي يمكن أن يدفعه الانسان في غمرة مشاعر نبيلة لا ترضى أن تعزف على الوتر الناشز الذي يعزف عليه غالبية المجتمع . لكن تحليله النفسي ظل طافيا ، وبخاصة حين أراد أن يسمعنا عزف الاب المنفرد داخل جوقة المجتمع . كان يكثف أحيانا معاني جءيلة في عبارة تهب لنا مدى واسعا أمثال : – فقد أعطت ارتجافاتهما بنتا وولدين – و – هو في صمته الاسود وهي في صيحاتها المدوية البيضاء – و – أنتعذبه بالتفاتاتها المتوحشة الى البيت الفارغ من كل اثاث –.. غير أنه بقيت معطيات الحياة النفسية الداخلية لبلورة التأثير النهائي في التحول لدى الاب فقيرة وذات اتجاه واحد ، كما أنه لم يتوسع في خدمة أفكار حمدان حول ما يفترض وجوده في عملية التسابق في – النهب – وما – ينخر – في بنية المجتمع من خلال رموز حيه تحدث – الرفض – المتوخى لدى القارىء ، حتى يكون – السقوط – فجيعة دقيقة من جهة و – دافعا – للتحول لدى الاب من جهة ثانية . ويمكن ألا نعطي أيضا كبير أهمية لطريقة استعمال الكاتب اللون الابيض واللون الاسود ، فعلى الرغم من أن الحياة في الواقع لاتمثل دائما لونا – أبيض ناصعا تماما أو – أسود – أدلج بالكامل ، الا أن الفنان يحق له احيانا استغلال التأكيد على مدى المفارقة الفاغرة فاها بين اللونين – ينبىء – و – يدق ناقوس الخطر – و – يوضح أفكاره ويكثفها – ، في دعوى القصة .

سورية   * دريد يحيى الخواجة

في الخبز الحافي

محمد شكري يؤرخ للذين تجاهلهم التاريخ



ولد بالدار البيضاء سنة ١٩٥٠ انقطع عن الدراسة عام ١٩٦٨ والتحق بمؤسسة تكوين مستخدمي الابناك . نشر نتاجه القصصي بأبرز المنابر الصحفية المغربية والمشرقية كـ ـ البيان ـ و ـ العلم ـ و ـ الطليعة الادبية ـ و ـ المسيرة ـ .. سنة ١٩٧٩ أصدر مجموعة قصصية موسومة بـ ـ تموزقات ـ ، كما أصدر سنة ١٩٨٠ رواية ـ رحال ولد المكي ـ

محمد صوف

الريف .. الحرب .. الجوع .. وطنجة الحلم .. وتهاجر العائلة الصغيرة الى طنجة ... الام الحنون .. والاب العنيف كالحرب ... كالجوع .. وفي طنجة يمارس الصغير البحث في صناديق القمامة بين أكوام المزابل عن لقمة عيش ..

فوق كل هذا أب غاضب .. يضرب دون هوادة .. يضرب الام .. والولد يشتمهما . ودون هوادة يرفض صراخ الاخ الصغير الباكي جوعا ويلوي عنقه . أمام هذا المشهد يبكي محمد شكري أخاه القتيل ..

ويرتاح شكري عندما يلقي على الاب الهارب من المعسكر الاسباني القبض .. ثم يذهب لاقتلاع العشب وبيعه في السوق لضمان لقمةعيش .. كسرة خبز تشتريه الام من المتسولين ..

تولد رحيمو الصغيرة .. يعود الاب من السجن .. ويكتشف الصغير أن غضب الوالد في النهار ينهار ليلا في فراش الام .

بحثا عن لقمة أحسن .. وعن عيش أقل عناء ترحل العائلة الى تطوان ... هناك تبيع الام الخضر ويمارس الاب بطالته الغاضبة معاشرا معطوبي حرب اسبانيا في ساحة الفدان .. و .. الصغير يعمل في مقهى من السادسة صباحا الى الثانية عشرة ليلا .. وفي آخر الشهر .. يأتي الوالد العاطل ليقبض أجر ابنه ...

في هذا المقهى تعرف شكري على الكيف ، والخمر .. كانت مكافأته دائما كأس خمر و ـ نترة ـ من السيسي اذا ماأسدى معروفا لاحد من زبائن المقهى ..

يتعب الصغير .. ويغادر المقهى ليعمل في معمل للاجر بأجر ضئيل جدا ، يتعة يغادر ليعمل عند صانع لاواني الخزف ... يتعب .. يرفض العمل ..

وهنا يؤكد له الوالد أن قيمتة تتجلى في عمله .. فيصبح ماسحا رديئا للاحذية ثم بائعا للجرائد ..

عندما تبدل الاسرة سكناها يتعرف على صديق جديد اسمه التفرستي .... التفرستي يشكل نقطة تحول في حياة محمد شكري .. معه يتعرف على المبغى وعلى حرودة أول امرأة في حياته .. يكتشف اذن عالم البغاء .. مع التفرستي يعاني من كساد ناتج عن متاجرة فاشلة في الفواكه .. فيتحول الى حمال متنقلا من محطة القطار الى الميناء ..

بعد صراع مع – كوميرو – يبرع في استعمال الشفرة وينتقم لاخته رحيمو التي حاول كوميرو الاعتداء عليها .. تأتي الرحلة الى وهران ..

كان الطريق الى وهران مشحونا بغضب الوالد وسبه .. وفي وهران يعمل شكري خادما في مزرعـة السيد سوكوندي ، ثم في بيته ..

الا أن أنفه الصغير واعتزازه بنفسه كادت تخلق لـه مشكلة مع مشغله .. فقد رفض غسل ثيابه الداخليـة فتتفهم زوجة السيد سوكوندي الام وتنقذ الصغير مـن البطالة ..

تمر ليالي وهران بطيئة طويلة يخرجه من بوتقـة الملل فيها سفر الى سيدي بلعباس حيث يجد صديقا جديدا يتمثل في والد السيدة مونيك زوجة مشغله وفـي سيدي بلعباس يكتشف شكري في عملية تلصص أن المرأة تنزف من أسفلها في فترة معينة ..

كل هذا وذكريات تطوان لا تفارقه .. وحلمه بالمبغى ونساء المبغى يداعبه ... يضيق عليه الخناق فيرغم طفلا جميلا على الاستسلام له في أحد الحقول وسط خضم من الحنين الى الكيف والخمر والافخاذ الجميلة وتطوان ..

ويعود الى تطوان .. يعلم أن الزمن أعطى ثم اختطف اختا .. وان الام حامل من جديد .. والاب لازال يمارس بطالته في ساحة الفدان .. بينما بمساعدة رحيمو تكـد الام من أجل لقمة عيش ..

الاصدقاء هم الاصدقاء .. والمبغى هو المبغى ..

وفي ازقة تطوان .. يجد شكري متعة النوم وسط ايقاع أنفاس القطط ... تضع الام حملهـا .. فكانت زوهرة .. ثم يدخل شخص أخر حياة شكري بعد التفرستي .. ذلك هو السبتاوي ... للسبتاوي ام تحتضن النساء وعشاق الليالي الحمراء .. فتتوطد العلاقة معهما زمنا ..

ويعود الى مسـاعدة أمه في بيع الخضر بعد أن يتصالح مع أبيه .. يلتقي بالتفرستي من جديد .. ويرى شكري لاول مرة عالم الملهى الليلي .. يرى الرقص العاري وهزة البطن .. يدخل تجربـة أخرى الا أن كره الوالد يتضخم .. يصل ذروة تمنى معها شكري قتل والده .. كان هذا الكره لايعادله سوى الرحيل الى طنجة والابتعاد عن هذا الوجه الذي مقته كثيرا ..

ماذا في طنجة ؟ ..

النوم في المقبرة .. التعب .. الجوع التسكع .. البؤس ..

في أول ليلة في طنجة يحاول أن يعمل .. فيرفض عمله .. المسافرون رفضوا حمله لحقائبهم – كان يثير الاشمئزاز – .. فينام جائعا على درج المحطة ..

ويظهر شاذ لينقذه من الجوع .. .. يمنحه نقودا بها فكر شكري البحث عن مكان يقضي فيه الليل .. فكان فندق الشجرة الذي حاول فيه بعض رواده الاعتداء علـى بطلنا الصغير .. يتهرب منهم ينام تحت قوائم بغلة .. تبول عليه ... فيخرج للاغتسـال في احدى الحنفيات العمومية .. ثم يقضي الليلة في عربة قطار ..

في طنجة يكون شاهدا علـى مظاهرات ٣٠ مارس .. ذكرى دخول المستعمر الى الوطن .. يرى بأم عينه عددا من المواطنين ينهار تحت رصاص العدو .. يرى الرصاص يواجه العزل .. يرى العزل لايهربون من الرصاص ..

وفي خضم المعركة يتعرف علـى الكبداني ثم علـى قابيل .. قابيل مهرب ومتاجر في الاغراض .. مع هذين الشخصين يمارس أول عملية تهريب يلقى خلالها القبض على قابيل ويموت فيها الكبداني ..

ويؤخذ الى السجن من بيت للدعارة هنـاك يتعرف على أول حروف الابجدية .. هناك تولد فيه رغبة المعرفة .. تكبر الرغبة وهو يتاجر فـي البضائع المهربة ويقرر في النهاية أن يتعلم ..

وفي طريقه الى العرائش حيث سيكون تلميذا فـي العشرين من عمره لاينسى أن يزور قبر الاخ القتيل ..

تلك سيرة محمد شكري الذاتية .. .. تاريـخ العشرين سنة الاولى من حياته .. رسمها كما هي بنفس

المرارة التي عاشها ، معاناة من السطر الاول الى السطر الاخير لم تكن معاناة الكاتب وحده ٠٠ كانت معاناة لطبقة اجتماعية معينة تجوع ٠٠٠ تتسكع ٠٠ تبحث في المزابل عن خبز حاف وتندفع حتما الى السكر والحشيش ٠٠٠ والذعارة والتشرد ٠٠

أرخ محمد شكري لحقبة من تاريخ المغرب ٠٠ لمعاملة المستعمر لابن الشعب أرخ للكادح الذي خرج الى الشارع ٠٠٠ مسلحا بايمانه وأي شيء في يديه ٠٠٠ عصا أو حجارة منددا باحتلال الوطن ٠٠٠ ثم مستشهدا مجهولا ، لايثير انتباه أحد ٠٠

محمد شكري رسم كيف دفع البؤس بالاب الى قتل ابنه وكيف كان غضب الفقر والفاقة ينصب على الزوجة والابناء ٠٠٠ وكيف كان الطفل يستغل في المقهى والمعمل ٠

في الازقة ٠٠ والمقابر ٠٠ والمقاهي والبحر ٠٠ مسح شكري الاحذية ٠٠ نام باع الجرائد ٠٠ عمل ٠٠ هرب ٠٠ تصارع سرق ٠٠ دخن ٠٠ تحشش ٠٠ سكر ٠٠٠ عاشر البغايا ٠٠ دخل السجن ٠٠ ثم قرر أن يتعلم ٠٠ فتعلم ٠٠ كتب سيرته الذاتية فرفضت النسخة الاصلية بينما نفذت النسخة الفرنسية وراء الاصلية بينما نفذت النسخة الانجليزية من السوق ٠٠ وتكون النسخة الفرنسية وراء ظهور محمد شكري في برنامج ٠٠ ٠٠ – أبو ستروف – التلفزيوني في فرنسا ٠٠ وتكون هذه النسخة أيضا وراء اعتزام نقل أحداث الكتاب الى الشاشة ٠٠

كل هذا والاصل ينام في أدراج مكتبة شكري ٠٠ يعلوه غبار رواسب الماضي والحياء ٠٠ والتقاليد ٠

ثم ماذا قال محمد شكري في كتابه يسيء الى الاخلاق ؟ ٠

لم يفعل أكثر من أنه عبر عن الحقيقة بالحقيقة ٠٠ لكن لازلنا للاسف الشديد نخجل من الحقيقة ٠٠ نرفض أن نرى أنفسنا في المرآة عراة ٠. وعندما رأى شكري نفسه عاريا رفضناه ٠٠

والاغرب أن الكل معجب – بالخبز الحافي – ٠٠ فمن أين ينبعث الرفض ؟ ٠٠ فمن أين ينبعث رفض ؟ الكل يشيد بشجاعة هذا الاديب المبدع ويخشى أن يكون شجاعا ليظهر النص الاصلي ٠٠

لكم قتلنا أن يحمل كل منا في الداخل ضده ! ٠٠٠

محمد صوف

البحر في الأقصوصة المغربية



ولد عام ١٩٥٣ بوجده · درس الصحافة في لبنان · لكنه عزف عنها عقب احتدام الحرب وعاد الى المغرب لينصب اهتمامه على الدراسات الادبية · ساهم بنتاجه النقدي في – البيان – و – افاق عربية – وسيصدر له عما قريب كتاب ومجموعة قصصية ·

مسلك ميمون

ان البحر يلعب دورا مهما في الاقصوصة المغربية اذ منه تستنبط عدة مواضيع حياتية ، تبين مدى الاهتمام الذي يليه الانسان المغربي · لعانصر بيئته الطبيعية ··

ان امتداد الساحل المغربي شمالا ، على البحر الابيض المتوسط في طول يبلغ ٥٥٠ كلم ، فضلا عن طول الساحل الغربي على المحيط الاطلسي الذي يبلغ ٢٧٠٠ كلم كل **هذا يشكل واجهتين بحريتين لايستهان بهما · الشيء** الذي جعل المغرب يحتل مكانة استراتيجية مهمة بين افريقيا من جهة وأروبا من جهة اخرى ·

وتاريخيا ، عرف المغاربة الاولون ، الغزو الاجنبي من: فينيقيين ، وقرطاجنيين ، ورومانيين وبيزنطيين ووندالبين ، وبرتغاليين واسبانيين ··· ولم يأت هذا **الغزو في الغالب الا عن طريق البحر ، لهذا حصنت المدن** الساحلية ، واعتنى الاهالي بركوب البحر ، فأجادوا القتال فوق مياهه المتلاطمة ، وأمواجه المتلاحقة ،وتياراته الصاخبة ·· كما أجادوا الابحار بتجارتهم ، أو طلب الرزق في صيدهم ···

ولقد أثبت علم الاحاثة – بالي أنتالوجي – ان المغرب لم يكن في معظمه صحراء هي امتداد للصحراء الكبرى بل وجدت أثار وبقايا حيوانات في الرمال تثبت أن مياه البحر كانت تغمر جل صحارى المغرب في العهود الغابرة ·· ثم جفت ، وتقلص البحر ·· اذ – ١ – انه بالاضافة الى العوامل الطبقية الارضية المتميزة – بتفوق ساحق – لحطات سطح الارض أمكن تحديد أمر ثابت لايعتريه أي شك، وهو يتمثل في دوام الحياة الحيوانية خلال أزمنة **جيولوجية سحيقة حيث كانت حيوانات تعيش في مناخ حار يتميز بالرطوبة ، كانت من أصناف شهدت بها أنواعها** المتحجرة التي اختلطت بأدوات العصر الحجري القديم والادنى ·· —

وفضلا عن كل هذا ، فقد فقد البحر مصدر الهام **وايحاء ·· فلا غرو أن كانت الاقصوصة كفن أدبي قد** استنبطت منه عدة أفكار ، سرعان ماتبلورت في شكل فني رائع ·· يوضح مدى الروابط المحكمة بين الانسان والبحر ·· وهذا مانسعى لاثباته في هذا البحث ·

ولعل أول قاص أولى البحر عناية كبيرة هو الاستاذ **محمد ابراهيم بوعلو ، ففي مجموعته –٢– السقف –** يسعى الى الرزق سعيا ، وينتظر عطاء البحر انتظارا!

.. فوق صخور ناتئة قاسية .. يقترب منه سائح أمريكي فيدور بينهما الحديث حول البحر والصيد ..

« أمريكي .. ؟ »

– نعم .. أمريكي .. بلادكم جميلة ..

ولم يجبه بشيء بل فكر : – انها كذلك بالنسبة للاجانب –

– أتأكل كل هذا السمك .. ؟

– ابيعه .. هل تشتري ؟

– لا نحن نأكل في المطعم ..

– مع الاسف ..

– عفوا .. ماذا تقول .. ؟

– هل تصطاد السمك في بلادكم .. ؟

– لا .. أحب فقط أن أتفرج على الصيادين .. – ص١١

وتنتهي الدردشة بأن يستضيف الصياد السائح الامريكي مع زوجته ليتناولو معه الشاي في بيته – وفي كأسين قذرين شربا ماءا وسخا منعتهما اصول المجاملة أن يلقيا به على الارض ، وفي نيتهما أن يتناولا دواء مبيدا للمكروبات بمجرد خروجهما . وتبادلوا بعض كلمات عن السمك والبحر والشمس .. والهدوء وهم ينظرون الى خارج المسكن الوسخ ، حيث شمس المغرب تنعكس على صفحة الماء المترقرق في منظر بديع .. ص١٣

بعد ذلك صاحب الصياد الامريكي وزوجته الى المدينة ليتجول معهما نزولا عند رغبتهما . فاشتريا له بعض الاشياء ، كما كان من كرم الزوجة الامريكية أن اشترت قارورة عطر لزوجة الصياد . وحين حان الوداع طلب الامريكي عنوان الصياد من أجل المراسلة . فاضطرب الصياد واحتار لحظة قبل أن يجيب : – هنا .. البحر .. المغرب .. –

الحكمة في هذه الاقصوصة البسيطة لاتظهر من خلال **قراءتها قراءة عابرة .. بل لابد من عملية تقابل واعية بين** شخصيات ومواصفات الاقصوصة والرموز والدلالات التي تشاكلها في المجتمع المغربي .. اذمن هو الصياد في الواقع ولماذا – بالضبط – أراده القاص أن يلتقي بأمريكي دون غيره ؟ ثم مالسر في زيارة مسكن الصياد ؟ وما هي الخلاصة في شراء قارورة العطر لزوجته ؟

وبالتالي مامعنى تبادل العناوين بين الصياد والامريكي **وان كان الصياد لم يجد عنوانا الا قوله : هنا .. البحر** .. المغرب .. تلك هي الاسئلة التي تشار في النهاية .

ومن نفس المجموعة تستوقفنا اقصوصة – صيد الفجر – فان انعدم فيها الرمز والايحاء .. فاننا نقرأ من خلالها هواجس صياد ينتظر رزقا من البحر :

– الصبر هو الشيء الوحيد الذي يغنمه الصياد حتى ولو لم يصطد شيئا – – ولكن أليس لهذا الصبر من اخر – ٧٠٣ – لاشيء أفضل للصياد اذا كان صيده ضخما من الانسجام مع التيار .. اترك التيار يساعدك لاتعاكسه لاتجذب الا اذا أقبلت الموجة .. كن رزينا فهذا الصيد كلفك ليلة بكاملها – ص٧٢ : هواجس وخطاب داخلي بين **الصياد ونفسه ويتكرر هذا في اقصوصته – ٣ – صراع** مع البحر – ولكن بنوع من الخوف والشعور بالضياع .. كما يتكرر أيضا في اقصوصة – ٤ – الطفلة والصياد

ولعل الانسجام ، بين البحر وكائناته والانسان المغربي يبدو واضحا في عدة أعمال قصصية نخص منها للذكر – فقط – أقصوصة – طيور البحر – اذ نجد امرأة أتى فيضان النهر على كل متاعها وأغرق زوجها العجوز ، وأتلف متاعها ، ولم يبق لها شيئا .. فخرجت تطلب رزقها عن طريق التسول ، وأخذت تجمع الخبز ثم تبيعه فمرت يوما بالقنطرة التي تربط – مثلا بالرباط – قرب المحيط .. حيث تتجمع أسراب الطيور فراقها هذا المنظر ، فأخذت ترمي بقطع الخبز للطيور المائية البيضاء : فكرت في أن تحتفظ بشيء لعشائها ، ولكنها لما شهدت أن الطيور تغطي سماء القنطرة ، وأنها أشد منها جوعا فضلت **بأن تؤثرها على نفسها – ص١١٧ ولطير البحر ذكر اخر** في اقصوصة – السمكة والسرطان – من مجموعة – شخوص معلقة من الارجل –

غير أن البحر بأمواجه وصخبه ، بمده وجزره ، برائحة اليود التي تفوح منه ، بسفنه برماله بصخوره ... كل ذلك يستحيل ذكريات حالمة في ذهن جد مسن قضى شبابه بحارا .. وقد دار الزمان دورته فأمسى شيخا

عجوزا لايملك الا أن يجلس على الشاطىء يحدث حفيده عن ذكرياته ٠٠ فتغرورق عيناه بالدمع وذلك مانجده في اقصوصة – البحار المتقاعد – :

– سامحنى يا أبي ٠٠ ان جدي قد قال لي بأنه لابد وأن نحضر سفينة الى شاطئنا ، وسيعرفني على أصدقائه الذين اشتغلوا معه طيلة حياته – ٠

– واندهش الاب من السر الذي أخذ يفشيه ابنه وما لبث أن عقد مابين حاجبيه ، فأدرك الصبي أن أباه قد حزن بدل أن يفرح كما فعل هو قبل قليل ولم يدر ماذا يصنع وبعد برهة سأل أباه :

– ولماذا أنت حزين هكذا ٠٠ ان جدي هو الاخر يصيبه حزن شديد كل مساء – عندما لاتحضر السفينة ٠٠ بل هو يبكي أيضا ٠٠

أيبكي أيضا ؟

– نعم ٠٠ كل مساء قبل أن تعود ٠ –

وربما أقصوصة – البحار المتقاعد – أو أقصوصة – طيور البحر – أو غيرهما ٠٠ لاتثيران شيئا في نفس قارىء لاصلة له بالبحر ، بيد أنهما تحركان مشاعر الالفة والحنين بكل قارىء ، ظلت ولزمن طويل تملأ خياشمه رائحة اليود والاملاح ، وتشده الطيور البيضاء على الرمال تارة وعلى الازرق المترامي الاطراف تارة اخرى ٠٠ بينما يغيب بصره وراء سفينة ابتلعها الضباب ٠٠٠٠

وتتأكد الصلة من جديد بين البحر والانسان – تزكية لما سبق – في اقصوصة – السمك الهارب – من مجموعة –٦– « شخوص معلقة من الارجل » اذ نجد شخصية الاقصوصة من هواة الصيد ولايريد من حياته أن يمر اسبوع دون أن يصطاد فيه ٠٠٠ وفي ذهابه الى البحر لم يكن يفكر الا في الوصول ٠٠ الشيء الذي جعله يخالف قانون السير ٠٠ ويعرض نفسه الى ذعيرة فيغضب زوجته فتعاتبه مخافة عن اقتصاد البيت :

– ماذا حدث مرة اخرى ألم يسهل الله في السمك كالاسبوع الماضي ؟

– بل وأديت ذعيرة للشرطي على السرعة المفرطة والمرور في الضوء الاحمر ٠

– ان قصتك مع السمك يجب أن تصور في التلفزة انها مضحكة : اترك هذا السمك واذهب لشرائه من السوق ٠ انك عنيد يامحمد وثمن عنادك يساوي ثمن الوقود وثمن أدوات الصيد والطعم والوقت والذعيرة اشتر السمك وأرح نفسك ٠

– اللذة في الصيد لافي السمك ، المتعة في القصبة وفي الانتظار وفي الفرح والنتيجة والتجربة –ص ٨١–٨٢ اذن من كل هذه الامثلة نستشف تلك العلاقة الوطيدة التي لم يزدها الزمن الا متانة وقوة بين الانسان المغربي والبحر الذي يلفه شمالا وغربا ٠

الا أن هذا البحر الذي هو مصدر رزق العديد من المواطنين ، والذي هو بالتالي مورد اقتصادي ٠٠ ظلت تتطلع اليه الاطماع منذ غابر الازمان ٠٠٠ وفي عصرنا لازالت تعبر عليه قوارب صيد اجنبية ٠

٠٠ ولقد كان لهذا صدى أبت الاقصوصة المغربية الا أن تترجمه فنيا ٠٠ ونجد ذلك واضحا في اقصوصة – البحر يحترق – لرضوان حدادو – ٠٠ وعلى مد البصر سياج من أضواء يكبل البحر ٠٠ يخترق جبال العتمة ، قافلة من المراكب الاجنبية المغيرة التي تقطع على القرية رزقها ٠ –

فاجتمع بحارة القرية ليتشاوروا في أمر القوارب الاجنبية ٠٠ « شهابا وكأنه نابع من وراء أسوار التاريخ السميكة كان يأتيهم صوت الجلالي :

– أجدادكم كانوا رجالا ٠٠ هل يعرف الواحد منكم كيف يكون رجلا ؟

– مرة اخرى نضرب عن الصيد ونشتكي من المضايقة ٠ في يأس قال الروبيو :

– ندفع بقواربنا الى الافق حيث المراكب المضاءة ، فنبعدها ، أو نعطي أجسادنا للبحر الذي كثيرا ماأعطانا ٠

ونال آخرون أشياء كثيرة والجلالي يستمع وفي عينيه غيض وألم :

– اسمعوا يا أولاد ٠٠٠ هذا البحر لم يعد لكم ٠٠ عليكم أن تحرقوه ٠ – ص ٥٠ – ٥١

وكما كان البحر في الاقصوصة المغربية مصدر رزق وذكريات وارتباط بالعنصر البشري وبالتالي مطمعا **للطامعين المغيرين ٠٠ كان أيضا مسرحا لاحداث شتى** ولكن كيفما كان الحال بقي دائما ذلك الخيط الرفيع صلة وصل بين البحر والانسان ٠٠ كما سنتبين ذلك ٠

فمن الاقصوصات التي اتخذت البحر مسرحا لاحداثها أقصوصة لعبد الحي البنين تحمل عنوان – ذكية – من مجموعته –٨– « في الساحة » وهي تحكي قصة حب ابتدأت بعناد ومشاكسة من طرف فتاة مغرورة ثم انتهت بتلاشي وضياع في أحضان الرذيلة والخديعة ٠٠

ثم كذلك اقصوصة – ٧ – « يد المحبة » التي اتخذت – بدورها – الشاطىء موقعا للحدث الكوميدي الذي كان طعنة خزي وسخرية بالمستعمر الاسباني ٠

اما اقصوصة –١٠– « بمبارا في شاطىء الحوزية » فهي نموذج حي لحياة اسرة فقيره مشرده ، تعيش بدون مأوى ،يطاردها رجال الشرطة أينما حلت وارتحلت ولسان حالهم يردد لرب الاسرة في كل مرة : – ٠٠ تأخذ متاعك وترحل الى أي مكان أخر بسرعة – فرحل بأسرته الى سور برتغالي قديم ولكن وجد – أيضا – من يضايقه حتى أمام هذا السور المشرف على الشاطىء ٠٠ فسولت له نفسه أن يبيع بعض حلي زوجته التي كان قد أهداها اليها في يوم زفافها ويشتري بقيمته خضرا يبيعها – وقلت في نفسي كذلك ٠ أحافظ على رأس المال ، وأكل من الارباح ٠ وماكدت اقف أمام أول خيمة بالشاطىء أعرض بضاعتي حتى كانت يد صلبة تشدني بعنف من حزامي خلفا ٠ ولما التفت رأيت اللباس الكاكي والقبعة السوداء والعصا الملوحة في الهواء ٠

– حسنا ، سنكون بك رحماء كذلك هذه المرة ٠ فقط سنحجز منك البضاعة ، وتؤدي ثمن التذعيره ، ثم تغادر **المدينة بسرعة الى أي مكان أخر ٠** – ص١٠٢ – ١٠٣

ثم هناك قصة – الافعى والبحر – وهي قصة طويلة لمحمد زفزاف ، كل أحداثها تقع على الشاطىء فضلا عن اقصوصة –١١– « الايادي » لشغموم الميلودي ، واقصوصة –١٢– « القوة والعجز » لمحمد زفزاف ٠ وأقصوصة –١٣– « الناس والبحر » التي تمثل وضعية اجتماعية مزرية ٠٠ تتلخص في تجمع لبيوت واطئة تسكنها عاهرات تستقبلن رواد الدعاره والاستهتار من مختلف الاصناف ٠٠ أهالي وغرباء ٠ – في الحقيقة ليس هناك شيء فعله في هذه المدينة الميتة:لامصانع ولامؤسسات اجتماعية ، مايمكن فعله هنا هو الدعارة !

انني أحترف الدعارة بالرغم عني ، أنا متزوجة وزوجي يعرف ذلك ، هذا ليس بيتي ، نحن معا ، أنا وأمرأة اخرى نكتري هذه الخربة لنعطي أجسادنا للغرباء وللبحارة الغرباء ٠ – ص١١٢

– ٠٠ لاحديث في هذه المدينة الا عن البحر ، عن السردين ، عن الترسي ، عن الغرباء الذين يجيئون هنا **بحثا عن مغامرة الاستسلام الى غيبوبة دائمة ، انهم يخافون الشرطة التي يتعاون معها الكثير منهم ٠**

في الصيف تزدهر الدعارة ويزدهر السردين ويأتي الغرباء والبحارة بمراكبهم ، وعندما يكتشفونا يمكثون هنا أكثر من شهر ، ينسون البحر والبواخر والقوارب الصغيرة ٠٠ ويمكثون هنا ٠ – ص١١٣ ٠

وفضلا عن كل هذا ، نخلص في النهاية الى غرض لايقل أهمية عما سلف من أغراض تخص البحر في الاقصوصة المغربية ، وأخص به : البحر كطريق للهجرة بالنسبة لليد العاملة ، وفي هذا المضمار نجد مجموعة لابأس بها من الاقصوصات المنتشرة على أعمدة الصحف والملاحق الادبية وعلى صفحات المجلات أو في مجموعات ٠٠ تعالج غرض الهجرة بالحاح لكثرة حساسيته وأهميته الاقتصادية والاجتماعية ٠٠٠ ففي اقصوصة –١٤– « في انتظار الوصول الى اليابسة » لادريس الخوري نلمس شعور العامل المغربي وهو يركب البحر في طريقه الى ديار القرية : « الماء يتموج بفعل انجذاب دغدغات تحت البحر ، والماء

ينكسر عند بطن ومؤخرة ومقدمة الباخرة • وحين التفتنا وراءنا ، رأينا مدينتنا تبتعد عنا ببطء ففقدنا معها الوصال والانتماء (ايتها المدينة ، لماذا يظل وجهك كالحا ؟) كنا ذاهبين الى الغربة بالرغم عنا ، كنا مصدرين الى المغرب ص١٤

ـ الباخرة تسير ونحن ننظر الى بعضنا بنوع من الريبة والعطف كذلك • السماء زرقاء مثل الصباغة ، ثمة سحاب قليل شبيه بالصوف وساكن مثل أغنام • لكن ركاب الدرجة الثانية أكثر الركاب قربا من البحر ورؤية له ، كنا مصدرين وكنا نعرف ذلك • الم يكن لنا اي خيار في ذلك •••

ـ وماذا ستفعلون في أوربا ؟

ـ ذاهبون للغار ! » ص١٥

ويتكرر المشهد في أقصوصة ـ١٥ـ « الجلد والحجر » للطاهر بنجلون ـ حمل معه حفنة من تراب الوطن يشمها ويضعها فوق وجهه ليبدد وحدته • وصل الى ـ مرسيليا ـ داخل صندوق من البرتقال • العين مشبوكة على ورقة تعريف قديمة وعلى وثيقة الازدياد ، اثناء سفره كان يتغذى البرتقال ، صحته جيدة لكن رائحة العفن تفوح منه قليلا • العياء ، العرق والانتظار • ـ ص ٩٩

وهكذا نلاحظ أن البحر ـ في الاقصوصة المغربية نال حظوة كبرى في التعبير عن مجموعة من القضايا الشخصية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، ولاغرو في ذلك فلقد رأينا سالفا أن أحد أبطال اقصوصة ـ الصياد ـ لمحمد ابراهيم بوعلو ، يقول حينما طلب منه عنوانه : ـ هنا •• البحر •• المغرب •• ـ فالبحر بذلك كان ضرورة وحتمية تفرضها البيئة الجغرافية من جهة الواقع الاجتماعي والاقتصادي •• من جهة اخرى فكان لزاما أن تتولد أواصر الترابط على المستوى الفني والابداعي بين البحر والاجناس الادبية بما في ذلك الاقصوصة ••• وفي هذا اعتراف لابد من ذكره، الا وهو اخلاص القاص المغربي لعناصر بيئته الطبيعية ••

مسلك ميمون

كلية الاداب ـ وجدة المغرب

جدار الواقعية الصلب

«اطفال يكبرون رغم انفهم»

العربي بنجلون

ليس الادب ، في الاخير ، بالابعاد الدراسية والابداعية والنقدية ، الا فعالية ينماز بها الانسان ، به ينفصل عن الثدييات العليا ، ويرتسم وجهه النوعي ، واذا كان الاديب انسانا يتحدث الى الاغلبية من الاناسي — كمايذكر — وردزورث — فان القاص أحمد بطا انساني يتوجه بنتاجه القصصي الى ملايين البشر ، ينشق عن ذاته الفردية في وعي وادراك ليحتضن قضايا الانسان ٠ انه يغفل عن ذاته ليفنى في الكل ، وبالتالي ، يبرز الاسن العقيم في حياتنا الانية ، وفي تطلعاته السمو اللامحدود ٠ انه يجنح باستمرار لوجود أعلى — كما يحلو لنتشه أن يعبر واذ يفعل ذلك فانما يبصرنا دروب الدياجير المدلهمة ٠

وبطا من مواليد ١٩٥٥ بالقنيطرة ، حيث أنهى دراسته الابتدائية والثانوية بمؤسسة التقدم التي شيدها البطل محمد الديوري ، ثم أكمل تحصيله الجامعي في الرباط ٠

وفضلا عن الدراسة المنهجية ، انكب على الاداب العربية والروسية على الاخص ، وسبر التاريخ المعاصر والفلسفة وعلم النفس والاقتصاد ، فتشكلت من هذا الخليط المعرفي أرضية صلبة ، ينطلق منها في كتاباته الادبية والايديولوجية التي نشرها بصحيفة — البيان — المغربية وفي المجموعة القصصية المشتركة — أطفال يكبرون رغم أنفهم — ٠ وقوامها أن تصديه لفن القصة لايعتبر عملا فعالا اجدوى ، لان البنية التحتية التي تتمحور حولها نتاجاته ، لاتفك الرموز اللغوية ، فهي تبحث بكدحها عن الخبز الاسود قبل كل شيء ، وأن الانسان الواعي لاينبغي أن يفكر في الاخرين فقط ، لكن عليه أن يلقنهم كيف يفكرون ولن يتأدى ذلك الا بالممارسة الفعلية ٠

تلكم لمحة عن بطا وارائه ، فماذا عن مجموعته القصصية ٠٠ ؟

في البدء ، لابد أن نومىء الى أن الصراع مافتىء محتدما بين جبهتي الشكل الفني والمحتوى الفكري اذ أن أنضج النقاد ، كجورج لوكاتش وروجي غارودي لايعيرون للمضمون قيمته الفردية ، ماذا تشكل ذلك الشعار النضالي في المعمار الادبي الهش . لذلك نتجه الى قصص بطا معتمدين على الجبهتين الانفتين ، بأعتبار أن أيا منهما لايتوفر على قيمة أدبية لها امكانية التأثير ، الا اذا أفرغا في الابداع الواحد ٠

ان الصبغة الفنية التي حققها بطا في تقنية القصة

تتراءى في نمذجة شخوصه ، اللقيط ، في – باب في أخبار أهل النار – ، سعيد في – تذكار من أجل الحب – عبد الله، ابراهيم ، فاطمة ، خديجة ، عمر ، في – باب في معرفة السارق – ... وسواهم من الشخوص المنتزعين من الوسط البيئي .

وللقاص دور كبير في تفكيك المعادلة المستعصية على الحل – النمذجية – . السيرة الذاتية – لان الشخصية الابداعية والطبيعيه النفسية يحددهما حافزان قويان الاول ينبثق من الواقع الذي يتواجد فيه المبدع ،والثاني من ذاته ، والعلاقة المتبادلة بينهما تولد الفنى الاسلوبي للعمل الابداعي . وبطا يبرز شخصيته الابداعية عبر هذين الحافزين ، اللذين يجعلانه يفصح عن العام من منفذ الخاص . فكيف فك القاص هذه المعادلة ؟

يبلور الرد على هذا السؤال التجربة الفنية لبطا فبالاضافة الى العناصر التي شخصت نتاجاته الابداعية تشخيصا حقيقيا ، نجد – فنية اللغة – ، أي أن اللغة ملائمة لظرفية الشخوص الاجتماعية ، وعاكسة حقيقتها الفكرية والنفسية والبيئية ، فبطا لايتجاهل الخصائص التي تميز نفسيات شخوصه ، وتترجم بدقة مايكابدونه من احباطات ومآس ، ألم نشر في التوطئة الى تكوينه الادبي والفلسفي .. ؟ ! حيال هذا الواقع، تبدو قصص بطا قاتمة ، بآلام فجائعية ، فقصة . – أطفال يكبرون رغم أنفهم – التي تحمل المجموعة العنوان نفسه ، تعكس حالا سيزيفيا تعانيه اسرة ، فالاب يحاول أن يؤمن الخبز لفلذاته ، والام تمضي بياض نهارها وسواد ليلها في تنظيف الثياب المرقعة ، وسراويل الاطفال التي تتخللها ثقوب ، تكشف عن عوراتهم ، قال أحدهم : – لو مات أبونا لبتنا ليلتنا الاولى بدون عشاء . نحن الاطفال كالديدان ، نملأ الشوارع والحجرات والمدارس ، نأكل بالعصا ، ونفكر بالعصا ، حتى الصغير يتبول بالعصا والام تضرب بالعصا – ورغم كل ذلك فالاطفال يكبرون رغم أنفهم .

الرهبة الحميمية ذاتها تكتسح قصة – أبناء الاقحوان الذين يقضون النهار كله صحبة أبنائهم ، يرمون الشباك التي يقرضها السمك ، وينتظرون – الذي يأتي ولايأتي – ليسدوا به الرمق ، غير أن الممكن في حياة المدينة والمدينة ترقد وتصحو على الثراء – أن تحتضن أبناءها بحدب وترضعهم الرحيق ، أليسوا أبناء الاقحوان ؟ !

تبقى المدينة ، والرحيق ، والاقحوان ، رموزا بسيطة تنم عن نفسها ، فالمدينة رمز للامكانات التي توفر للجيل الغد الباسم ، والرحيق ، هو ذلك الجهد لنشله من التيه والاقحوان رمز لفتوته وبراءته وآماله العريضة .

والقصتان معا تشخصان كيانا مهترئا برؤية موضوعية تنأى عن الخيال الجامح ، تعرضان الحدث تلو الحدث وتحللان الشخوص الكبار والصغار بنهج عقلاني دون افتعال ، ونذكر مثلا ، بطل – فقراء المدينة – فهو من لحم ودم كالاخرين يتأثر بالظروف ويؤثر فيها . على الشاطىء يقول : – غدا يوم جديد ، لكنه قديم في أتعابه وبؤسه قد يكون جديدا على أصحاب الشركة ، وصاحب الشقة وكل من منت عليه الحياة برغد وافر ، لكنه لن يكون جديدا علي ، فكرت في أن أشتري امرأة مثل العجوز النائمة بجواري ، لكن الشركة لاتعطيني الا ما يمكنني من البقاء في هذه الحياة .

وبطا في القصة هاته ، يطرح مواقف شتى من خلال هذه الشخصية في السجايا الفردية الانانية للاثرياء .

وتأتي شخصية – منصور – الرئيسية في القصة بل الوحيدة التي تؤلف الحدث والبطل ، وكلاهما يكونان النص القصصي ، فمن هو اذن منصور ؟

– على نغمة الالم أحكي لك ماتسجله للذين يعون ... ولايحسون الموت داخل جيوب الة لاتثقب لي فيها ولالولب قل لهم ياولدي باسمي نيابة عنهم أحياء وأمواتا : صباح الخير وأنعمتم مساء لمن تأخروا في القراءة ، قل لهم ياولدي : ان الحكاية الاسطورية أجمل مايمكن استطاعته في فن القول هامش للذين يفهموا الاسطورة ..

والطريق في الامر أن حياتنا هي حياة العالم ، وأن سقوطنا ليس سقوط العالم ، فمنا نحن وحولنا وبنا يولد بشر يضعون شروطهم ، وقد يسقطون هم الاخرون غير أنه سيحل من ليس في حياتهم قابلية السقوط ، وهذا

ماتجلى في اخر كلمة نقطها البطل منصور : قل لهم ياولدي سنستمر ·

وبما أن القصة لاتعتبر خيالا جامحا لدى الواقعيين فانها تتخذ من الواقع المعيش مسرحا لها ، مسرحا من البشر الذين أفرزهم التاريخ ، فانخرطوا في صراع من الاهواء ، ومن هنا نلحظ أن أحمد من المتشبعين بالنظرية القائلة : ان المادة في صراع مستمر ، وهذه المادة تتجسد في الزمكان ومن ثم كانت الطبقية ، غير أن القاص لم يتغلغل في قضايا الطبقة · الدنيا ليجلي الخفايا ، اذ نلمس في ثناياها العلل التي عفنتها ، بل يكتفي بالتصوير تاركا ، مثلا — موت السيدة زهرة الاطلسية — غامقا ·

ان السيدة زهرة وزوجها وأطفالها الابرياء يتسمون بمميزات انسانية ، لكنهم يحيون في قريتهم كالبهائم لظرف قاس لايرتبط بارادتهم ، والذين حتموا عليهم هذا النمط من العيش هم يعيدون عن القرية ، المتأقلمة مع البيئة المتدنية التي ترمز للتقوقع ، لهذا تغزو الخرافات والاساطير ذاكرة الرجل فيحضر لزهرة شيخا ، ويزين كوخه بصور الاولياء ، كل ذلك يرينا نفسية غيبية ·

وهكذا تنهار الاسرة ويحيق بزهرة الموت ، لكن السؤال : هل يمكن انقاذ زهرة من الحتف لو أنها نبتت في جنينة خصبة ·

ولتبديد هذه الحالة ، يأمل أحمد في قصة — الورد ينبت في الرؤوس — لو أتى الطوفان ليروي الرؤوس العطشى عندئذ تصبح لينة ، مثل السهل الغربي حينما يغرقه النهر ، وبديهي أن العملية عسيرة وحيويه في آن أن تثبت في الرأس مسمارا يصير وردة حمراء يفوح منها عبير حضارة طافحة بالجد ·

ويحاول القاص أن يتناول الحرب عبر تأثيراتها على الموازين العاطفية ، فيعرض في رسالة — جندي شجاع — كتيبة في منطقة بيدائية ، تقطع مسافة طويلة نحو مدينة ما وفي العربة يلوح الضجر على الوجوه العائمة في العرق فيطلب جندي من اخر أن يناوله ماء ثم يقول ماسحا شاربه الكث :

— الحرب ، الحرب ، الحر ···

— احذر اليأس ، والاستصحاب قبل الاوان

— متزوج ؟

— وأبو طفلين ، وأنت ··· ؟

— لا ، ورغم ذلك خائف كدجاجة ·

وتلتقي الشمس بالمطر فيقيمان — عرس الذئب — واذا كانت الشمس عاملا ايجابيا في تاريخ الانسانية ، وهي بمثابة أب لدى الفراعنة فان المطر يرمز الى خصوبة تهبها السماء للارض الام الحنون ، وبما أن الذئب عدو الانسان. فان الشمس عندما تتصل بالمطر تثير استغراب الفلاحين وتصد بحرارتها الماء عن الشرب الى التربة لاروائها وفي هذه اللحظة ، يتدخل قوس قزح — الذي لم يشر اليه القاص — فيحسم هذا النزاع القائم بين الشمس والمطر بل هذا التآمر على خصوبة الارض الام ، وبالتالي قوت الانسان فينتهي عرس الذئب ، وتعود الحياة الى مجراها العادي ، ولاهمية قوس قزح يطاق عليه العوام — الحزام — لانه علامة الخلاص من حالة غير طبيعية ·

ان لغة أحمد البسيطة والشاعرة وحسه بالواقع ،تنقذ قصصه من الذهنية والصنعة ، وتوقع تقنيته في التراث الشعبي العربي : — باب في معرفة السارق — و — باب في أخبار أهل النار — ··· مؤكدا بذلك أنه يدرك هذا الوطن جيدا ، ويجيد التعبير عنه ، ورويدا رويدا كانت الالام الدولية تتقلص لتنسحب على الالام الوطنية بأبعاد انسانية : العامل — المرأة القروية — الطفل المشوه ···

العربي بنجلون

التزام شاعر الحمراء

العربي بنجلون

انه لمن الخطل أن يتصدى الناقد الموضوعي بالدراسة والتقويم لنتاج شعري ما دون أن يلم ببيئة الشاعر الاجتماعية والثقافية ، وباهتماماته ونمطية دراساته ، وجذور وخلفيات ارائه وأفكاره ، وتطور الكون الشعري لديه ، ذلك أن هذا ينسق القيم الموضوعية للدراسة الادبية ، فضلا عن أن تناول هذه النقاط ييسر دور الناقد في أدائه بفعالية ، علما بأن الشاعر يعكس لنا من خلال ابداعاته صورا مثالية ونقيضة للواقع، وهذا ما يعبر عنه الناقد أرلوند ماشيو حين يقول :- ان الفن هو نقد مباشر للواقع - أو كما يقول الناقد المغربي ادريس الناقوري : - ان النقد الذي يهدف الى أن يكون علميا لاينبغي أن ينطلق من النص وحده ، لان النص بنية مغلقة نستطيع أن نكتفي بها ونرصد مختلف جوانبها ، والاكتفاء بالنص وحده اتجاه يمثله أحد التيارات في النقد الادبي المغربي وهو دعوة يتمسك بها بعض النقاد العرب المعاصرين ، أما النقد الذي ينظر الى النص في شموليته فهو لا يستطيع أن يقتصر على النص ويلغي المؤلف ، لان النص قبل كل شيء هو انتاج شخص يعيش في واقع معين له مطامح ومواقف واختيارات ، كما أن له انتماء طبقيا محددا ، والغاء هذا



الجانب ، أو هذا الاعتبار في النص ، أي المؤلف ، يجعل من النقد عملية تقتصر على الشرح والتفسير ، فلا بد اذن في اعتباري ، من أخذ المؤلف بعين الاعتبار ، ومحاولة تحديد مواقفه واختياراته انطلاقا من النص نفسه ، على أساس أن هناك علاقة صميمية وجدلية بين المؤلف ونتاجه وهذه العلاقة محكومة بدورها باطار عام يتمثل في حركة الواقع وانعكاساتها المتعددة على المؤلف -١- على هذا سنتطرق الى شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم المراكشي من خلل تركيز تعاملنا معه على دراسة حياته الطافحة بالاحداث ، ومعاينة للنص كمادة حية دالة على البيئة التي أفرزت الشاعر ، منطلقين الى ذلك من كتاب - شاعر الحمراء في الغربال - ، للاستاذ أحمد الشرقاوي اقبال ، الذي يعتبر أول كاتب مغربي يصدر كتابا كاملا عن الشاعر وأول من ينهض بهذه المسؤولية ، لانه من مدينة الشاعر وأحد الذين خبروه عن كثب ، فجادلوه وأصغوا اليه ، ثم أنه أديب ذواقة ، سديد الرأي ، واضح المنهج والتفكير.

ويدور الكتاب في موضوعات ثلاثة كبرى هي :

١ - شاعر الحمراء في حياته الخاصة

٢ - شاعر الحمراء في الجماعة

٣ - اثار الشاعر ، وما توفر عليه وما زعم أنه ألفه أو نظمه .

ولعل في الاسطر الاتية للمؤلف خلاصة عن حقيقة شاعر الحمراء وقيمته ، يقول : - يدين شاعر الحمراء بالعقيدة الاسلامية التي نشأ عليها ، والتي كان يؤمن بها عاطفيا أكثر منه متأملا ، والتي كانت في قلبه أكثر مما هي في جوارحه وأعماله وسلوكه وتطبيقاته وكان النظام السياسي الذي زامنه - خليطا من العتيق البالي الذي يتمثل في الطريقة المخزنية ومن الانظمة الاستعمارية التي تتشكل في الحماية الفرنسية ، اختلطت هذه بتلك فتكون منهما هذا النظام الحكمي العجيب الذي ابتليت به هذه الامة التي عاش صاحبنا مواطنا فيها ، والذي رباه على التحفظ والتقية والخشيان - -٢- .

ولد شاعر الحمراء قبيل الحماية أي حوالي ١٩٠٨ بمراكش ، وتوفي بها في سبتمبر ١٩٥٤ ، وقيل أنه عاش عربيدا ، مبذرا ، ميالا للكسل والدعة ، كما أنه اثر أن يثني ويهجو ويقتات من أشعاره بعد أن زهد في التدريس بكلية بن يوسف ، ويتفق الاستاذ أحمد الشرقاوي مع الذين كتبوا عن الشاعر أن محمد بن ابراهيم المراكشي شاعر بطبعه ، سليقته تطاوعه ، وطبعه يسعفه ، لذا لم يكن باعثا على الدهشة أن يستفسر الكاتب الانجليزي روم لاندو شاعرنا : كيف ذاع صيته ؟ فيرد ببساطة : انه الحظ ، فهو لم ينشر ديوانا وليس له اثر مطبوع ..

وكان شاعرنا المراكشي يعتد بشاعريته ، ويرى أن ليس بين الشعراء من يوازيه في المتانة الشعرية، وخصوبة ملكتها ، بل كان يرى - في رأيي - أنه أحق بلقب أمير الشعراء ! .

وهناك من الشعراء من يرى أنه صائب في دعواه ، لهذا بايعوه بامارة الشعر ، وأصبح لفن الشعر العربي أميران الاول في الشرق ، والثاني في المغرب .

وأرخت لنا هذه الامارة قصيدتا الشاعرين الطاهر الايفراني من سوس ، وعبد المالك البلغيثي من فاس ، فالاول يقول :

فيا شاعر الحمراء جليت سابقا
وفقت بفضل الشعر حتى على الشعراء
فتـه فأمير الشعر ولاك خطة
من الحوزة الحمراء الى الحضرة الخضراء

والثاني يصدر القصيدة بقوله :

يا أميرا في دولة الاشعار
بسمو في ذوقه وابتكار
لك في عالم البراعة شاو
من يجاريك ان يكن من يجاري
غير بدع اذ صرت فيه أميرا
بانتخاب فانت أنت اختياري
فتحكم في دولة الشعر ياخير
أمير قد نال كل اعتبار

وقد قوم الاستاذ أحمد الشرقاوي شعر بن ابراهيم من حيث التوفيق والفشل ، فانتهى الى ان أحسن مانظمه يتجلى في الاخوانيات والرثاء، والواضح من هذا التصنيف ان المؤلف نظر الى الشاعر من بوتقة خاصة ، وتأمل كل نتاجاته من هذه البوتقة ، أو بلفظ اصح لم ينظر من ثقب الغربال كلها ، وانما اقتصر على قلة قليلة منها .

وفي نظري ان هذه البوتقة الضيقة هي مفهوم المؤلف لموضوعات الشعر العربي ، فهي ذات شقين : ذاتية وغيرية ، فكلما اقترب التعبير الغني من نفس صاحبه كان أكثر صدقا وأبلغ تأثيرا ، وكلما أمتد الى افاق خارجية طبعه التعسف وساقته المجاملة أو الخوف أو الحاجة الى الامحال والمداجاة ، وبذلك لا يغدو الشعر ذا نبرة صادقة وشفافية علوية ، وانما يتزيف فتنفر منه النفس وتتأبى عليه

بهذا المفهوم شاء الاستاذ أحمد الشرقاوي أن يقول : ان شاعر الحمراء حين انصرف الى باطن نفسه ، والى ما تحسه ، وتنفعل به ، سواء أكان منبعثا من هذا الباطن أو انعكاسا لما يصيبه من اثر الاخرين عليه ، اذا كانوا من الرفقاء والاحباء .

وليست هذه الفكرة صحيحية في التطبيق : فليس الشعر الحق هو الذي يقتصر على نفس ناظمه ، يقتفي خلجاتها وأهواءها ، ويحصي مطامحها وأشواقها ، والا انقلب الشعر الى صورة للذوات لا يند عنها ، وأصبح الانتاج الشعري في كلمرحلة تاريخية جمعا لحيواتخاصة وأعمارا بعينها ، فأين اذن شعر الجماعة البشرية ؟ وأين الشعر السابح في افاق الخيال والاساطير ؟ وأين اشعار المقاومة ؟ وأين شعر البطولة والابطال ؟

وهذه الفكرة غير صحيحية - أيضا - حتى اذا لبقتعلى شعر بن ابراهيم ، ففي قصائده موضوعات أخرى أجاد فيها ولهج بالصدق ، اذا أخلصنا النظر لكل مانظمه . فقد تفجرت شاعريته في مناسبات وطنية أحس فيها واقعه وواقع وطنه فأرسل ذوب نفسه في قصائد غضة المعاني والمباني ، ولعل هذا التفجر بلغ ذروته حين سافر الى الشرق حاجا فتنسم الحرية ، واحتك بأدباء العرب في أرض الكنانة كعميد الادب العربي طهحسين ، والكاتب أحمد حسن الزيات ، والسيدة أم كلثوم ، فامتلأت نفسه شجنا بما ترك في بلاده المستعمرة ، ونفذ النور الى سويداء فؤاده بما رأى في الوطن العربي ، وبما لقي من التكريم والاعتبار ..

قال وهو في مصر :

أحن الى مصر وما أنا من مصر
ولكن طير القلب أعرف بالوكر
فلولا هوى مصر وحبي لاهلها
لما كنت في قطر وأصبحت في قطر
ولو قلت حبي موطني دون حبها
لكنت أخاجير يخالفه سري
لك الله يامصر العزيزة كلما
الوذ بصبري لو هنالك من صبر
اترك في مصر السعادة والهنا
واذهب اشقى حيث لاأحد يدري ؟
انزح عن مصر واقصد مغربا
شقاء لعمر الحق للشاعر الحر ؟

وحين أطلق سراح الزعيم السوري الدكتور شهبندر أقيم حفل تكريم له بمصر ، وكان شاعرنا المغربي ، حاضرا فأنشد البديهة :

عفوا اذا اكثرت من انشادي
في كل ما من محفل أو ناد
فيقال عني شاعر متوثب
للقول مثل توثب الصياد
كلا فما هي بالقوافي انها
اهات أعماقي وصوت بلادي
فاذا نظمت فقد نظمت عواطفا
واذا نثرت فقد نثرت فؤادي

ولما نهض الزعيم السوري يخطب في ذلك الحفل، تحدث عن كافة الدول العربية ونبه الحاضرين الى

مشاكلها مع الاستعمار ، باستثناء قضية المغرب ،فتصدى له شاعرنا ابن ابراهيم مؤنبا :

المغرب الاقصى اذكروه كلما
كانت دموعكم على استعداد
هو منكم واليكم في نسبة
لاتنكروه يا شعوب الضاد
المجرمون هم عن نفسهم فعفوا
وهو منطق يأبى قياس فساد
راموا استلام عواطف بتلطف
هيهات ترجع قبسة لزناد

وشعر شاعرنا الاصيل التزام واع بقضايا مجتمعه ٠٠ فالمجتمع هو البؤرة التي ينعتق منها الفرد وتتأكد فيها شخصيته من تعامله فيه بينه ونفسه من جهة ، وبينه ومجتمعه من جهة أخرى ٠٠ واذا كانت رسالة الشعر هي الكشف عن سر وقيمة هذا الكون ، والمجتمعات على الاخص وتحريرها من التبعية والوصاية ٠٠ وهدفه الاسمى سعادة الانسان بغض النظر عن اللون والجنس والروح التعصبية ٠٠ والرفض الايجابي للتخلف والعقم والجمود والطحالب والموت ٠٠ واذا كان الشاعر - أيضا هو الذي تفوح منه رائحة الانسان كما يقول الناقد ونالدريفي ، فالتجربة في شعر بن ابراهيم تعانق المأساة وتكشف عوائق نمو وتحرر الانسان المغربي في تجربة شاعر نسج بدمه الحار فداحة الصخرة التي يحملها سيزيف العصر ٠٠ وفتح قلبه المكلوم على تخثرات الواقع المرير فعاش الاغتراب في وطنه ، يقول في قصيدة :

مابي سوى وطن عميم يرتجى
أبناء تهذيب عليه تغار
روح التعصب قد فشت في شيبه
وشبابه نحو التزندق ساروا

ما حزن يعقوب على ابنه يوسف
أو حزن قائله : - برأسه نار
باشد من حزني على وطني الذي
هو ماعلمت وربنا قهار

ويسهم شاعرنا في الحملة الوطنية الاصلاحية ، فيدعو لمحاربة الفقر والبؤس ، ويشجع على التعليم ، وينبه الى خطر العادات التي يروجها المشعوذون والمتاجرون باسم القيم ، وهي حملة ان لم يلتزمها التزاما جليا فقد كان فيها مشاركا مشاركة لا يستطيع الدارس أن يغفل عنها :

هو الوطن المحبوب يرجو من أهله
سماعا لشكواه وأهله أنتم
مضى زمن الجهل الذميم زمانه
وهذا زمان آن فيه التعلم

أتاكم زمان يطلب العلم منكم
بجد فان لم تطلبوا العلم تندموا

اليكم بني الاوطان أشكو صنيعكم
ولم أشك الا منكم واليكم

ولا يغرب عنك وأنت تتأمل مثل هذا القصيد أن احساس بن ابراهيم القوي بالغربة في وطنه ، قوى فيه الرأفة والحدب على البؤساء والمعذبين في الارض من بني وطنه٠ قال في قصيدة - الله في البؤساء - التي نظمها بمناسبة تأسيس الجمعية الخيرية بمراكش عام ١٩٣٤

آه لاطفال صغار أوشكت
بالجوع تقضي نحبها الاطفال
آه لاطفال تجود بنفسها
في حجر أم دمعها سيال
آه لاشياخ تفانى جسمهم
فكأنهم لشحوبهم أطلال
عار علينا أن نموت ضعافنا
جوعا وتفضل عندنا الاموال

وعانى هذا الشاعر والايقاظ من جيله ألم الغربة ٠٠ كما أومأت سابقا - لانهم كانوا معذبين في وطنهم ، كاسري النفس لمرأى أمة مضطهدة مطرودة من أرضها ، ومن البديهي أن يتأثر بن ابراهيم الحساس بالاحداث الجسام التي سجلها التاريخ زمنئذ في المغرب المناضل ، فلقد كان أشد الشعراء تفجعا على ضحايا الكفاح الوطني

كما يشهد بذلك ديوانه – روض الزيتون – نسبة الى الحي الذي كانت به سكناه ٠

لقد كان سمعه مرهفا ينفذ اليه أنين المعذبين فتتصاعد زفراته حرى ويصيح بالنائمين الخادريـن ان افتحوا أذانكم وعيونكم لتصغوا وتروا ما يحدث أمامكم من تعسف استعماري قاس يسلط على الاحرار بوساطة عملائـه كطاغية فاس بن بوشتى البغدادي الذي جلد الوطنيين المناهضين للظهير البربري ، فشتمه الشاعر بهذه الاهجية :

مصاب كذا التاريخ شاء فظاعة
يحدث عنه القوم من أمم أخرى
اسجن وضرب مؤلم واهانة
وزجر وتعزير وما افترقوا وزرا
فقل لكئيب الروح هاتيك ضربة
ملايين قد أضنت بمغربنا عشرا
فمن صامت لم يستطع وصف سقمه
ومن ناطق عن نطقه لم يجد صبرا
اصيبوا جميعا بالتألم والضنى
وهل يجهل المضرور أن به ضرا ؟
وشقوا على علم طريق زباهم
فما سجنوا قهرا وان سجنوا قهرا

ولماذا زار السيد رمادي وزير الاشغال مدينة مراكش صحبة الجنرال نوكيس يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٣٧ هيأت له الاقامة حفلا بهيجا أزالت فيه كل مظاهر البؤس ، فحشد الحزب الوطني أزيد من خمسة الاف من البائسين الجائعين العراة نساء ورجالا وأطفالا ، جذبوا الوزير من الوراء ، ومزقوا جبته وسرواله ، مما حفز بالسلطة الى شن حملة اعتقالات في صفوف المتظاهرين ، كما اعتقلت الشاعر بن ابراهيم ، للطمه أحد المخبرين ، وزجت به السجن قرابة شهر ثم أفرج عنه ، وهناك نظم قصيدة عنونها بـ – في السجن – يقول في مطلعها :

لئن حبسوا جسمي بجدران سجنهم
فما حبسوا روحي ولا حبسوا قلبي
ولاحبسوا مني خيالا مرفرفا
يحوم من سر الحياة على اللب
ولا حبسوا مني ضميرا عرفته
فارضيته جهدي وارضاؤه حسبي
على أن لي في السجن متعة خاطر
لقيت صحابا فيه من خيرة الصحب
شعورهم نحوي شعوري نحوهم
وأكلهم أكلي وشربهم شربي

ولم يستطع الاستعمار بالرغم من جبروته أن يخمد جذوة الشوق في الافئدة المغربية نحو قضايا الوطن العربي من خليجه الثائر الى محيطه الهادر ، رغم محاولاته الدنيئة لعزلها في سياج من المصادرات والصد ، وحرمانها من الامدادات الثقافية والاعلامية، التي كانت لابائنا واجدادنا دفقة الحياة في تلك الغربة الموحشة ، وشعراؤنا عندما كانوا يبذلون ذلك ، وضمنهم شاعرنا بن ابراهيم ، انما كانوا يبذلونه عن وعي كامل وادراك شامل ، ربطا لافئدة المغاربة بأشقائهم وتعلقا بأرضية الشرق العربي الذي طالما اشرقت منه الشموس الحضارية ، وفي هذا تعبير قوي عن رفضهم لخطط التغريب والفرنسة والاقليمية الضيقة التي كان الاستعمار الغاشم يحاول أن يغلفهم ويفهمهم بها ٠

وفي هذا الاطار ، برزت عناية شاعرنا بقضية فلسطين الحبيبة التي ما لبثت تبذر الشوك في مقلة كل عربي غيور ، منذ اتضحت خيوط المؤامرة التي نسجتها يد بلفور الاثيمة واقعا مرا على الارض السليبة ، وقد تمثلت عنايته بهذه القضية في قصيدة – تهويد فلسطين – اذ قال :

عهدي ببيت القدس وهو مقدس
والدين دين والبراق براق
واهم ما للمسلمين شعائر
من دونها الارواح والاعناق

عجـبي من ابن يهـود يعرف قدره

ويـؤم بيض الهـند وهـي رقـاق
ان كان داء الجـهل أعـماه فكم
داءله ضـرب الطـلى تريـاق
واذا اريقـت في الجهـاد دماؤكـم
فكـذا دمـاء المسلمـين تـراق

ولم تكن زفرة بن ابراهيم يصعدها لواقع المغرب الاليم أو الوطن العربي ككل ، لتنسيه واقع البشر أينما كانـوا وتواجدوا ، وما يلحظه البعض أحداثا خارجية لا تستحق المعاضدة ، كان يراها شـاعرنا أحداثا جسيمة تهم الانسانية جمعاء ، فعندما قام النازي هتلير بحربـه البشعة ، أنشأ بن ابراهيم قصيدته التالية :

ان هـتلـير الضحـايا
صـاح مابـين البرايـا
المـزايا فـي الرزايـا

هـو ديني باعتقـاد

واذا افنـى العـباد
بعضـهم بعضـا وبـادوا

وكسـا الكـون سـواد
فهـو سؤلي والمـراد

ثم يحث المغاربة على صد العدوان بصبر وروية :

أيهـا القـوم الاسـود
فـي ثـبات فلتـزيدوا
بنفـوس فلتجـودوا
انمـا المـرء الجـواد

لكن الذي يلفت النظر ، ونحن بصدد دراسة ما نظمه بن ابراهيم في قضايا الامة العربية مغربها ومشرقها من جهة ، والغربية من أخرى ، تلك العاطفة الانسانية القوية التى تطغى على كل عاطفة ضمنها قصائد الثناء ، وان المنطاق الذي يتخذه كقاعدة صلبة لكل معالجاته ، هـو الانسان ، ولا يتطلب مـن الدارس أي جهد للمس هذه العاطفة لان الحماس الذي يشحن بل اللفظ ، والشعور المتوثب بالكلمات الهادفة كافيان للتدليل على تعاطـف شاعرنا مع قضايانا تعاطفا انسانيا مجردا من التراكمات والخلفيات قبل كل اعتبار ، فالبؤساء في رأيه ، مثلا :

لافـرق بينكـم وبينهم سـوى
أنتم ذوو مال وهـم لامـال

والفلاسفة بدل أن ينقذوا الانسان منوهدة الفقر والجرع غاصوا في البحث عن الحقيقة الكونية التي لم يدركوهـا لحد الان ولن يتلمسوها ، لذلك سخر منهم شاعرنا فـي لزومياته :

قالوا والحقيقـة تركهـم مايتـرك
تعبت عقول الناس في ادراك مـالا يدرك

العـربيبنجلـون

هوامش :

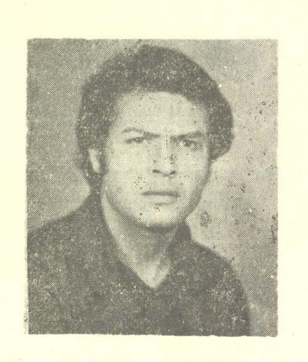
١ ـ المستقبل : ـ النقد في المغرب موقف ايديولوجي ـ عدد ١١ ـ ٢ ديسمبر ٧٨ ـ ص : ٥٦ .

٢ ـ أحمد الشرقاوي اقبال : ـ شاعرالحمراء في الغربال ص : ١٦ ـ ١٧ .

بعد الهزيمة

بكري محمد سعيد

ازداد سنة ١٩٥٤ بالقنيطرة ٠ نظم قصائد عديدة بالفرنسية ٠ نشرها على صفحات ـ الرأي ـ واخيرا عاد الى الكتابة العربية ايمانا منه بدورها في التواصل بين الملقي والمتلقي واحساسه العميق بعروبته ٠



مهداة الى ـ ب٠ب ـ وجه الربيع أيام الخريف القاتم ٠٠

بكري محمد سعيد

أعود ٠٠ أعود من غزوة الاحلام منهزما
حاملا بصدري كل رصاصات الحروب ٠٠
أعود الى الحياة ٠
أشم رائحة الموت التي يفوح بها جسدي
يبتعد شاطىء كان دوما في خيالي ،
فأبصر قبري يفتح ويدنو مني
هذا الموت ٠٠ من قال انه يدوم لحظة ؟
من قال أنا نعيش ؟
حفار القبور في الساحة العمومية
يحتفل برحلتنا القادمة ٠٠
أعود هزيمتي أنني كلما انتصر لابصر عينيك
ولا تشهد عيناك كيف انتصر
تبتعد الايام عني ولاأرسو بشاطىء خارج
الايام ٠٠
تلك ذاكرتي ، حلم يضيع أو عشق يذتحر
أو باب مغلق أبدا يرتعش ٠٠
هزيمتي أنني طفل من بركان الغضب قادم
أعود الى العدم كلما اخترت وجودي ٠٠
أعود وسط الليل البومي سلاحي سيف وهمي ٠
أشق طريقي نحو ظلام لم تكن الا لانها ولدت
في خياليا
أعود ٠٠
الليل بؤس وكأس ٠٠
والعمر قبر أو زهرة
وأنا من هذه الجبال التي أفقدتني براعتي
أحمل شظايا الحريق على كتفي ٠٠
أعود ٠٠
الذئاب جائعة والغربان تعرض وداعتها
وأنت أزلية الغياب
فقيدة الاحباب
تشردين كابتي ٠٠
تجعلين من حضوري غيابا
من عيوني ضبابا
من كلامي ذبابا
ومن الامطار شرابا ٠٠
هأنا أعود اذن الى مدارك راكعا
أعود بعدما أصبحت ملجأ الجراح
وموطن الاحزان ٠٠
هأنا أعود كالسيف الى غمدي
أعود الى مدارك راكعا
أصلي لذكراك ٠٠

وأنت من عمق بئرك
ترددين كلمات أتخيلها .. فأتخيلك .
كيف أنت ؟ من أنت ؟ لماذا أحبك ؟
وهل سأكرهك ؟ لماذا أنت ؟ .
السؤال سفينة تمضي في بحر غيابك .
أعود .. هزيمتي أنك أول هزيمة
أعود .. في أعين السماء انفجرت لؤلؤة
وعلى جبهتي وقفت نجمة تنير طريقي اليك ..
أعود ..
أعرف أن الطريق صعب ،
وأعرف أن الجواد الذي امتطيته
سوف يركض نحو الصباح ..
أعود بعدما غادرت ذاكرتي ،
العشق موت اخر
والحياة موت نهائي ..
أرفض قشرة الرمان وأبحث عن نواة الطفولة
وعن سذاجة الجنون ..
أرفض حبيبتي غيابك .
أرفض بعدك ..
أرفض وحدتي وسط الانام ،
أشباح الكون تحاصرني
أمواج البحر تعاتبني ..
حبيبتي في السماء أكتب أسماءك
حبيبتي في المساء أردد أغنياتك ..
يفيض القلب عشقا ..
يتقلص الكون حتى يصبح شجرة
تصير الشجرة غصنا ..
والغصن زهرة
هذا حكم الخيال ونهاية الاحلام ..
والزهر تسقط من يدي ذابلة
أخرج الى الشوارع

أيها البريء النائم في قبر الحياة
اخرج الى أرصفة جوعك ..
واشهد كيف يموت الحلم
اخرج الى نفسك ..
تجول في ذاكرتك الاتية
واعلم كيف يعيش الحلم ..
أخرج من زنزانة خوفك وألاحظ كيف يعشق الليل حلمك
فابعث الى النجوم رسائل شوق جديد
قل للبائسات الفاتنات ، هذا موعد الولادة ..
تضعن لك الجنين الميت في أرحامهن
أيها البريء النائم في قبر الحياة
الحلم قبر والحياة موت وأنت بين المطرقة والسندان ..
وليد العشق والنسيان
اخرج من زنزانة خوفك
تجد قوس قزح في انتظارك ..
أعود .. الخبز لون مفقود
أعود .. النهى هو الحدود
الموت هو الخلود
أعود .. يموت كل الابطال
تبكي النساء والاطفال
والشيخ في المسجد يصلي ،
لابد أنه فقد البكاء ..
أعود .. كلاب الحي تنبح
وفي الغدير شعاع ضرير
ينجلي معلنا صبحا بطيء الاقتراب ..
أعود الليلة عودة الصرخة الى الانسان
عودة الساعد واللسان
أعود ولست سوى نطفة رحم البركان ..

بكري محمد سعيد



ازداد سنة ١٩٥٥ بالدار البيضاء خاض التجربة الشعرية الحديثة بشجاعة وبالاخص قصيدة النثر • التي يعتبر فيها الرائدالاول بلا منازع • كما أنه ساهم بمسرحيات شعرية نشرت بعضها بـ ــ العلم ــ في ملحقهاالثقافي ويكفيهفخرا أن يشيد به الشاعر المغربي الكبير حسن الطريبق في برنامج ــ نادي الكتاب ــ التلفزيوني •

عبد العزيز حاجوي

الأرض أرضي

أريد قاضيا
أريد منصفا
فالارض أرضي
والبيت بيتي
ومنهما حرمت

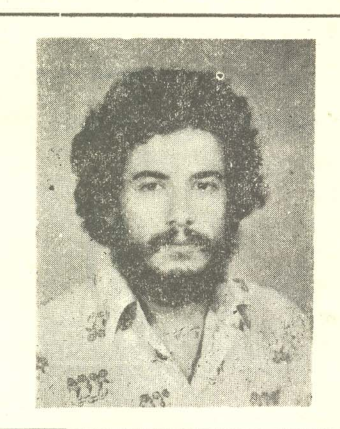
* * *

أريد شيخا مسنا
عارفا حاسبا للزمن
أقدم له عقودي
أقدم له حجتي
فالارض أرضي
والبيت بيتي
وعلامة ذلك
هذه الشجرة
وقبر الجد والجدة
ولباس أمي القديم
فالعهد وان طال
والقائل وان قال
فالارض أرضي
والبيت بيتي
وعلامة ذلك •
صورة أبي المعلقة في أذهان أحفاده
والمفتاح الذي بيده

الرسم بالدم

ومع الفجر يأتي محموما هذا القلب
مصبوغا بتاريخ زمن المسخ
قد تأتي وقد لاتأتي
وقد نرسم للقصر دائرة الرفض
فبين اختيار القلب والعين
يغدو الحلاج
ينتظر الرحلة
فهذا السيف وهذا النطع
وحين ماتبقى صدق النبوة
فقد تتهاوى السيوف في الزمن الآتي
وأنى كان المقام
فسيأتينا خراجك دم
فهذا السؤال
الممتد سوطا على ظهر الفقر
حتى يأتي المخاض ؟
آت قبل أن يرتد الي الطرف
فيا أطفالي
المفطومين بوجبة الدم
قد نأتي وقد لانأتي
فهذي الوصية
فلنرسمها بالدم •

إذ يجيئك المخاض



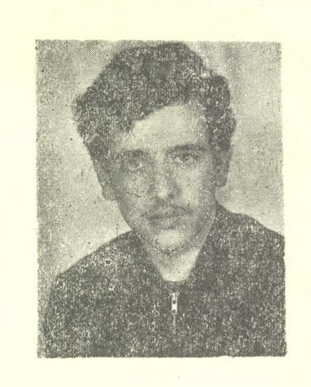
ازداد بوجدة سنة ١٩٥٤ يثري الصفحة الادبية لجريدة – البيان – التقدمية ، بنتاجه الشعري • الذي ينماز بعمق القضايا الاجتماعية الساخنة •

– مرابط مصطفى

عبوة ناسفة بقرت بطن امي
فسقطت أتمرغ في خيوط دمي
وتعالت القهقهات من حولي
وتعالت القهقهات من حولي
تؤجل سفري اليـك عبر الحرف
أنسلخ من الرحم مخاطا يسري في مساربك
سيدتي هذا أنا ، شعيرات ملطخة
وبقايا حمل أجهضته ••
قطرات من دم حيض ،
وجرح يتقد نارا تمزق ضفتيه
كلمات على عتبة الفـم ••
وشحنات كهربائية في الرأس وورود حمر
هذه أنت تحلمين بدوام العقم أبد الدهر ••
ترقصين حول الجرح المعشب
تتمددين على التفاصيل ••
ولي فيك جراح موسمية أبدا تلتهب
للتفاصيل فيك طعم الدم المهدور ،
ولي في العشق أشعار دون فواصل
للعشق في الكلمات لون الشبق
للعشق فيك لون أحمـــر ••
سيدتي هذه أنت تنظمين مواسم الاعذار
تلقحين الاطـــفال ••
تقننـين الفرحـة ••
تستوردين الهتاف ، اللهاث ، الزغاريد
ولي فيك مواسم للابحـــار
للبحر صخب الاعصـــار ••
للاعصار لحظات عشق تمتد ،
تطوق خاصرتك فتنبثق من رحمك الانهار
سيدتي ، للفرحة اليوم فيك طعم الدفلى
للزغاريد طعم الاعراس ••
للاعراس دوي البـــارود ••
للبارود طـــعم التربة ••

للتربة فينا ذاكرة تمتد اليك سيدتي ،
هذه أنت تستوردين أقراص منع الحمـل
تكتبين الفتاوي ، تقيمين طقوس الاجهاض
ولي في التناسل وحي بالآتي ··
للتناسل فيك طعم البدايات ··
للبدايات لون تطفح به الالوان
لحظة يجيئك المخاض ··
سيدتي هذه أنت تحضنين الحرف الاطلس
يكبر في الرحم سرطانا ، يتنفس ،
ينمو خارطة معشبة زيتونا ··
أنسلخ من جرحك الموسمي سحابة حبلـى
بماء سلسبيل
يفور من عيني عبد الكريم ،ينمو حرفـا
عموديا
يتيمم بتضاريس الاطلس ويصلي
تزغرد فيك ·· « ورياغلة » ثم لاتلبث أن تبكي
يكبر الصمت أسوارا ، ينمو اغتيالا ··
نضرب فيك على الطعام ، الكلام
نرهـف السمع ··
لاهدير تنقلـه ودیانك
لاحليب ينبجس من أثدائـك ··
نتناسل ولاعبد الكريم يكبر في رحم ،
نتناسل ·· نتناسل ··
أبدا داؤك العقم ··
سيدتي تمررين أصابعك على وتر أعصابي
وهذه أعصابي أوتار قيثاري ونرفزتي ··
أنسج منها أناشيد للاطفال
هذه روحي أودعها خلية العشق ،
وركب الخيل يسافر بها ·· يعبر الادغال
يحفر في الاسفلت ذاكرتي وعلى الجدران··
يأتيني بصكوك الغفران
فأعوذ بك من نفسي ، أرفع يدي مبتهلا :
ـ أماه بربك لاتجهضي الحمل
أنا قابع أمام ركبتيك ، أرفس الاقراص
أكسر الابر ، أمارس العنف على الاشياء
أنا المعتوه المسافر عبر جنباتك ··
أعشق منافذ الضوء ، أقرأ ماتخطه أحـرف
الدفـلى
ماينبىء به الندى ، ويحدث به العشب ··
اذ يجيئك المخاض ، أتسلق الفرحة نحوطفل
بعل ينسلخ من الجرح ، يرمق الضوء
يغني ملء فخذيك المدللين ··
اذ يستبد بك القيء ، أستقبل فيك منـك
الجنـين
وأراك ترسمين الاشكال المستقبلية ··
تحتضنين الحرف ، الطريق ، الدم، المسافة
تكتبين بخطالشجر الموسمي ازدهارالمواسم
والقمـح
وحمك الزيتون والبلح ··
اذ يناديك من تحتك الطفل الفحل ،ترتعشين
وأراك تعبدين طريقا رمليا ،
تزينين أشعاري بحبات قمح
وفواصل ورد وقرنفل ··
اذ يستبد بك القيء ،
أقرأ في عينيك ميلادي ··
فأرش البراعم ،
أشعل الفتائل
وأرقب فيك اندلاع العوالم ··

لن أعترف إلا بجمال عينيها



أبصر النور سنة ١٩٥٤ بالدار البيضاء بنشر نتاجه الشعري بملحق - العلم - الثقافي ومجلة - الثقافة - العراقية . يعمل في قطاع النفط والغاز . ويتميز بجرأته الادبيةوصراحته الباعثة على الدهشة في المواقف الحرجة .

محمد رحـو

لن أخط حرفا يتقهقر في هجمة سوط

لن أغني نشيدا يلعق أقدام خنزير أو كلب

عقيم هو الحرف حين لايعانق جراح الارض

صفر هو النشيد حين لاينبض حسب ايقاعات القلـب!

فلتقصوا أجنحة نسر يتعلم الطيران

هل تملك الاجنحة الا أن تورق !؟

ولتهرسوا ركبتي طفل يحبو نحو العنفوان

هل يملك الطفل الا أن يحبو !؟

فلتجرجروا جسدي عاريا

على امتداد دروب الثلج المشتعلة

فلن أعترف الا بجمال عينيهـا

ولاأقر الا أنكم القتـلـة

اذن - فلتملأوا لي - ملفا خطيرا

ولتأخذوني للمارسـتـان !

ولتقذفوا لي كسرة من خبز الصخـر

وصحنا من فول الديدان

ولتوهموا الناس بأني المجنون وأنكم الحكماء

ولتنهروني : هياغربل المـاء

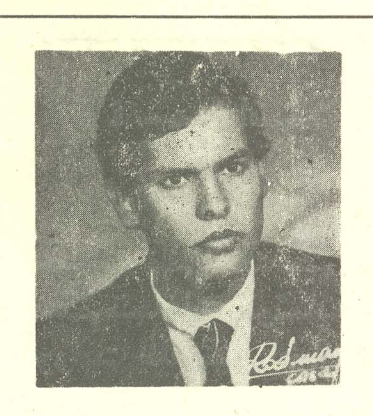
فأغربل تواريخ الجمر

وأغربل الزمن - الحـرباء

فيساقط كالرمل الاشـبـاه

لاتومض - في الافق - الا عيون الفقراء !

تباريح الوداع



من مواليد ١٩٥٧ بأكدير . أحرز على الاجازة في الحقوق سنة ١٩٧٨ يوالي النشر بـ - أوراق - ومنابر ثقافية مغربية اخرى وهو الوحيد من بين الشعراء الشباب الذي يتأرجح شعره بين العمودي والحر .

عصامي عبد الناصر

ـ حيرة .

سرت ولاأدري الى أين وفيَ أي طريق ...
ضاق الفضاء الرحب بي وهو الذي ليس يضيق
والعين ماعادت ترى الا دجى ..
والحيرةالبلهاء شبت كالحريق ..
يأتي على الاشواك والشجر الوريق ..
أأودع الدنيا التي أودعتها سحر الوجود
واضعت فيها كل ما في القلب من حب وليد..
أم ارتضي من بعد ماخنت الهوى
حبا بلا نبض قطعت له الوريد ..
نارين ياقلبي فأيهما تطيق ..
للنار طعم واحد فاضرم فؤادي ماتشاء
سيان أمس ميت أو حاضر افنى الرجاء ..
بالامس كنا مثلما شاء الهوى ..
لكنه الامس اختفى منه الرواء ..
واضاع رشدي بعدما ولى وضاع ..
وتمزقت نفسي بأحزان الوجود الدامية ..
أسفا على الماضي الذي قد صغته ليَ هاوية ..
فلطالما ابحرت في جنباته ..
في قارب من ذكريات حالمة ..
فتكسر المجذاف وارتاح الفؤاد ..
وطعنت زوابعه تمزق ماتبقى من شُراع ..
والقلب لايدري مصيره بين أمواج الضياع .
واليوم مابين الحقيقة والخيال ...
يرسو فؤادي فوق مرساة الوداع ..
متناسيا أوهام حب من خداع ..

٢ ـ ذكرى ..

ذكرى تمر بخاطري مثل الجنون العابر ..
فتحيلني مثل الاتون تؤج في مشاعري ..
وتثير فيَ أعماق قلبي ماسكن ..
من جرح ليس يلأمه الزمن ..
فاذا أنا ارجوحة بيد الشجن ..
أكذا يعذبني الهوى حتى وقد ماتت رؤاه ..
اتبخرت احلامه ليذيبني منفرط آه ..
وتسومني أشجانه للاقرار ..
وتسومني ذكراه ألوان الصغار ..
وتطيح بي أشجانه للاقرار ..
من أي صخر قد قلبه أي نار ..
ماأنت ياحب أأحلام ترامت للغريق ..
ليتيه في أجوائها كي لايرى الخطب المحيق.

أم أنت في صحراء عمري كالسراب ..

والقلب طير تائه بالشوق ذاب ..
يعدو وراءك لايصيب سوى العذاب ..
كالطير قد قصت جناحاه انزوى قلبي الجريح
ماعاد يقدر أن يرود فضاءه الرحب الفسيح
ايغالب الماضي وفي أقفاصه ..
يجتر قوت حياته المر الحبيب
ليذوب من فرط المرارة والجمود ..

ياأيها الماضي تمهل - لست عبدك - واتئد
ماعدت شيئا في حياتي فك قيدك وابتعد
قد صرت اتفه من كوابيس السحـر
جفت ندوبك في فؤادي وانمحى
رغم الذي عاينته كل الاثـر

٣ - ايــن ؟

أين الاماني والرؤى والانس والحلم الانيق ؟
أين الهوى قد كان يوما ملء احشاء العروق ؟

اين الوعود الباسمات الحالمات
اين الليالي .. أين أغلى الذكريات ..
اين اختفت عنا بافراح الحياة ؟
آمالنا مابالها ضاعت وداستها العروف ..
وتناثرت كتناثر الاوراق في فصل الخريف ..
ومضت بها ريح الزمان العاتية ..
حيث الاماني ذكريات دامية ..
تفتتات من أزهار عمري الزاهية ..
انداءها ، فتحيلها اعجاز نخل خاوية ..
قد جف فيها السحر واعتادت قرار الهاوية ..
عبثا تثير الذكريات جوى الفؤاد ..
لكنه قد مات من عهد وباد
وتبعثرت احلامه في كل واد
فلكم بنينا من قصور فاخرات في الهواء
وتربعت أحلامنا وظنوننا عرش الفضاء
حتى لقد ضاقت بنا هذي الدنى ..
والان ها نحن افتقدنا حبنا ..
في ظلمة الماضي وقد ضاع السنا ..
الكل قد أضحى سرابا بعدما ولى البريق ..
الكل حلم بعد نوم ، ليتنا لانستفيق ..
فنعيش في أحلامنا نبل الشعور ..
نشدو ونمرح في ائتلاف كالطيور ..
لاخبث يصدعنا ولاغر الصدور ..

٤ - مـن أنـت ؟

من أنت اني اذ عرفتك قد جهلت من زمان ؟
حسنت ظني فيك حتى ساء ظني بالزمان ؟
فلكم تجاهلت الوشاية والظنون ؟
ورأيت أنك فوق ادران الرياء..
حتى كانك لست من ترب ومـاء ..
ونشدت فيك الطهر والاخلاص والحب الكبير
وعبدت فيك السحر والابداع والحسن المنير..
وملأت دنياك السخيفة بالعبير ..
وبنيت قصرك فوق أبراج السماء ..
من نبض قلبي من حطام الابريـاء ..
وسلبتني قلبا وفيا لايمل ولايميل ..
فوهبتك الفن المليء بكل احساس نبيل ..
فكسرت قلبي بالخيانة والخداع ..
ورميت بالفن الرفيع الى الضياع ..
فتجمد الالهام وارتاع اليراع ..
كم ندبت الحظ يوما جاهلا سر الاسى ..
حتى اواجه الحقيقة شاحبا مثل المسا ..
فاذا بنار الحب يعلوها الرماد ..
واذا بقلبي قد تحجر كالجماد ..
واد الهوى ، وازاح ماض من سواد ..
ماأنت الا وردة قد أينعت دون رحيق ..
بل لست الا حلية قد زيفت فيها بريق ..
ان كنت أسأل عنك نفسي من تراك ..
فلانني قد عشت دهرا في عراك ..
كي لاأصدق مانصبته من شراك ..

عصامي عبد الناصر

خواطر



من مواليد ١٩٥٣ بفاس . أحرزت على دبلوم الصحافة من معهد دمشق سنة ١٩٧٦ . ممثلة للاتحاد النسوي خارج الوطن من ١٩٧٥ أصدرت ديوان – اصداء من الالم – سنة ٧٥ ، وديوان – موقف – بدمشق سنة ٧٦ وبالفرنسية ظهر لها – اليك أيها المذكر . و – اليك وضدك – . كما ستصدر قريبا – اهددك بالحياة – .

فاطمة الزهراء بن عدو

١ – مستحيل

كالماء يكتب فوق النخيل

كالاعمى ينظر في الدرب الطويل

هكذا أنا

هكذا أنا ياحبيبي

لوحة من المستحيل !

الاعمى لايمكن أن ينظر في الدرب الطويل

والماء لايمكن أن يكتب فوق النخيل

وأنا لايمكن أن أكون غير لوحة من المستحيل !

متى كانت الشتاء تمطر في فصل الربيع

متى كان قاسيا ذاك الطفل الوديع

ومتى لم أكن لوحة من مستحيل

كالماء يكتب فوق النخيل

كالاعمى ينظر في الدرب الطويل

هكذا أنا

هكذا أنا ياحبيبي

لوحة من مستحيل !

٢ – فكر وتفكير وأفكار

– فوق التفكير فوق الفكر فوق الافكار

الاه البشر الاه النور الاه الاقمار

فوق التفكير فوق الفكر فوق الافكار

سماء النبل سماء العز سماء الاقمار

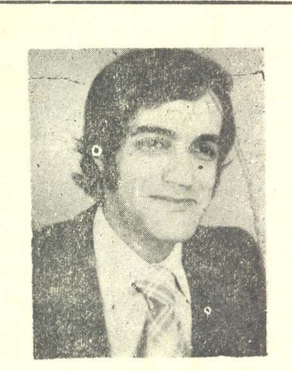
قلب يبكي مهجة جارت وأعصاب تنهار

ـ فوق التفكير فوق الفكر فوق الافكار
الحان عروبتنا ترقص فوق القتـــار
أنـــين ماضينا يفنينا كل نـهـــار
أخطـــاء حاضرنا توصمنا بالعـــار
ـ فوق التفكير فوق الفكر فوق الافكـــار
عيون غابت ويد تستميل الستار

ـ ٣ ثلـــج وبـــرد وشـــتاء

ثلج وبرد وشتاء
وأنا بينهم
أفكـــر في البداية
أفكـــر في النهـــاية
أفكر في سفح الجبال
أفكر في عمق الخـــيال
ثلج وبرد وشـــتاء
وأنا بينـــهم
أسأل عن سر بياض الثلوج
أسأل عن سحر اخضرار المروج
أفيق من النوم العميـــق
أنقذ الطـــفل الغريق
ثلج وبـــرد وشـــتاء
وأنا بينهم
أشق الدرب الطـــويل
أودع العـــهد الجـــميل
أكـــف عن اللذات
أعيش الهـــزات
أعيش الواقع المـــر
أقتل الخيال الحـــر
ثلج وبرد وشـــتاء
وأنا بينهـــم
أقطع أشواط السنين
أذوب بين الشوق وبـــين الحـــنين

البحر والشراع



من مواليد ١٩٤٩ بالقنيطرة نشر نتاجه الشعري بجريدتي - العلم - و - المحرر - كما لحنت جل قصائده القصار .

علي كاشورة

لو عاد بي البحر والشراع

قبل أن يصلبوا حبيَ اليك ..

قبل أن يصلبوا قلبي أمام عينيك

على أعمدة الحقد في ساحة المدينة ..

لو عاد بي البحر والشراع

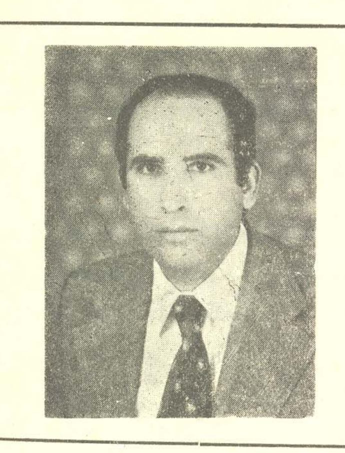
ربما تكلم الصمت المصلوب بين شفتيك

وصرخت الرعشة المشنوقة في يديك

وتغيرت صور الاشياء المرسومة حواليك..

لو عاد بي البحر والشراع ..

النرجسة



أبصر النور في وجدة عام ١٩٤٥ ظهرت اولى قصائده على صفحات - العلم - سنة ١٩٦٥ .. وبالاضافة الى الشعر ، اجتذبه المقال الادبي وأسهم بالكتابة المسرحية .. ظهرت له دواوين ثلاثة : - الشمس والبحر والاحزان - سنة ١٩٧٣ - العشق الازرق - ١٩٧٦ . وهو مشترك . - عناقيد وادي الصمت - ١٩٧٨ ، وله تحت الطبع : وادي الصمت - ١٩٧٨ - .

محمد بنعمارة

ترجعين من البحر قطرة مـاء
ليختبىء الغـيم فيك ..
فينبت منك النخـيل
وتمتد كل المسافات بالنفي والاسئلة
ووجهك هذا الغريب يطـاردني
عـند بدء الرحيل
وعـند النهـايات
بـين البدايات والمنتهى
وبين البدايات والمنتهى
يمزقنا الزمـن الوثـني
لنبحـث عن مخرج من تـراب
وعن مخـرج من رحـيق الزهـور
وعـن باب قلعـتنا المرمريـة
لنسأل عن شبحين يغران
في نقطة الفصل بين العمى والضـياء
فذاك الذي منـه تأتي النوارس والزرقـة
السـاحـرة
يصير مراكب للهاربين الذيـن يبيعون :
رمل الصحارى ، وأهـرام مصـر ، وزيـت
القناديل والمسجد المستباح

* * *

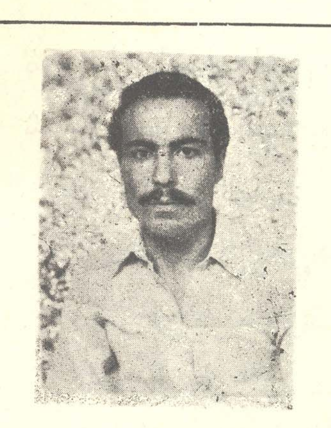
وقد نلتقي في ثـوان
نبايع هـذا الصعود الى المـوت
حين تصير الحروف دوائـر
تصغر عند ابتـداء القتال
فيتسع الحلم يامـدن الدهشة العابره .

* * *

أنا عازف وتري قطرات المطر
وأهزوجتي ضـحك الغـيم
والصـحو أنثاي
وفي صفحة النهر أقرأ مطلع عشـقي
وأرحل في موج هـذا المـدى
لاغرق فيه كعصفورة طاردتها الرياح .
ومن بين قبر الاساطير تأتـيك خيـلي
تجر قرابين ملـك قـديم
أقام على ضـفة النهـر يانرجسـة

كلام في حضرة الأشياء

«من مذكرات أبي ذر الغفاري»



مبـرك الدريبي

من مواليد القنيطرة سنة ١٩٣٩ عايش الحرب العالمية الثانية وويلاتها • دخل الى الكتاب ثم المدرسة الحكومية الفرنسية ،وطرد منها لان أهله فقراء •

شارك في صفوف المقاومة المغربية والقي عليه القبض يوم ١٤ ـ ٤ ـ ١٩٥٤ • ولم يفلت من ساحة الاعدام الا بأعجوبة •

أدمنت خمرة الاشياء الخصبة مذان

مل بي وباء اللون ، وطقوس العصافير الهاربة

الى جزر شفق بهي ، أعلنت أنني لن أهادن

هذا الشيء الرمادي الذي لاح طيلة خمس

وعشرين سـنـة •

من غبش منذور للجنازات الاولية

من طهارة الانبياء ، والحدائق المخملية

من دهش مضيء يتسكع مدن أبي ذر

زحف رأسي عبر العمر الذي سجى

حاملا بين فكيه غائلة نبيّ هزيل خلف الاسوار

يقعـــي

يحتسي كفر قومه ، يغمره البهـــاء

ويعيش الدهر ، بلا رجـــاء

من مناطق عشب جميل جئنا ، يومئذ

اصطفانا حزن مشرق واصطفانا الخلان مزمنا

كـــل

الابتداءات الموسمية ،

تباشير صبح انفلق ،

وكالعادة بدأنا نأكل من وحل عنيف أزلي

ماعلمنا أننا نشيخ في هدأة الدموع

ثاوين في الرجوع واللارجوع

لكننا كنا لانموت •

هي السحب تزجى ، فانزل أيها المطـر

دافئا ، عانق الرغبة الشهية في الصدور

هدأة المطر تشبه هدأة الدموع ، فيها

يضطرم التفسخ والغشاوة الآسنة

حدائق أبي ذر ساكنة ، لايصيبها الافلاس

الهدأة فيها ملكـوت

مملوءة بالطين وبقايا عنكبوت
فتقترب المسـافات
كأن الكون جوهرة
كأن الاحجار محار ..
نسينا رحلتنا القريبة نحو الامس
كأن الحاضر الذي نستجديه
يهـرب بسـخاء
ياويل الامس ـ كأنه الفنـاء
أبو ذر في تأويلنا لحظة رمادية
من سماتها العناء
في تأويل المدن الحضرية شهادة
في تأويل الجراد جرادة
في تأويل العرب ريح موسمية من
الجهات الاربع ،
فاليوم .. اليوم .. يابني عبد مناف
اكتب لكم الشعر بالحبر الصيني ، أصور لكم
الكعبة مكشوفة للصقيع
فللشعر أوقات وللسيف مثلها
ياويح الاوسمة اذ هيَ دولار أمريكي
يتقاضاه الشعراء ـ الكلاب في عكاظ
اشتهي دائما مغالبة اليخضور وأن
اقتات نسغا حليبيا من الوجع الوطني
هكذا أبو ذر في هدأة الدموع
على ضفتيه تنمو الشموع

* ● *

أحمل فوقي ثقلا جسديا مذ
الاعترافات المتوالية من شهيتي المتوحشة أن
الصدور الملغومة في علب التصبير
وأن القضاة زناة
للنخل اعترافات مماثلة لانملك البوح بها
قبل خاتمة فصل الضوء ، عن قريب
سترون أن النخل هو الضوء وأنني باندفاعاتي
العاطفيـة
مجرد ارهاصات لغيم سيطلع من
شروق خيل مجنحة بيضاء النواصي
حدثنا أبو ذر قال :
لـم يكـن لـي قلـم
كان لي سيف وعـزم
فصـل من الكـلمة
وفصـول من الفعل
سادتي ـ ان الانسان لفي سكر
مستحبات النخل بعدد حبات الرمل ، من
يحصـيها .
لانعرف أكل الكتف مذ خمس وعشرين سنة
أبو ذر اليوم يكاشفكم المسافات ، كل بلد
يمنحه الخـلاص
في وطنه ماسوى الوطـن
في سمائه ماسوى الهـواء
في فنائه ماسوى البقـاء
هكذا كان الرصاص يومايعشق منطقة النهدين
مثلما تطلع مني الرجفة القاطـنة الحلـق
والرئتـين
سادتي ـ ان الانسان لفي سكر
هو أبو ذر من طقوسه الرحيل

من دفاتره النخـــيل

* ● *

هيهات ... هيهات .. لمن كان له قلب
لايعي الا المحرمات ، أو ماسوى رزقة
مواسم الفرح القزحية
لقد أتينا من نبوءات الدركي الذي افتض مفازة
حلم لاندركها
لقد تشابهنا يومئذ لايغني التشابه
من عصا الامبرياليـــة
آت من فلق صبح كابي التباشير .. سلام ..
ســـلام..
معي بطاقتي وجئت أخاصم فيكم منقصة
تحولات عشق منسوج من أسلاك الورد
في حضرة الاشياء
قالوا ان أوسمتك تحمل خيانتك ، قلت
ان الورد يشتاق للون الغسق البديع اذ يكتمل
الصحو ، وأنني
طائف عليكم سحرا بمائدة من مَنٍّ وسلوى
قالوا ان الوطن غالبا يشتهي التحول الى ألق
نهدين متوهجين
قلت رأيت الشمس ، بهرة ، مزجت جسمها
بالرصيف ، وأن اشتهاء الوطن تحولات مليئة
بالعصافير القزحية
ات اذما أقاد الا لاجدني
فرحتي اليوم شروق بهي يكتمل وياليت الفتي
يحصي مساوئه ، مساوىء العشق أكبر ، اذ
ماأقاد الا لاجدني .

* ● *

اذا ازدرد الوجع الادمي شفقا غاربا
في عمليات ميلاد الورد والطين فاعلم أنه
قد آن العشق الذي انتظرناه ،
من شرايين الحلم ،
من مطلع أبجديات الاعماق .
وفي راحتي يذوب الجليد
مرافىء النورس البليدة تغازل الافق البعيد
قدمت من كل الواجهات
قلبي في كفي دبق والرفس على ظهري
مطارات الهجرة تعرفني وكذلك المسافات
لي من الاشياء أشياء أعرفها
ولي من الاشياء أشياء تعرفني
فارسا تسكنني الجلجلة
ان الكون أقحـــوان
والمدن العامرات بــــراري

قصيدتان للدكتور:

ابراهيم السولامي

ولد بالقنيطرة سنة ١٩٣٨ . نال الاجازة في الادب بتقدير جيد جدا من جامعة القاهرة عام ١٩٦٠ حصل على شهادة الادب المقارن سنة ١٩٦٣ . ثم دكتوراه السلك الثالث عام ١٩٧٣ ، وهو الان استاذ محاضر بكلية الاداب بفاس وقد صدر له حتى الان :

١ – حب – مجموعة شعرية – عام ١٩٦٧

٢ – الشعر الوطني المغربي – دراسة – عام ١٩٧٤

٣ – تأملات في الادب المعاصر . عام ١٩٧٩

١ – مرثية السياب :

لو أن الربيع أيا شاعري
تناهى الى أرضنا لحظتين
كريم اليدين
لجئت اليك بسلة ورد
وعشر سنابل
وجئت بصفصافة مغربية
لتسمع فيها رياح الضياع
تئن مع البوم عند السحر
ولو عاد ياشاعري الشراع
الى الشرق والغرب يغزو البقاع
لسرت ومركبي ملأى ثمار
وزمرد وغار
وجئت باسطورة بابلية
أيابدر ياغنوة عربية
وأنشودة الجرح في أضلعي
وفي أدمعي
وفي الدم في العرق تحيا معي

* ● *

لو أن الربيع أيا شاعري
تناهى الى أرضنا لحظتين
ولو عاد ياشاعري الشراع

الى الشرق والغرب يغزو البقاع ...

فعـــفوا

فعفوا أيا بدر انا هنا

جفانا الربيع

تجمد في العرق منا الدم

وأغلق في الدرب منا الفم

وحطمت الريح كل المراكب

٢ ـ العمـــالقة :

المركب العنيد لامس الرمال

والراكبون انتصبوا عمالقـة

جـــبال

تمددوا على الرمال موجة عـــياء

لـــم ينســـوا

لكن أرجلهم تفجرت دمـــاء

وأشعث الشعر

منذ أن ولدوا لم يخلقوا الشعر

وحملق رفاقي صامتين

ومددوا أياديا دفقـــة الحنين

يلامسون المركب الطريح

أخشابه تشققت والقار غاب

الهي ، كيفكيف وصل الركاب ؟

أربعة بل أربعـــون

عيونهم مياه بحر فاقد القرار

جباههم معارك فتيلة

والثغر ماتت فيه بسمة عصيـة

« أيهـــا المتعبـــون

ماذا حملتم يارجـــال

من غلة ومن ثمـــار ؟

كهبة الاعصار قاموا

كالصخور

وزمجر الصـــغير :

ـ أيا رفاقنا الصغار

البحـــر ما بـــه ثمـــار »

البحـــر ملح وتيـــار

الى اللقـــاء

الى اللقـــاء

كل المراكـــب

فلا تأس ان غاب عنك الصـــحاب

فنحن جميعا بأرض الخـــراب

نموت ولادمعة من سحاب

وندفن مثلك دون مواكب

سوف نعود للبحـــار

□ * □

وغاب المركـــب العـــنيد

وظل في المدى صدى يعـــيد :

الى اللقـــاء ....

الى اللقـــاء ....

حنين الهجرة

من مواليد ١٩٥٦ بالدار البيضاء . كان لنزار قباني أثر كبير في توجيهها وتطوير تجربتها الشعرية كما كان للنقد غير البناء دور في تشبيط انطلاقها في عالم الكلمة الشعرية ، حيث انطلقت الأقلام من عقالها لتحد من حيوية الشاعرة .

وسنة ١٩٧٨ أصدرت ديوانها اليتيم - دعوني أقل .. -

سعاد فتاح

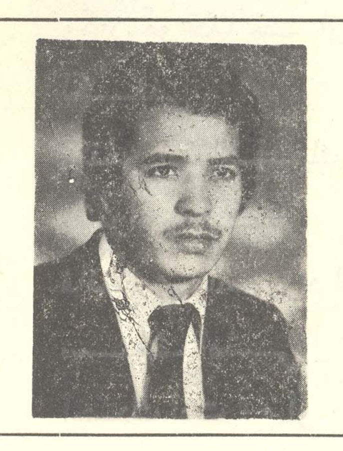
عندما تتطاحن أفكاري ..
عندما أواجه الواقع واتحسسه ..
عندما تشل الحساسية من جسدي ..
عندما نغير دورتي الدموية سيرها الطبيعي
عندما تشتبك خلايا جسدي في احدى المعارك ..

عندما تعلن عروقي عن اضراب صامد
عندما أنسى كل الوجوه ..
عندما أنكر كل الناس ..
يعتريني حنين الهجرة ..
الى ماوراء الكواكب
الى سطح القمر ..
الى ما بعد الافق
الى حيث لا قدر ..
الى ماخلف البحار
الى أعماق الانهار

الى حيث لانوم ولاسهر
الى أرض أجهلها
لاشمس فيها ولامطر
تنتحر فيها كل الالوان
لافرق بين أخضر وأحمر
الى حيث لايعترف بتقاليد
لاتتميز بين خلاعة وخضر
الى حيث تموت العادات
الى أين يذوب الشعور
لاعفو هناك ولا ثأر
الى حيث يحذف العراك ويستقيل الجهاد
فلا هزيمة ولا ظفر
الى حيث الطمأنينة والسلام
الى مكان يفر منه الخوف
لالزوم ولاحتياط ولا لحذر
فلا هدف أصيب ،، ولا حلم أنكسر ،،
الى حيث نعجز عن النطق
نعطي من الخطأ والصواب
فلا يعبر عن رغبتنا الا الوتر

أينك ياوطنا
لاتختلف فيه أجناس
كلنا أنثى وذكر

التحديق في مستنقع راكد



من مواليد ١٩٥٠ بمكناس أحرز على دبلوم المدرسة الوطنية للادارة العمومية • نشر جل مانظم من قصائد بالجرائد والمجلات المغربية خاصة • منذ سنة ١٩٧٠

رابح التيجاني

تسقط أنت بأغوار المرايا ،،
تشرب الدم بقاع البئر حتى تصبح دم ،،
تنتفخ مثل كلب عضه التسكع في شارع الهم
تتضخم ،،
يتدلى القيح من العين والفم ،،
تتجرثم ••
الشريط القاتم يرقص بينك وبينك ••
وأنت تتألم ،،
نذبح الفرس -١- ، تستدعي القوافل ،،
تقرأ شعرا عن الفقر
وعن القهر والهجر
وأحضان الضياع والمشاكل ،،
وتغازل الضحك في حدائق البكاء
وتحاول -
تغرق في خندق الموت الكبير
ترفع اليدين قبل أن تقاتل
تغتنم الفرصة وتوقدالنار برأس الهملايا -٢-
تسهر عاما
يمر عابرو السبيل وأنت تزركش الحكايا ،،
تقطع المسافة بينك وبين المرايا
تتوهم ،،
وتقول ماتتقول من تفاهات ، وتسأم
تكتب عنك وعنك ،، ثم تندم ،،
مخجل أن تخنق حنجرة الحزن العمومي
لتعاقر الانا وتتكوم ،،
تتكلم -٣-
تصدأ في غربتك •• تتسمم ••
تبحث عن القوافل •• تلفك الدروب
تتحطم •• تتهشم
تتطاير شظايا ••
ينسلخ وجهك عن وجهك
يجلس مشروخا على الارض امامك
ويبكي

---

١ - اشارة الى قصة - المرحوم حاتم الطائي -

٢ - تلميح الى - عادة عربية قديمة جدا - ايقاد النار استضافة للغرباء •

٣ -استدراك هام في غير محله

تصـــريح بفقـــدان شيء مـــا

وأعلم أن العباب
اعتقل قبل الوصـول سفني ،
وأن ماانتظره أصبح ينتظرني ،
كل كنوزي قرصنها البحـــر
أنا اليـــوم كنزها وهي ثمنيَ ،

اه واه ،،

ماسئمت ياشـــفاه شهرزاد

من لثـــم الدمىَ

والانتشـــاء بخمور العفـــن ،

والبحـــث عن البحـــر في البحـــر

وعن المـــدن في المدن

حتى تشردت أزقة الالف ليلة وليلة

ويومها كان الضياع العلني ،

نحن انتهينا الان من ســفر الحكايا ،،

سبع مرات يعود السندباد ضاحكا
ونحن أغراب نغني للهموم والمحن
لن نلتقي يا فاتنتي أبدا

ماقـــد كان كـــان

ومالم يكـــن لم يكـــن ،

لن نلتقيَ

نحن افترقنا ليلة الوهـــم

وكان موعدنا خـــارج الزمن

لكـــنني

لكنني آت الـــــيك

وشراعي كـــفني

فانتظري ياشهرزاد التيـــهأولا تنتظري

ســـوف أمشـــي

أجـــدك أنت ٠٠ أو ٠٠ أجدني ٠



اقاليم التجليات



ازداد بالقنيطرة عام ١٩٥٥ نشر نتاجه الشعري بالعديد من الجرائد والمجلات المغربية والعربية . صدر له عن اتحاد كتاب العرب بدمشق ديوان - سيدة التطريز بالياقوت - سنة ١٩٨٠

محمد الطوبي

نهداك عاصمتا المرايا والبهار
نهداك والعبق المضيء على مدارهما نشيد
الياسمين..
أمضي عميقا تائها في صحوة الاسراء
يغشى النور أوردتي ..
ويندلع النزيف المذهل المحموم في جسدي
ويزرعني - سبو - شتلا من الرمان أزهر
مرتين ..
أصير في كراسة الاطفال غابة جلنار
الحلم أخطر من كتاب الحزن في فصل البكاء
والحلم اشهى في جراح الانبياء
للبوح أسباب وقلبي في مدى نهديك حقل
صنوبر وفسيفساء
وجعي صلاة العاشق المنذور للمعشوق ،
فاتحة التوهج ،
رعشة المتصوف المخمور بالكشف المضرج
بالرؤى..

* * *

نهداك عاصمتا المرايا والبهار
نهداك والعبق المضيء على مدارهما نشيد
الياسمين ..
وجئت سيدتي ، أنا المتشرد الغجري أحمل
في دمي شبق الجياد
وحلم طفل تاه في ليل مدينته يحاصرها
القراصنة
المماليك ، الصعاليك ، الشعارات الغبية ،
عربدات المنبر المهزوم ،
خصيان البطولات التي انطفأت وجف النسغ
في شريان واحتها..
فلا شمسا وأقمارا أراها .. لأرى ! ..
لا الحلم أعفاني ولا الاشواق تنساني بهذا
الليل
تحتشد البراعم في الضلوع ،
تضيع روحي في الزحام وتهرب الطرقات مني
تعتريني رغبة للموت مصلوبا على نهديك ..
أعلن عرسك المفقود كي أمضي الى روحي
وأطلع من طفولتك الندية موسما للورد ..
لون واحد عند الموت والميلاد ، عند الكشف
والاشراق
عند السكر والاسراء..أشهد أن لاامرأةسواك
يصيبني سلطانها
خصلة شعرك الغجري تعرف موسماكالانتحار
أرى عبير طفولتي فيه وسحر تلاوة الآيات
والاشعار..

كل حديقة في الماء سفر من عبير طفولتي ،
هو شعرك الغجري يهديني الى الملكوت في
نهديك سيدتي ،
فأنت بهية في العمر ..
أنت شهية في الجرح ..
أنت نبية في الكشف والاسراء ..
نورك تهتدي به قبلة العشاق
فيك أرى الدروب الى الصباح ندية ..
والنور في نهديك تاريخ من العشق المرصع
باشتعال البيلسان
فأنت سيدة الطفولة
أنت فارسة البدايات الجميلة ..

* * *

نهداك عاصمتا المريا والبهار
نهداك والعبق المضيء على مدارهما نشيد
الياسمين ..
كأن روحي عمدتها سورة الصبوات
فاشتعلت على جسدي تضاريس النهار
أذوب كالبوذي في أعماق نارك ،
نصفها كالخمر يصلح للصلاة ..
ونصفها كالورد يصلح للتوغل في هواك ..
معي يسافر هاجس البدوي والمتسكع المصعوق
بالايقاع والآيات
أعرف أنه في الجرح يطلع مهرجان الشمع
والبللور
يجمح شعرك الغجري ينساب احتفالا
حين يشملني الضياء وتفتح الرؤيا مناطقها
وقداس الوصال وسائر الاسماء تدخل عرسك
المنشود ..
تندلع الكشوف شهية وتجليات الروح تأتي
والملائكة الصغار تحوم حول صدرك
تزرع الانشاد والعطر المقدس ..
انني أحيا على اسمك وحده
أحيا لعرسك وحده
أحيا وأشهد أن لا امرأة سواك يصيبني
سلطانها ..
كل الجياد تحب واقفة
وتخرقها سيوف العشق ،
أنت غزالة تزهو فيشعلني مدار الحلم لؤلؤة
تشق في جسد اليقين طفولة الفرح ، اقتحام
المستحيل ..

* * *

نهداك عاصمتا المرايا والبهار
نهداك والعبق المضيء على مدارهما نشيد
الياسمين ..
كم اندفعت على ضفات الضوء والرؤيا ،
فتسكن آية الاسماء حنجرتي ..
وهذا العمر خارطة النزيف على الصباح
أذوب في الاسراء والسكر المعمد بالصلاة ..
وكلما عانقت روحي حاصرتني شهوتي الاولى
أرى جسدا من الرمان يخرقني فتشهق كل
أروقة الطفولة في دمي
يتنفس الصفصاف في رئتي يشاركني
الصعود
الى أقاليم الجنون بدايتي للعشق ..
كيف أقولها لغة النزيف اليك سيدتي ؟
وأغنيتي ربيع دمي وحبك والندى
قمر الشهيد أنا ومشتعلا أسير اليك ..
أغنيتي السنونو واحتفال العمر ،
أغنيتي المزاهر والسيوف ..
كأن حنجرة على كل القرى انسكبت ربيعا ،
في قرار السكر صورتك المرصعة المقام ..
أرى بلادي ماأريد ولا أريد
تعرش الاحزان بين الدمع والشريان ..
والشعراء تحت الليل ينتحرون
والامراء فوق الليل يبتسمون
والفقراء جوف الليل ينكسرون
خارج ذكرياتي ليس لي بيت .. الشوارع
والمقاهي كلها منفى

فأقطف غصن صحو من نبيذ يغسل الوجـع
المعبأ بالذهـول
وأمتطي فصل التوغل في هواك ،
وكل من يهواك تقتله الصلاة
تصيبه الصبوات
تصرعه الكشوف ..

* * *

نهداك عاصمتا المرايا والبهـار
نهداك والعبق المضيء على مدارهمـا نشيد
الياسمين ..
وتلك جمهورية المشتاق للموت الجميل
فكيف أعرف أن أضلاعي بحيرة شهرمان ..
أن أيامي عصافير مهاجرة اليك ..
وأن ذاكرتي تعود الـتي من نـزق الفراشات
الملونة التي تأتي مع النسيان ..
أن دمي حقول من ضياء والنشـيد نزيفـي
العلني والمخفي..

* * *

نهداك عاصمتا المرايا والبهـار
نهداك والعبق المضيء على مدارهمـا نشيد
الياسمين ..
القلب يغريه احتمال الانتحار
وأشتهي سيفا من الفيروز يختزل العواصم
والحصـار
وصقيع أرصفة الضياع ،
وكل أيام التسكع تحت أمطار الشوارع
كل أدغال التشرد والضلال ..
وأشتهي ، قلبي بساتين من الاشواق سيدتي
وليس لثورة الاشواق حد .. فاليقين أنا ،

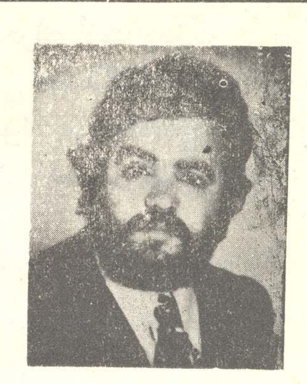
فتحت الجرح كالمحراب والخيل التي ركضت
اليـك
على بساط العشق تحترق ..
وجع يغطي كل أنسجتي فأزرع بوح انشادي
مع الصـبوات
خمرا طاب لؤلؤها من الاشواق ،
فيها نشوة العشاق ، فيها الحلم والالق ..
من صدرك القدسي قلبيَ يعرف الاسماء ،
صدرك أنت يبتكر الجهات
وفي مسالكها يضج الورد والحبق
ومواسم ضاقت بها العتبات والطرق
وأنا المسافر ليس لي فرس وأمضي كيـف
أمضي يامعذبتي ..
تعبت وراحتي الارق
حلميَ جميع دروبه وجع وذاكرتي بمـاء الورد
تختنـق
للعشق عرس واحد يفضي الى الملكوت فـي
نهديـك
تشرق في المرايا المعجـزات ..
هو الوصال حنين آيات يطرز في رحاب الضوء
صـحوته
فماذا كنت ؟ أين ولدت ؟ أين أموت ؟
كيف أبعث مرة اخرى نبيا أقرأ السور الشجية
كالندى والانتحار ..
وشعرك الغجري منتشر على وجهي وأيامي ،
ويمنحني النبيذ معتقا فيَ كأس نار ..

* * *

نهداك عاصمتا المرايا والبهـار
نهداك والعبق المضيء على مدارهمـا نشيد
اليـاسـمين ..

قصائد

سيرخيوماسياس



ازداد عام ١٩٤٣ بأصيلة ٠ حصل على الاجازة سنة ١٩٦٨ ٠ في العلوم الاجتماعية، عضو في الجمعية المغربية لعلم الاجتماع ٠ وعضو في جمعية حقوق المؤلفين المغاربة ٠
أصدر عام ١٩٧٥ كتاب ـ المجتمع الاصيلي والمسرح ـ وسنة ١٩٧٨ ـ المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري ـ ٠

ترجمة : مصطفى عبد السلام المهماه

ولد سيرخيوماسياس في سنة ١٩٣٨ في جنوب الشيلي بكربية اقليم كوتين ، درس القانون في جامعة الكاثوليك سنتياغو ـ المنطقة التي عاش فيها الشاعر الكبير بابلو نيرودا ، المطرة والمغطاة بالاشجار والبراكين والانهار ، ولكنه ترك القانون من اجل الشعر ٠

لقد سجل النقاد قوة شعره ، وعمله الانساني بالدعوة الى الرجوع الى الطبيعة مناجاة أو حوارا ٠
شغل الشاعر سيرخيوماسياس منصب رئيس اتحاد كتاب الشيلي ويعيش حاليا في المنفى بالعاصمة الاسبانية وقد صدرت له عدة دواوين شعرية ـ أيدي المخطط ـ سنة ١٩٦٩ ، بالشيلي ـ دم الغابة ـ ١٩٧٤ ـ بالشيلي ـ زمن الاشياء ـ باللغة الالمانية ، ـ أغنية مدفون ـ باللغة الالمانية ـ نبحث عن الامال ـ ١٩٦٩ ، باللغة الهولندية ، ـ حديقة الصداقة ـ موسوعة تكريم لطفل امريكا اللاتينية باسبانيا سنة ١٩٧٩ ـ الطفل في الافق ـ ١٩٨٠ بالمكسيكية ، بستاني الريم ١٩٨٠ باسبانيا ـ الطفل والارض سنة ١٩٨٠ بالمكسيكية ٠

الكائن الغريب

من أين يخلق الصمت ؟

والبستاني أفزع مع أوراقه وجذوره

في الفجر تغزو العصافير بأغانيها
صار مساء كائنا غريبا ساحرا بنغمه :
هو الريح ٠

في وادي الدموع

الرجل كالريح يصنع الطرق

واحيانا تغطيه رجة من المطر

والبستاني حزين ، واليوم لايبحثون عن اثره

اغرقوه في واد من الدموع

ارامــــل الحــــرب

الرجال عندهم امام نعم الاحسن طريق ٠
لكن يؤخذ آخرون الى الشــقاء
في حين البستاني يفرح مع الرعـد ٠
وارامل الحرب لا ينامون من الدموع ٠

خطوط فــوق أوراق الزهـــور

يزرع الزهور للشعب ٠
وكذلك لنفسه ٠
تراه الناس يفعل الكتابة على أوراق الزهور
وبطبق تحمل الريح فوق تيجان الورود ٠

عــيد الحــب

لابد من حب الضوء فوق المائدة ٠
والخبز ، والعنب ، والسرير ٠
تلك الطهارة المتمردة على نبات الورد ٠
في حفلة حب ، وكل يغرم الارض ٠

ان اخـــذك أحـــد

ان أخذك أحد من نفسي
سأجرك الى بحر الرغبات
وسيقفل البستان الطريق بخناجره الشمسية
وسترجع الى كائني لتتسلق كمثـل نبــات
متسـلق

ـ حــب الربيــع ـ

أحرث أنت اسمك واسمي ٠
في قشرة بسيطة ٠
يأتي الربيع مع مداعبته ٠٠
وعلى ظل الشجرة ينمو حـب الربيع ٠

الاديــرة الصــفراء

من الخريف الى فصل الشتاء
توجد خطوات بستاني حزين
واوراق لاتنسى بتفريشها الارض ٠
واديرة صفراء محطمة بالشتاء الاولية ٠

أين ترك الرجل الحــروب

الارض عندها جروح عميقــة
وزوايا مستنزفة الدم بالسماع
البستاني بيديه السلمية
يغطي البذور في المكان الذي ترك فيه الرجـل
الحـروب

أغــاني الريــح

احب حبائل قوس قزح
وتعبير الشمس ككيل قديم يوزع الذهب
على الارض
وارجل الاطفال تزلق على ربيع البستان
والسلام في أغاني الريـح

مــنزل العشـــب

الحوارات مع بستاني نفسي
يحصد الافكار ، ولاينساني منذ الطفولة
وفي كل هنيهة من الزمان أسأله :
هل اتى رجل ما ، لدس منزل العشب ؟

مثـــل الجـــميع

ككل البستانيين أقوم بزرع الفجـر
والهـواء ، والمطـر ، والاصـوات
واسأل : اين توجـد نهـاية تفاحه ؟
واين بداية نقطة ماء ، وجنوب نفسي ؟

أوراق مــن الشـمس

عندما أموت ستزرع يداك نبات الورد
الى جانب فضائي الصغير والعميق
هكذا اريد دفني
مع مجموعة من أوراق مليئة بالشمس

الحاج سعيد



من مواليد القصر الكبير سنة ١٩٥٠ درس بها المرحلة الثانوية وتابع دراسته الجامعية بفاس ، حيث أحرز على الاجازة سنة ١٩٧٢ شارك في عدة مؤتمرات أدبية منها :اتحاد مؤتمر كتاب افريقيا واسيا بطشقند ، وله مجموعة قصصية مشتركة بعنوان - أطفال يكبرون رغم انفهم - ٠

أحمد المصباحي

جاء الخلاص ٠٠ وكان على يد امرأة اشارت عليهم بضرورة احضار قطعة بصل،رائحتها الحادة قادره على اعادة الحياة للحاج سعيد٠لقي الاقتراح الموافقةبالاجماع الا مساعدي الحاج - الجثة ٠ تبادلوا فيما بينهمنظرات الاستنكار تعجبت المرأة من رد فعلهم السلبي استعرضتهم بنظراتها واحدا بواحد ، ثم استفزتهم صارخة :

- مالكم تنظرون الى بعضكم بعضا ، اترفضون انقاذ هذا الرجل ؟

مرت دقائق لم تسمع لاستفسارها ردا ٠ نطق بعضهم :

- ولكن ٠٠٠

وتوقف ، كأن وراءه سرا رهيبا تهيب من الافصاح عنه أمام الجوقة ، توارى الى الصفوف الخلفية ، متقيا النظرات المتجهة اليه كالسهام ، تشجع مساعد ثاني يشرح لها بيديه وحركات جسمه ، أكثر مما يفصح عنه من عبارات ٠ ماان انزلقت على لسانه كلمة البصل حتى تجمد عندها ٠ ازداد تعلق الناس بأمر البصل لدرجة أن بعضهم نسي نفسه وهو يدوس على أطراف الحاج - الجثة لئلا تتكرر المهزلة ، تدخلت موضحة ٠

- اه ٠٠٠ فهمت ، تخجلون من طرق باب الجيران سأذهب بنفسي لاحضارها ، الروح عند الله عزيزة ٠٠٠

قرارها الاخير ، سد في وجههم باب الامل ٠٠٠٠ ادركوا أن سقوط الحاج سعيد مغمى عليه ، بمجرد فتحه باب المستودع السري لمواد الاستهلاك لم يعد يعنيهم وحدهم ٠ عادت تلهث، ممسكة شيئا بيد من حديد ، اخترقت الصفوف بعنف،جثت على ركبتيها،تدك بانفعال شديد انف الجثة بقطعة البصل،انعطاف منخريه المفرطحين كمنخري خنزير ، يمينا ويسارا تبعا لحركات يد المرأةكاد أن يحول الموقف الى مشهد هزلي ، لولا نظرات المساعدين المتوعدة شرا ٠

حرارة الحياة بدأت تسري في شرايين الجثة،خالجت الفرحة قلوب المساعدين ٠

ارتسمت على قسمات وجههم الكالحة ابتسامة الامل يستحثونها بهزات رأسهم للاستمرار في محاولتها تأوه متألما ٠

- أي قلبي ٠٠٠ اي رأسي ٠٠٠ هذي رائحة البصل ٠٠٠

لم تبال بهذيانه ، الت على نفسها الا تتوقف الىأن تنفتح عيناه المتورمتان كعيني ثور ٠ بالتجربة تعلم أن حالة

مثل هذه تترك صاحبها يهرف بكلام لا منطق له ، شبيه بهذر الاحمق ٠ طلبت منهم مساعدتها لجعله يعتدل في جلسته ، مستندا الى أذرعهم ، اثناء ذلك كانت تهمس في أذنيه بعبارات تبعث فيه روح الامل « الخير كله في حياتك لاولادك ولربة البيت ٠٠ » ناولته جرعات من الماء ، يسترد بها الانفاس ٠

أي ، ٠٠٠ أين أنا ؟ لماذا انتم واقفون امامي ؟ هيا انصرفوا الى شؤونكم ، ٠٠٠٠

يتطلع الى معالم المكان يحيط به ، وقد خفت وطأة الحصار ، ضربه من حوله جمهور غفير من عابري السبيل ترامت نظراته الى المستودع ، بقي مشرع المصراعين كما تركه قبيل سقوطه اندفع بنصف جسمه الى الامام يتأكد من تماسك جدار عروق البصل الخضراء ، تسد عرض باب المستودع ، مطلة برؤوسها الى الخارج باتجاه الحاج ، ستتعلق بجسمه لتسلب منه الروح بفعل رائحتها العطنة ٠ صرخ في مساعديه مولولا :

– ويلي على مصيبتي ٠٠٠ لم تبع البصل بعد ؟ ويلي على فلوسي ضاعوا ، البصـ٠٠٠٠

سقط بين أيديهم جثة هامدة ٠ هرعت المرأة نحوه تتوسل اليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ٠٠٠ الحت على مساعديه ان يجلبوا لها مجمرا وبخورا ٠ ان صاحبهم مسكون بالجن وهي تأمرهم بذلك انجذب بصرها الى جهة المستودع ، جمدت جمدت في مكانها كالمصعوقة ٠٠ مئات الاطنان من البصل ماسبق أن شاهدت مثلها استحالت الى غابة من العروق الخضراء تودان تثقب السقف برؤوسها المعقوفة ٠

– ويلي ماهذا ؟ هذا الخير كله يفسد ؟ هذي أمعانك يالحاج ؟ تخزن هذا الخير كله على الناس لكي تربح أنت وحدك ؟ ٠

نهضت واقفة تتأمل مساعدي الحاج – الجثة ، وقد أدركت سبب اعتراضهم على اقتراحها منذ أشارت عليهم بفكرة البصل ، خاطبتهم قائلة :

– اتركوا الخنزير يمت ٠٠٠ جزاؤه الوحيد الموت ٠٠

بصقت في وجهه ، وانصرفت الى بيتها ٠٠٠٠



ويبقى النهر

محمد قنديل بعاير

خانتني شجاعتي وأنا المس الاسلاك الشائكة بيدي ، انتابتني أحاسيس مبهمة لم أهتد الى تحديدها : نبعت في داخلي موجة من الفرح العارم . ولكنها سرعان ما تراجعت حسيرة منهزمة . عاد القلق يطبق علي بكل قواه حتى كدت أتميز من الاختناق . لم أعد اقوى على الوقوف فتهاويت على الحشائش الجافة أستعيد أنفاسي . سمعت خشخشتها وهي تنسحق تحت ثقلي . انقلبت على ظهري ومددت ساقي حتى لمست رجلاي الاسلاك . في الافق كانت الشمس تهوي نحو المغيب وكان قرصها الاحمر القاني وهو يغوص شيئا فشيئا وراء التلال يبعث في خاطري شعورا غريبا يخيل لي أنني سأراه اليوم لاخر مرة في حياتي . سأنتظر هنا حتى يحل المساء .وينشغل الحراس وكلابهم بقطعان الماشية العائدة من المراعي طغت علي رغبة ملحة في التدخين مددت يدي الى جيبي . كان خلويا الا من الوقيد وتذكرت في الحال أنني دخنت اخر سيجارة وأنا ابتعد عن القرية . ثم كومت علبة الدخان حتى صارت كرة صغيرة من الورق ورميت بها في القناة الجافة . فتور كلي يخدر جسمي . ومن خلال التعب الذي أنهك قواي لمعت أمامي فكرة : لماذا لاتعود وتستريح؟

بدأت فكرة العودة تراودني وتكاد تستحوذ علي الى أن اقتنعت بأنها الحل المناسب . ثم عادت وساوسي تطل علي بعيون منذرة . ترددت ... هل أعود بعد كل هذا التعب ؟ وهذه الرحلة الطويلة التي كلفتني الشيء الكثير ؟ ثم انني وصلت تقريبا ... وهاهي الاسلاك الشائكة التي تحد الضيعة اضغط عليها بحذائي . ووراءها تبدأ المغامرة الحقيقية .

لا لن أعود . وكيف أعود وقد تركتهم يعيشون على الامل . ينتظرون عودة المياه . عندما حانت لحظة الوداع برقت أعينهم بريقا مخيفا . وبدت وجوههم شاحبة كالحة كلماتهم مازلت أسمعها كصدى يتردد :

— العار يسود الوجه يابني ...
— ماقيمة حياتنا دون مـــاء ؟
— تشجع وكن رجـــلا ..

عانقوني واحدا واحدا ، اجتاحتني رغبة في أن أتقيأ وأن أبكي . غير أن هذه الرغبة اختفت عندما وقفت بباب الكوخ . التفت نحوهم وتحاشيت النظر في أعينهم .خرج صوتي ضعيفا متشنجا :

— المسامحة قد لا ترويني ....
حملت الفأس فوق كتفي . ثم انطلقت ...

كانت الطريق الترابية المحفرة تتعرج وسط المزارع .

والارض السوداء قد مزقت جلدها شقوق غائرة ، وقطعان الماشية متناثرة في الحصائد الجرداء ٠٠٠

وعندما مررت بالبئر كان الزحام شديدا لنضوب الماء وبعد القعر ٠ وقد ظلت هذه المناظر تصدم ذاكرتي بالحاح وعنف حتى عندما وصلت الى ـ بلاد الماء ـ كما يسمونها حيث المياه الجارية والاعشاب النامية والخضرة المنتشرة في كل مكان ٠ والابقار التي لم تخلق الا للرعي والعلف والبيع والذبح والتي تدر أرباحا خيالية على أصحابها٠٠

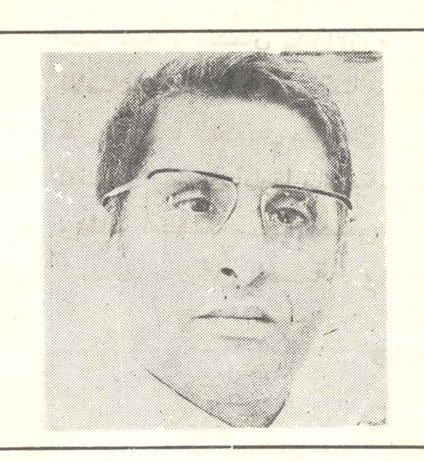
* ● *

أقبل المساء ٠ غابت الشمس ٠ بدأت الظلمة تلـــف الكائنات ٠ دبت في أطرافي قوة هائلة٠ صممت عـــلى المضي في خطتي الى نهايتها مهما كلفني ذلك من ثمـــن صعدت فوق حافة القناة ٠ تسلقت عمود الاسمنــــت ، وتخطيت الاسلاك الشائكة بقفزة عريضة ٠ أصبحـــت الان داخل الضيعة ٠ قدماي تغوصان في الاوحال كلمـــا تقدمت الارض قد شبعت ماء حتى طفت فوقها المستنقعات مناظر قريتنا تتراقص أمامي : الارض العطشى المتشققة ٠٠٠ الحقول السوداء ٠٠. الحصائد الجــــرداء ٠٠٠ القطعان العجاف ٠٠٠ الزحام عند البئر ٠٠٠ خرير المياه يتلوى وأنا اقترب ٠٠. وقفت عند رأس القناة ٠٠٠ هـــنا ملتقى القنوات ٠٠٠ تحسست القناة الذاهبة الى قريتنا كانت مسدودة بحجر كبير وبكومات من الرمل ٠ لعنـــت الضيعة وأصحابها وحراسها ٠ وعجبت كيف أن عملية سد بسيطة مثل هذه تحدث كل هذا الالم والحرمان بقريتنا نبشت الرمل بأصابعي حتى تعرى الحجر أدخلت رأس الفأس في فجوة تحته ٠ وضغطت عليه بقـــوة رجلي ٠ زحزحته مرات حتى تزعزع ٠ثم نتقته من مكانه ودحرجته الى أن سقط جانبا٠ نظفت مابقي في فوهة القناة من رمل وحصى ٠ انساب الماء فبلل يدي . ثم سال وتدفق وجرى بحيوية وتوثب ٠٠٠٠ تذكرت الحراس وكلابهم فأسرعت الخطى عائدا من حيث أتيت ٠ كانت وجهتي نحو الاسلاك الشائكة عندما داهمتني أصوات وضحكات قريبة انبطحت بسرعة فوق الاعشاب واختفيت بين سيقانها المتكاثفة الاصوات والضحكات تقترب مني أكثر فأكثر٠ قبضت على الفأس بثقة فزادني تماسكا ٠ أبصرت كلبا يشم الارض ويركز نظرات متشككة نحو مكاني ، لاشك أن الكـلاب قد شمت رائحتي ٠ لم يعد لي أمل في التستر . لابد لـــي من الفرار حبوت بخفة فوق الاعشاب ٠ وما لبثـــت أن وقفت وأطلقت ساقي للريح ٠ركضت بكل قواي ٠ تعالى النباح ٠ تعلق كلبان بتلابيبي ٠ ضربت بالفأس ضربات عشوائية ، الكلبان مايزالان في أعقـــابي ٠ واجـهتني الاسلاك الحاجزة ، أمسكت فيها بكل قواي ،بدأت اصعد كان شوكها الحديدي ينغرس في يدي دون رحمة ٠ ومـــا لبث الكلبان أن أطبقا بأنيابهما على ساقي . ركلت هـــنا وهناك تخلصت منهما بصعوبة ٠ قفزت خارج الضيعـــة ارتطمت بالارض الصلبة ، وتابعت الجري ٠٠٠٠

* ● *

الفجر ٠٠٠ وها هي مشارف القرية تلوح لي من بعد ووراء التلال يبزغ قرص الشمس الاحمر القاني يعلن ميلاد يوم جديد . الالم يعصر يدي ٠ والجراح مازالت تنـزف ٠ وعضات الكلبين الغائرة قد خشبت ساقي ٠ لم أعد أقوى على المسير ٠ تمددت على الارض الباردة بذلت كل مافي طاقتي من أجل التحرك ٠ زحفت على بطني وأنا اجاهـــد بيدي كتمساح هرم يصارع وسط الوحل ليصل الـــى المياه ٠ الان خارت قواي تماما ٠ اتكأت على جدار القناة الذاهبة الى قريتنا٠ الماء يجري فيها بقوة لاتكبح ٠ ضجة الخرير تتسلل الى أعماقي، ونوم ثقيل يطبق علي٠ أغمضت عيني .لم أعد أحس بأي شيء ٠٠٠ طيور بيضاء تنشـر اجنحتها في سماء زرقاء لانهاية لها ٠٠ شعاع أخضـــر ينبعث من قلب الارض ويعم كل مكان ٠٠٠٠ حقول خضراء فسيحة ٠٠. قطعان تمرح في العشب ٠٠٠ زغاريد ٠٠٠ خيل وطلقات بنادق ٠٠٠ البئر تفيض ٠٠٠ العيون تتفجر ٠٠ الماء يتجمع من كل مكان ويتحول الى نهر ٠٠٠ النهر يزحف على الضيعة فيبتلعها ٠٠٠ يتوجه نحو القناة ٠٠٠ يتصارعان كثعابين وجذا أمامهما غارا واحدا للنجاة ٠٠. تتهدم القناة وتتلاشى ٠٠٠ ويبقى النهر ٠٠٠

أماني "بيهي"



ولد ب - أنامر تاهلة - بأكدير ، عام ١٩٣٦ نال دبلوم الادب العربي سنة ١٩٦٣ . عمل فحاما من ٦٩ - ٧٤ ، حيث الف واصدر عن دار النشر المغربية رواية - المغتربون - عمل ب - المحرر - سنة ٧٣ ، ثم مديرا لجريدة - العدالة - من ٧٥ - ٧٧ ، فمدير مجلة - لقاءات - ٧٨ ، وهو عضو في الاتحاد العام للصحفيين العرب ، وعضو في النقابة الوطنية للصحافة .

محمد الاحسايني

امتلأت المدينة بالجنود الاجانب ، وقد كانت الى أيام قلائل تئن من البؤس والالم .

وهاهي تصبح مستهترة ماجنة ، لقد أزال الجنود بكارتها .. أصبحت مرتعا للشهوات . الناعورة دارت ودارت مع الجنود ، ويعود قدور سكران أخر الليل يردد - سحقا لنا جميعا - .

انتظر قدور حتى فرغ بيهي من زبائن البقالة ، ثم مد اليه الصندوق الخشبي .

- أهلا بالسي قدور .. أين كنت تسرح طيلة هذه الايام ؟

وأراه قدور رزمة من الاوراق المالية .
علق بيهي في اعجاب :

- هنيئا يابن عمي ، أنت تربح في اليوم الواحد ماأجمعه في سنة مع الكد وعدم الراحة .

وأضاف بيهي :
- هلا بحثت لي عن عمل .
قال قدور :

- الامر سهل ، لاعليك .
- والمبيت ؟
- الاصطبل واسع .

ومضى قدور .. مضى فعلا الى الاصطبل حيث مقر سكناه .

- ٢ -

مضى الاسبوع الاول ، وأخذ بيهي يتعثر في عمله لاحظ عليه معلمه ذلك ، وأنه لم يعد من الزاهدين الداعين الى عدم التبذير . عزا معلم بيهي ذلك ، الى الاقبال على البقالة .

وكان بيهي كلما ثار زبون ، الا وكان غير مبال ، ان أهل الدرب يصدقونه ، فسيرته لم تكن الا مثار اعجاب رغم ماتندر به أهل الدرب من أمانيه العظام . وكان بيهي يتمنى على مرأى ومسمع من الزبائن ، أن تكون له سيارة فخمة ، وبقالة ، وأن يرتدي طربوشا فاسيا ، وأن يأمر خدمه وينهيهم .

ثم تجرأ بيهي ، فقال لمعلمه :

- انني أفارقك ، فتدبر أعمال البقالة .

ومضى بيهي يضرب في الدروب باحثا عن صديقه قدور .

جلس المعلم منصور بحانوته لايغادره ، مغموما حزينا لقد فارقه مساعده وصفيه وخادمه ، وأمين سره : ترى من الذي وسوس له ؟

ـ ٣ ـ

جال بيهي في درب عمر ، وفي طريق مديونة ، يبحث عن عمل ترتضيه نفسه ، وأدرك بيهي الفرق بين أخلاقه داخل البقالة وخارجها ...

أحس بأمعائه تزأر من الجوع : لابد من الاكل اذن ، لتستقيم الاحوال ، وتطيب الحياة ، وليس خليقا بجسم كجسم بيهي أن يعتريه الهزال والشحوب لمجرد أنه عاطل يوما عن العمل . ان أمثاله لم يخلقوا لركوب الدراجات ، فأحرى به أن يسير على غير هدى جائعا تعبان فاقع اللون كزهر اليقطين .

أليس من قبيل الحكمة ، أن يتولى تحسين هيأته بالعناية ، فالذبول الجسماني ، يعقبه الذبول العقلي ولاشك ، وفي ذبول عقله ، ضياع لاماتيه ، وهي أعظم سعة من اصطبل قدور .

ووقف ازاء مخزن بنموسى قليلا يهم بالدخول :

ـ أهلا بالسي بنموسي .

وقوس الرجل حاجبيه في لامبالاة وغمغم :

ـ عندك حاجة ؟

قال بيهي :

ـ أبحث عن عمل .

قال بنموسى بكل ماتحمله ملامحه من صرامة وجد :

ـ هل لديك رأسمال ؟ أين عائلتك ... انها شروط لابد منها .

وأشار بنموسى الى عمال المخزن :

ـ هؤلاء ليسوا مهرة ، ولكنهم من العائلات الكبيرة .

انهار بيهي .. تلمس جرابه ، هل بقي تحت ابطه أم لا ، مخافة عوادي الزمان .

كلهم معجبون بك يابيهي ، الا أصحاب الاعمال وأنشأ يقول : اعجابهم بي ، ويل علي وشؤم ، وأنا الذي لايلبي معلمي أبسط المطالب وأقلها كلفة ، كيف بي اليوم وأنا عاطل ، تنحني الرؤوس الي ، هل أنا قادم من أمريكا ؟

لم يبق أمام بيهي الا أن يقصد غلام متجر للجملة . ثم جاءه ، وحكى له عن وضعه ، وأنه على وشك التشرد ، فرجاه أن يبيت على الاقل في المخزن . واستمهله الغلام حتى يحادث معلمه في شأنه .

وأقبل الغلام ، فتاق بيهي اليه مرهفا سمعه .

ـ ان المعلم لم يقبل .

وتشبث بيهي بالغلام في الحاح :

ـ اذن . ماالعمل أيها الصديق الوفي ، والعاقل يطلب من هم دونه حكمة وحزما ، اذا ألم به البلاء أو ضيق عليه الدهر من كل جانب ؟

وبعد تفكير طويل ، أومأ الغلام الى العربة المسندة على حائط المخزن ، وكان عليها صندوق فارغ وكيس من التبن :

ـ دونك والعربة ، فاتخذها لك سريرا .

لم يسع بيهي الا أن يتقبل الفكرة : أين قدور .. أين المبيت في الاصطبل ؟

ثم استدرك بيهي :

ـ اني في حاجة الى الغطاء .



قال الغلام في بداهة :

ـ الصندوق غطاؤك ، والتبن فراشك الوثير ٠

ـ نعم الفكرة ، ونعم الرأي ٠

ـ ٤ ـ

لما استكان الليل ، وهدأت الاصوات ، كانت هـنـاك عينان تراقبان بيهي وقد استلقى على العربة ، جاعلا التبن فراشه والصندوق غطاءه ٠

وانصرم جزء من الليل وتقدمت يدان في الظلام،يتمتم صاحبهما : صيد أتاك الله يغنيك عن مسح الاحذية ٠

ان مسح أقدام العباد ، لايأتيك بربح وفير دائمـا قد يركب الامريكي رأسه ، فيمتنع عن الاداء ، وقد لايؤدي الا ثمنا قليلا ٠ أو ركلة أو ركلتين ، وفي احسن الاحوال يتبجح بأن هتلر على وشك الهجوم على الميناء ٠

سار قدور على أطراف أصابع قدميه ، تمتم : لعلـك يابيهي لم تذق أهوال الليل ، سواده وتألق أضـوائه ، ينبئان عن غدر بك أكيد ٠

وها هو ذا بيهي قد أتاه طائعا وديعا ، وداعة ليلتـه وهمس اليه :

ـ ياصديقي ، الليل في المدينة غدار ٠٠ اللهم لاتفضح الاسرار ، واسدل عليها سواد الليل ٠

رفع الصندوق بحذر ٠ دحرج العربة برفق ، سار بها غير متعجل ثم أنزلها من الطوار الى الطريق ، وسار فـي اتجاه المدينة ٠

حلكة الليل تغطي أطراف المدينة ، لاتظهـر ملامحهـا الا من خلال أنوار باهتة ، وسيطر هدوء كلي على أنحـاء المدينة ، وتوقف على الشاطىء ٠

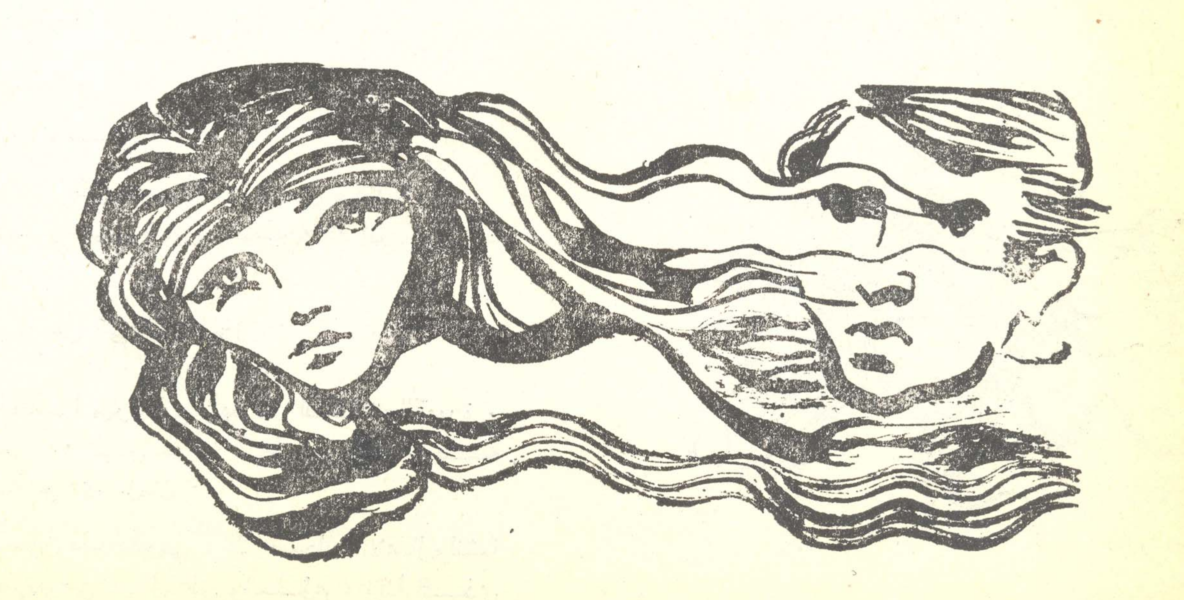
الامواج صاخبة ترتطم على الصخور ، تتكسـر زبدا يتلاشى في الظلام ، دس يده في الجراب ، فأخذ كل النقود ٠

ـ ٥ ـ

استيقظ بيهي فشاهد الطيور البحرية تحوم حواليـه حتى كادت أجنحتها تلمس وجهه ، وانتفض من العربة ، فوجد أن بينه وبـين البحر بضعة أذرع ٠

ولما اجتاز ـ عرصة فرنسيس ـ هزه الحـنين الـى معلمه ٠

اقترب من متجر الجملة ٠ أسند العربة على الجـدار كما كانت ٠



الإدانــــة



من مواليد ١٩٥٦ بالخمسينات . أحرز على الاجازة في العلوم السياسية سنة ١٩٧٩ . وسنة ٧٧ أصدر مجموعته القصصية — أنغام العشق والثورة — ومالبث يوالي النشر بـ — العلم — على الاخص .

عبد الكريم التمسماني

ألف :

الحانه ضجيج ولهو ودخان . والموسيقى الصاخبة ترمي بألحانها المجنونة في أجساد الجنود الصهاينة ، فيزداد ضغط أحذيتهم على الارض الصلبة ، في حين تبتعد أجساد الفتيات عنهم في حركات موزونة .

كان يتأمل هذه المناظر وهو جالس بمفرده في ركن خال يستعد لخط رسالة . وساءل نفسه : الحزن قاتل والغيظ لايرحم ، وهذا الجو التافه لانهاية له .. فأين الجنة الدنيوية التي صوروها لنا ؟ .. أين الحياة السعيدة ؟ .. أين أي شيء غير الكآبة والاختناق ؟ .

تخلص من تساؤلاته وترك حروفه تتحرك على الورق في عفوية النزيف .

يافا — ٣ — ٢ — ١٩٧٦

صديقي العزيز

تحية ودية

وبعد

أكتب اليك من — يافا — . من هذه المدينة المسترخية أمام البحر أبعث اليك بأغلى التحيات . أيها الصديق . صباح مساء أحن الى الايام الحلوة الماضية بأمريكا

اجل .. صباح مساء أحترق شوقا اليها .. فالحياة هنا لاتطاق .. لقد غرروا بنا بمنتهى النذالة صوروا لنا — القدس — و — يافا — و — تل أبيب — جنة يركض فوقها الانطلاق والحرية ، ولكنها ليست كما أوهمونا وانما هي شوارع تجري بالدم العربي . هل تعلم أننا نعيش على جماجم العرب ؟ . ممزوجة أيامنا بدمائهم الكتب التي قرأت والمبادىء الرفيعة التي اعتنقت جميعها تحترق على أرصفة الواقع المفجع . اني أحارب من أجل

فكرة استعمارية • تصور • نحاول ابادة شعب من اجل استمرار دولة تحكمها الخرافة والعنصرية والخزعبلات هنا حيث حلمت بأن أجد العفوية والبراءة ، وجدت الفجيعة والموت •

بــاء :

توقف قلمه عن الكتابة لما رأى ضابط كتيبته يهرول نحوه • وقف مرتعشا ، ويده اليسرى على الرسالة•وقال لنفسه : كم هو مزعج هذا الضابط الشاذ •

– دافيد •.• دائما وحدك • ماذا تكتب ؟

أجابه متلعثما

– لاشيء ذي أهمية •

– ماذا ؟ •• اتخشى من رئيسك على اسم حبيبتك ؟

•• لا •• لا •. أرني الرسالة لاعرف هل تجيد مخاطبة النســاء ؟ •

احتله خوف هائج ، وقال محاولا ابعاده بلطف :

من فضلك •• انها شخصية •

– أنا رئيسك ومن حقي الاطلاع على مااريد .•

صاح دون شعور : كــلا ••

– اذن فلتمنعني •

خطف الرسالة بوحشية ، ثم ضغط على انكماش فيها وبدأ يتلوها • انهار – دافيد – فوق الطاولة يتأمل اللاشيء •• تتابعت عيون الاخر فوق السطور • وبعد فترة لمح – دافيد – انقباضا في جبهة الضابط واحمرارا في اعلى وجنتيه •• انطلقت بسمة هازئة من الضابط .• ثم صرخ منفعلا : أسكتوا الموسيقى •• وانصتوا ••

اتجهت اليه كل الابصار • بعضها في تســاؤل .• وبعضها في فتور •• هدأت الموسيقى فانطلق صوته يتلو الرسالة بارتعاش غاضب •

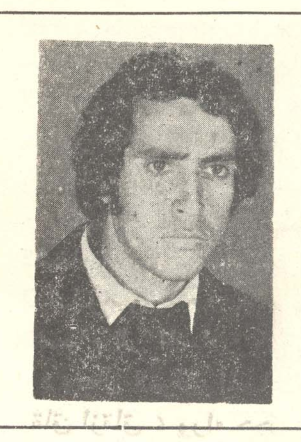
في لحظة اجتاح الجندي طوفان من العرق • كل شيء أصبح يهتز أمامه •• داخله شعور عميق بأن الكل هراء وأن المسدس هو الحقيقة •• تحرك بسرعة فأخرج مسدسه وافرغه في صدر الضابط •

جـيم :

أعلن ناطق عسكري الخبر التالي :

اصيب الجندي – دافيد برديكو – فجأة بخلل عقلي أدى به الى قتل ضابط كتيبته الرابعة : الرائد – زفولون كاهانا – • وقد وضع الجندي المذكور في مستشفى للامراض العقلية في حين أن جنازة الفقيد ستقام زوال اليــوم •

ليلة المخاض



من مواليد ١٩٥١ بالقنيطرة ساهم بفعالية في اثراء جريدتي - العلم - و - المحرر - بقصصه الاجتماعية ، الهادفة الى تبصير الجيل الجديد بالواقع العربي المرير ، وايجابيتها تتجلى في المعاناة الحقيقية للقاص ، وهو شقيق القاص المغربي الكبير محمد زفزاف .

عبد السلام زفزاف

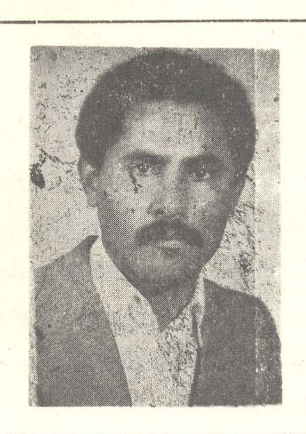
الليلة من ليالي الشتاء الباردات ، مزق سكونها المهول الرهيب ، نباح كلاب الدوار المستمر .. فجأة .. تسمع عويل رياح قوية يأتي من بعيد .. يقترب العويل شيئا فشيئا .. فتتمايل أعناق الاشجار ، وتنكسر بعض أغصانها اللينة ، تهتز أركان الاكواخ القصديرية بعنف ، فيسري الرعب بين اليقظى والنائمين ..تتضارب سيوف السماء مرات عديدة ، فيكشف لمعانها عن سماء سوداء داكنة ، وعن أزقة فارغة من اثر أي انسان أو حيوان .

لم تتجاوز الساعة انذاك الثانية عشرة بعد ، ومع ذلك فقد أوى أصحاب الدور الى دورهم ، والتجأ أهل الاكواخ الى اكواخهم ، واحتمى المشردون اما بواجهات دكاكين مغلوقة الابواب ، أو ببيوت مهدمة عفا عليها الدهر من قذارة ساكنيها الاولين ، ازدادت حدة الرياح وصفيرها .. تضاعف بازديادها خوف الخائفين ورعب المشردين ، قعقع الرعد ، فلم تمطر السماء ، لو أمطرت لكان من الممكن أن تهدأ حدة هذه الرياح ، فيحل الهدوء مكان الاضطراب .

أمثاله شكلا ونوعا ، تمددت الفتاة على سرير من خشب عتيق . فقد أضاء وجهها الجميل القلق ، نور شمعة انتصبت فوق طاولة تآكلت من فرط الاستعمال ، ومن فعل الزمن بها ، ترامت خصلات شعرها الاسود على وسادة مهترئة أطلت منها الحلفاء في استحياء ، تجمد جسدها ارهاقا فلم تعد تقوى على حركة ، تكحلت عيناها بالسهر ، أو كحل السهر عينيها،فراحتا تجولان في أركان الكوخ تارة ، وفي وجه أمها الجاثمة على يسراها تارة اخرى . فجأة .. تحس أن ما بأحشائها يتحرك ، ليخلق الام مخاض شديدة ، تستغيث بأمها كأن الموت يعتصر روحها بكلتا يديه القاسيتين .. تصرخ .. تعاود الصراخ بحدة : أمي .. أمي .. تغرز أصابع يديها في الوسادة العتيقة بعذف .. في ذراعي امها النحيلتين اليابستين .. تزداد الشمعة احتراقا .. يزداد دوي الرعد بالخارج .. تتهاطل الامطار بغزارة ، ترنو اليها الام في حيرة ممزوجة بارتباك .. ترفع عينيها الى أعلى ، تريد أن تقول شيئا فلا تستطيع ، لان ابنتها تهزها هزا قويا .. تجذبها اليها .. تتشبث بها .. أمي أمسكي بي .. امسكي بي أمي .. تميل اليها الام لتمسك بها .. ينتهي شيء وتبقى أشياء كثيرة ضخمة تتخلص من عبئها الثقيل في صعوبة وعسر لم تكن لتتوقعهما ، لانها أول تجربة من نوعها تخوضها وهي ابنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة .. من يدري ؟ هي نفسها لا تعلم كم مضى على عمرها من سنوات ، فأبوها المرحوم لم يكن ليملك كناش الحالة المدنية أيام وجدت هي ، كي يتمكن من تسجيل اسمها وتاريخ ومكان ازديادها ..

أغمضت عينيها ، فتحتهما .. مسحت حبات عرق تناثرت على جبهتها الصغيرة ، نظرت الى مابيدي أمها العجوز فاذا بها قطعة لحم قد لفت في خرق بالية ، ينطلق منها صراخ وبكاء .. حولت نظراتها الى سقف الكوخ .. عنكبوت هناك تنسج خيوطها بكل هدوء واطمئنان تتفرج عليها ريثما يحتضنها النوم ، يملأ بكاء الوليدأذنيها .. فيحرمها لذة التفرج على المخلوق الصغير .. تلتفت مرة أخرى الى يسراها حيث أمها .. أمي . هاتيمابيديك وليد أم وليدة ؟ تقترب العجوز من وجهها كأنماتبحث فيه عن شيء ضاع منها . تناولها الكومة الملفوفة .. هي ذي .. بنت ، اللعنة على أبيها .. تبتسم الفتاة ابتسامتها الشاحبة من لهجة امها .. ينقطع صراخ الوليدة تضعها جانبها .. تحدق فيها بعينين واسعتين .. تحدق في وجهها البريء .. تحول عنها نظراتها لتفكر فتطيل التفكير .. تنساب دموع غزيرة من بين أحداقها .. تنظر امها العجوز . فاذا بها قد ارتمت على الحصير في اعياء .. توزع نظراتها الاخيرة بين صبيتها والشمعة والعنكبوت فاذا بالاولى ترنو الى أعلى بعينيها الصغيرتين .. الشمعة توشك على نهايتها ، والعنكبوت قد أنهت عملها واستقرت بين الخيوط في ارتياح .. تتنفس بعمق .. تغمض عينيها في انتظار نوم مريح .. لم يأت النوم .. في الخارج يزداد صراع الطبيعة مع نفسها مدة .. هنا بالداخل تتشابك أفكارها في معركة حامية تسقط هي ضحيتها ينتصب شبح ماضي ثلاث سنوات أمامها ، فيمحو معركة أفكار الحاضر ، ويدير شريط ذكريات مرتبة الاحداث ، تنطفىء الشمعة ، فينقطع الشريط .. تتقلب هي على الفراش يمنة ويسرة من فرط الارهاق ، تتأوه من شدة ألم في رأسها .. تغرز اصابع يديها في الشعر المهمل .. تريد أن تستريح ، فيحرمها الارق لذة الراحة ، يعود الشريط أمام عينيها ليدور بسرعة دوران عجلة سيارة .. يكشف لها عن بداية خطيئتها ، حينما أغريت بالابتسامات الصفراء ثم المال والزواج ، فاندفعت اليها مفتوحة الفم والعينين ، تظهر لها صورة اخرى بالاحياء الاوربية .. عملت فيها كخادم تسعى وراء مايعولها ويعول أمها العجوز .. أيام حملها يقف سيد الدار التي عملت بها ببطنه المنتفخ وطربوشه الوطني الاحمر مهتاجا : – اخرجي من بيتي ياساقطة الا تخجلين من قولك أن ابني هو الجاني عليك ؟ . – يزداد هيجانه ، فيعلو جانبي شفتيه الغليظتين زبد أبيض .. يصفعها .. ترتعش فوق السرير الخشبي .. ينقطع الشريط أمام عينيها مرة اخرى .. تتلوى على الفراش .. تعود صور الماضي البغيض أمامها في تسلسل مستمر .. تذكرها بأيام الطرد من المدرسة سنة وفاة والدها مباشرة .. تتجسم لها صورة أبيها .. تتضخم .. وجه أصفر نحتت عليه الايام ماشاءت من صور الشقاء والتعاسة .. ظهر قوس على عجل من كثرة أعباء الدنيا وهمومها .. جسم منهوك يدفع عربة خضر من الصباح الى المساء . كي يملأ فاهها وفاه أمها خبزا يابسا .. رجال القوات المساعدة يطاردونه من حي لحي ، ومن زقاق لزقاق ، وراء حجز عربته الصغيرة .. يرهقه الجري ويصيبه الكلال فيسلم الروح .. تتسابق الدموع الى عينيها غزارا ساخنة ، تتلمس الكومة الملفوفة جانبها فاذا بها أسخن من دموعها ، تطوقها بذراعين متعبين فينتزعهما التفكير من نفسها انتزاعا ، ماذا سيقول الجيران غدا عندما تحمل ثمرة خطيئتها بين يديها ؟ هل سيتبعها أيضا أطفال الحي منادين – وابنت امي فاطمة القـ .. حـ .. بـ .. ـة .. – ارتجفت كأن تيارا كهربائيا مسها .. أصبح كل شيء أمام عينيها اسود قاتما ، مرعبا ومخيفا ،، حتى ذكريات هذا الماضي التي تطاردها كلما خلت الى نفسها . بالخارج هدأت الرياح فلم يبق من تساقط الامطار الا رذاذ ينتحر على الارض الموحلة .. ينفذ رنين صوت حلو الى اذنيها ، فاذا به صوت المؤذن يعلن حلول وقت صلاة الفجر .. تجذب نفسا عميقا لتطفيء به نيرانا متأججة بصدرها .. تئن أمها المرمية على الحصير أنينا متواصلا كأنها تحلم .. تغمض جفنيها الثقيلين ، تنام ...

السور والناس والنهر



ولد سنة ١٩٥٢ بالدار البيضاء عمل محررا صحافيا بقسم الاخبار في الاذاعة المرئية ومراسلا اخباريا من الاذاعة الجهرية بالبيضاء ثم محررا اداريا في مؤسسة شبه عمومية بالجديدة .

أما عن نشاطه الادبي ، فقد نشر قصصا وابحاثا بـ - البيان - و - المحرر - و - العلم و - أقلام - كماأصدر مجموعةقصصية بعنوان - أمواج - سنة ٧٨ .

قصة : مصطفى اجماهري

الساعة الخامسة من مساء يوم خريفي .. مع ذلك استسلمت المدينة لنوم طاغ . بدت كقلعة منسية في جغرافية القرون الوسطى . سيطر عليها السكون سيطرة مريبة . والحراس متمركزون في مواقعهم المعتادة ينظرون من الشرفات وأصابعهم على الزناد .

كانت هناك اطيار تستريح على سعفات النخيل . رنورام الربيعينساب بصفاء أخاذ ثم ينعطف في رفق عند القنطرة الى اليمين صوب المصب . محاذيا سور مدينة آزمور البالية .

من ضفة النهر المكسوة بالطحالب ونباتات أخرى مختلفة ، رحت أراقب في صمت واشتياق قوارب الصيد الخشبية الصغيرة ذات المجاديف في أوبتها من رحلة القوت اليومي . جميع القوارب - على قلتها - عادت نحو الضفة الجنوبية للنهر الممتدة على طول السور الاسطورة والاشعة المترددة النافرة من قرص الشمس المتجهة وراء البيوتات المكدسة الجيرية تنعكس على وجوه الصيادين التي جعلت منها الخصاصة عظاما بلا هوية آدمية .

اقترب صياد من اليابسة . كان اشيب الرأس . في عز سنوات الشيخوخة . وبشق الانفس صار يجر قاربه الصغير الى الضفة . أنفق وقتا كثيرا وهو يغالب وعورة الجدب . وفي كل جرة كان يبعث آهة مبحوحة .صدم زفيره صماخ أذني تحركت في أعماقي لجة من العواطف. عزمت على مساعدته . وبحكم شخصيتي المتواضعة ألغيت كل اشكال التفرج والانانية قمت . وشددت بيدي على الحبل . الى جانب يديه المخشوشنتين الجافتين كقطعتي خشب تعرضتا لحرارة لافحة . وبدأنا نجر القارب معا فوق الارض المشبعة بالرطوبة . لون القارب استحال من أزرق الى بني بفعل الماء وعوامل الطبيعة الاخرى . في النهاية .قبض على رأس الحبل وشده الى عمود خشبي خاص لهذا المأرب . انحنى الى الامام أخذ من القارب سلة كبيرة من القصب وضعها فوق ظهره المقوس . لاحظت بانها شبه فارغة الا من بعض الاسماك الصغيرة واخرى متوسطة الحجم .. حصيلة نهار كامل من الصبر والمعاناة .

ظل الصياد يسترد أنفاسه اللاهثة تدريجيا . مسح رأسه المنكس في تعب . حدجني بعين جافة ظهرت منها نظرات رضى . مرت لحظات قلال ران فيها بيننا صمت خانق . بادرت بالقول :

– الصمت هنا يبعث على القلق .

أدخل الصياد الطاعن في السن يده الى جيب سرواله الجلدي . اخرج منه قارورة صغيرة من النشوق . دس منه شيئا في أنفه . ثم كح وعطس وبصق على الارض . حمدا لله . وأجابني بصوت مختلج يشي بالضعف .

– ان القلق هو الذي يبعث الصمت يابني ..

– كيف ذلك ؟

– الصمت لغة نتحدثها ، والكلام لغة حرجة .

– ولكن الكلام ضرورة تواصل ؟

– أنت غريب عن المدينة وتجهل اشياء كثيرة .

– فقط اريد ان أعرف الحقيقة .

تنهد الصياد مشيحا بوجهه عني . التفت حواليه ثم اقترب مني وقال وهو يشير بيده الى النهر :

في جوف هذا النهر تكمن الحقيقة التي أدى محبوها الثمن بالمرة انصرف الصياد مسرعا ينوء لتحث حمل سلوكه حفيظتي . تعجبت من تصرفه المباغت . فطنت الى أنه كان يبغي فضح سر خبيء في صدره . بدون شك سلوكه حفيظتي . تعجبت من تصرفه المباغت . فطنت الى ولكن فضل حبسه بين شفتيه . قلت بخلدي : هذا بسبب وطأة السن أو ربما هناك خفايا اخرى .

عدت لمكاني . هرشت رأسي . أحسست بخشخشات بعثتها عشرات الحشرات الصغيرة الساكنة بثقوب وحفر غائرة بين الاعشاب . تشاغلت برمي الحصيات الصغيرة الى النهر . تتماوج صفحته . وتخلق دوائر تكبر رويدا رويدا ثم تتلاشى نهائيا . تطلعت ببصري بعيدا في السماء ، تركت عيناي تسافران فوق السور . السماء لم تكن زرقاء تماما . تماما . كانت هناك سحب حزينة تزحف متكاملة نحو المجال الجوي لازمور . الفضاء ينبيء بطقس مضطرب . حلقت تشكيلة من النوارس القادمة من البحر القريب من هنا . باحثة عن بقايا سمك أو خبز لبثت تخفق بأجنحتها في مجال واحد كأنما تقوم بممارسات تعبدية . تمنيت لو كنت طليقا مثلها . فأتحرر من قيود الزمان وحدود المكان .

أحكمت أزرار سترتي . مسحت مخاطي الراشح بمنديلي . ورددت التحية على جماعة من الصيادين مروا في قوارب تعمل بطاقة عضلاتهم . كانوا يرطنون مع بعضهم باللهجة البربرية . ويغنون ويتضاحكون بصوت عال . لوحوا الي بأيديهم وأشاروا بشارة النصر .

من ناحية القنطرة العتيقة أقبل عجوز اخر بخطى مستخذية . يرتدي جلبابا صوفيا . على رأسه عمامة بيضاء نسبيا . يحمل علبة من الورق المقوى معبأة بالخبز المتيبس حتى اخرها . حياني تحية عربية . طلب مني لفافة تبغ . سحبت من جيب سترتي لفافتين من الصنف الرخيص كنت قد ابتعتهما من بائع السجائر بالمفرد أعطيته واحدة . أخذها بامتنان . وضع العلبة على الارض الصلدة . أشعل اللفافة . شكرني . أشعلت اللفافة الاخرى . وصرت أنفث فيها همومي جلس العجوز قبالتي راح يدخن واجما . وجوم تمثال روماني . مسح بيده اللعاب المتحلب في زاويتي فمه الشاحب ، أيقظ الدخان كوامن الماضي لديه فطفق يحدثني عن حياته المجهولة المعالم . حديث ذكريات صباه التي اعتراها الخمول والذبول . استمعت اليه باهتمام ظاهر . على الاقل هكذا كنت أبدو . قال لي أنه ابن البلد وآزمور حبيبته وخفق قلبه . وقال فيما قال : أنه قضى في خدمة جيش الاحتلال الفرنسي أحد عشر حولا كاملا .. لم تكلل بتقاعد . والان يكتفي بجمع الخبز اليابس .. وأحيانا .. يعمل في المزارع .

كان يحدثني عن شوقه الجارف لحلاوة أيامه الماضية بكلمات مسترسلة عبر فمه مثل شلال ماء دافق من بين الصلب والترائب . وحين يشعر بزحمة شجونه الوافرة ، يسكت . ويستنجد بمرارة دخان لفافته . يمصها مصا ثم يعيد مصها مرات على التوالي . بنوع من العصبية . وكأنه شعر فجأة بقساوة انهيار الاماني التي طمح الى تحقيقها في شبابه .

قال لي أيضا : أتدري لماذا يحب الناس آزمور ..؟ لانها مدينة يحميها ولي صالح وتسكنها حورعين .

وأضاف بصوت خافت : يبدو أنك غريب عن هذه المدينة .. فلماذا جئت اليها ؟

رميت عقب لفافتي في اتجاه النهر الهادر .. وأجبته :

– جئت أتعلم السباحة في هذا النهر الرافض للموت .

استوى العجوز واقفا . حمل علبته . التفت يمينا ويسارا . ربما خشي أن تقع عليه الانظار المتطفلة وابتعد عبر الضفة المسطحة يروم باب السور .

مرت قوافل كثيرة . وسيارات وحافلات ركاب فوق القنطرة . واتجهت صوب الدار البيضاء . واخرى في الاتجاه المعاكس الى الجديدة . أحيانا كانت تقف سيارة أعجمي أو جماعة من العجم . فيبتسمون ببلادة . ويأخذون صورة سريعة لمدينة راكعة في حضن أسوار ضخمة نخرتها جحافل الرتيلاء .

مراكب الصيد الصغيرة المهجورة على ضفة النهر توحي بنهاية حرب برتغالية . ومنظر الطيور المعلقة فوقها يوحش الفؤاد .

مع اقتراب الغروب بدأ غطاء الدفء ينحسر شيئافشيئا في المقابل انتشرت نسائم برد معتدل في الارجاء . فركت راحتي جيدا . تركتهما تلوذان تحت ابطي . وحانت مني التفاتة . فأثار انتباهي رجل قبيح الوجه حاد النظرات يتحدث في آلة هاتف لاسلكي . كان يراقبني من منظار مكبر واسع الاطار . ويشير بيده من فوق السور في اتجاهي فهمت بأنني المعني بالاشارة ، مادمت الشخص الوحيد الموجود على طول مسافة كبيرة من الضفة .

اعتملت في داخلي كثير من الشكوك . توجست خيفة وهمست لي حاستي السادسة بأن كل شيء ممكن الوقوع وسهل الحدوث . فقررت أن أمشي بعيدا ، سرت الهوينا اتخطى الاعشاب المخضوضرة . سمعت وقع خطوات خفيفة ورائي . أحسست بيد رطبة تقبض علي من ذراعي وتجذبني برفق . استسلمت وقفت . كانت هناك أمامي امرأة متوسطة الطول . ذات خصلتين عسجديتين . مخضبة الكفين بالحناء . ترمقني بنظرة عنيدة ووحشية . متلفعة بعباءة بيضاء تفوح منها رائحة عطر أنثوي مثير للجدل .

قالت المرأة دون مقدمات ، وبنبرة ودودة خانعة .

— انا مستعده لاخفيك عندي .

أسقط في يدي . استغربت كلام المرأة المجهولة . تعقدت وتشابكت مسلك ذاكرتي . تهت في دوامة من التخمينات خلتها غجرية تافهة . ظنتني أمير بترول فجاءت تحتال علي لتسرقني . وخلتها من بنات العالم الاخر ، لاتعرف في الوصال حدودا بين الجني والادمي . فجاءت تسلبني رجولتي . فقلت لها في شيء من الارتباك وقد انتابني كثير من الاحساس بالضيق واللاطمأنينة :

— ولماذا ترغبين في اخفائي ؟ أنا لست مجرما ولايحزنون جئت فقط أتعلم السباحة .

وأردفت بسرعة وبلهجة حاولت أن تطبعها قدر الامكان بالجدية والصرامة :

— جئت تتعلم السباحة في المياه العكرة . أليس كذلك ؟ لاتحاول أن تلعب معي لعبة البريء .

وصل استغرابي حينئذ الى ضعف مستواه السابق فقلت :

— أوضحي مرماك .. اني لست متفوقا في حل الالغاز .

وتوارى الرجل القبيح ذو المنظار المكبر عن ناظري . قالت لي المرأة التي تأهبت لمغادرتي :

— منذ لحظة رآك حارس السور وأبلغ بوجودك أسياد هذه المدينة .. انهم لايحبون الغرباء ، والراغبين في تعلم السباحة .

وترامى الى سمعي مزيج من الاصوات الصاخبة المتنافرة الامدة :

لاتتحرك .. أرفع يديك .

تخطيت ببصري المرأة فرأيت لمة من الرجال الغلاظ الشذاذ مقبلين نحوي . شاهرين مسدساتهم الكاتمة للصوت . والرجل ذو المنظار المكبر يضحك بسخرية وتشفي .

قالت المرأة بسخرية :

— فات الاوان ..

وجرت مبتعدة .

استجبت لناموس البقاء . وامتثلت لهامس مبهم يدعوني للحياة . ففزعت الى النهر . ضمتني مياهه الدافئة احتضنتني . سبحت فيها . غطست بضعة أمتار ثم أطلت برأسي وأزيز الرصاص يصفر في كل جانب .. كانوا واقفين على الضفة . عاجزين . مهدي الرؤوس . جاحظي العيون . متلهفين للقبض علي كوحوش ضارية تترقب فريسة ضعيفة .. فاضت مياه النهر . زاغت عن منهرها . استحالت أمواجا صاخبة لاهبة .. ارتفعت فوق السطح أجساد الاغراب الغرقى عن عمد .. ملء النهر بألاف السباحين الباحثين عن الحقيقة .. اشتد اندفاع التيار المتفجر .. زحف نحو السور المهتريء .. عابرا حواجز الظلام .. مفتضا بكارة الغبش .

موسم العودة إلى الجنوب

ولد بتازة سنة ١٩٥٧ · عرفه القراء قاصا ساخرا بالصفحة الادبية بـ ـ البيان ـ، وتتميز قصصه بمضامينها الاجتماعية ، واشكالها الفنية المتجددة باستمرار · وله على قيد الطبع مجموعة قصصية ·

قصة : عزيـز العـزري

لابد من العودة

اليوم فقط بدأت تعرف من تكون بدأت تميز بين الخيط الابيض والاسود · وعرفت جيدا كيف يمكن ان يتحول الانسان الى كلب بكل بساطة ، دون أن يرتكب جرما انك ضائع في بلاد العجم ، ضائع ومجروح الكرامة ، مجرد كلب ·

وبدأت تنظر بحقد الى هاته العيون الزرقاء ·

وتتذكر وتوقفك بأدب أمام الانسة ـ مادلين ـ تبتسم لها ببلادة ، تشير بيدك الى علبتك المفضلة ، تلبي طلبك وتبتسم في وجهك ،تبادلها الابتسام ، ثم تعود الى بيتك ، تفتح العلبة · تأكل حتى الشبع ، وتتمدد فوق سريرك ، تتذكر البلاد وعائشة وأطفالك الخمسة ، تتذكر حصانك الابيض وهو يعدو تحتك كالسهم فتبتسم لنفسك ثم تغادر بيتك للعمل ·

لابد من الاقتصادماأمكن ، لتعود الى قريتك فتشتري قطعة أرض كبيرة · تزور بيت الله ، وتصبح الحاج علال الدكالي · العلبة ثمنها زهيد وطعمها طيب ، وبالاقتصاد تتحقق الاحلام وينتهي زمن الغربة · هكذا كنت تفكر ياعلال · أما اليوم ، واليوم فقط ، بدأت تعرف أين تطأ وماهي بلاد العجم ·هؤلاء الناس لايفتحون لك قلوبهم رغم أنهم يبتسمون لك باستمرار ، جلودهم بيضاءصافية وتحتها يندس عالم كالتراب يحتقرك ويزدريك ، يحولك الى حيوان ، الى كلب لايملك غير النباح · مثلهم مثل هذه العلبة الملعونة :

ظاهرها براق جميل وباطنها قبيح وأسود ·

لابد من العودة ·

رغم الضباب والصقيع ، بداية هذا اليوم كانت جميلة انه يوم العطلة الاكبر الذي فيه تستريح عضلاتك من تعب اسبوع كامل · عادتك في مناسبة كهذه أن تغادر عشك باكرا ،محتفلا بوحدتك في بلاد العجم والغربة تتجول في الشوارع حتى تتعب ثم تتجه الى البحر تقف على الشاطىء الشمالي للمتوسط ، وتغوص بعقلك وعينيك فيزرقة الماء · تفكر وتحلم ··· على الشاطىء الجنوني لهذا البحر الهادىء يمتد تراب البلاد الذي يحمل جلدك لونه · تحلم وتفكر ·· بفارس يعود الى الوطن مكللا بالنصر ملىء الجيوب بالذهب ، انه الحاج علال الدكالي

يكف الاطفال عن اللعب عندما يمر بهم ، ويشير اليه الكبار بالاصابع ثم يتحدثون في همس : انه الحاج علال الدكالي هاجر الى بلاد العجم ، وبعد سنين طويلة من الغربة عاد الى البلاد وأصبح من الاغنياء . تفكر وتحلم على الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط . وعندما تغيب الشمس تنظر في ساعتك ، لابد أن عائشة عائدة الان من الغابة منحنية كالدودة تحت حزمة الحطب الثقيلة . أصبري ياعائشة لن يحمل جسدك عندما أعود ذرة غبار واحدة .

وقبل أن تغادر البحر ، تركز قوتك في أنفك وتحاول عبثا أن تستنشق رائحة الوطن . تكرر المحاولة ولاتشم غير رائحة الماء والطحالب ومعادن ميناء بعيد . هذه هي عادتك في كل يوم عطلة .

لابد من العودة .

أما اليوم فلم يقع أي شيء من هذا . استرحت من زرقة الماء فأنت تراها كل يوم في عيون العجم . اليوم رغم ضبابه وصقيعه كنت قريبا من الوطن ، لمسته بيديك وتحدثت اليه استرحت من رائحة الطحالب والمعادن والماء .

وأنت تغادر عشك رأيته فجأة . وظلت عيناك مستقرتين على وجهه . أقسم بالله أنه من البلد هذا الوجه البني . والتقت أعينكما في لحظة لاتوصف ، امتزج السواد بالسواد ، داهمك فرح ممزوج بالخوف وبدأ قلبك يدق بعنف . لابد أنه عاش مثلك الاحساس نفسه بل هو طقس وليس مجرد احساس . وأخذت تقترب ... وهو بدوره بدأ يقترب منك . ثم فجأة سقطت الكلمات في أذنك دافئة واضحة بسيطة لكنها تملك سر المعجزات :

– صباح الخير ياأخي .

شهقت وبدأت تتكلم كمن يرتل نشيدا في معبد :

– واحد من البلد ... واحد من البلد ... واحد ... الى أن عانقك .

– ماذا تفعل هنا ؟

– أدرس . وأنت ؟

– أعمل .

واستعنت بيديك وأنت تتحدث .

قلت له :

– متى عبرت البحر ؟

– منذ يومين فقط

اذن فأنت أحق منه بالسؤال عن أحوال البلد ، فجسده لم يتخلص بعد من عرق الوطن . وبدأت تسأل عن سماء البلاد كيف هي ، عن التراب والجبال والناس والشمس والمطر ....

– هل الدراسة هنا أحسن ؟

– نعم هنا أحسن .

وسألك بدوره

– كيف حال العمل ؟

– متعب لكنه مريح .

في هذه اللحظة أحسست أنك يمكن أن تموت دون تراجع دفاعا عن هذا الفتى وأنت متأكد أنه يبادلك نفس الاحساس .

وفجأة قلت له :

– أنت اليوم ضيفي .

لم تتخل عن كرمك وأنت في أرض لايعرف أهلها معنى الكرم .

– أترك كرم البلاد في البلاد ، فهنا الخبز باهظ الثمن على مايبدو .

– لاعليك . عندي علب ثمنها زهيد وطعمها لذيذ .. سترى .

ابتسم لك ، ابتسمت له . ولم تشعر بنفسك بليدا كما يحدث عندما تقف أمام الانسة – مادلين – صاحبة الدكان ولا في حاجة الى تلك الوقفة العسكرية المتأدبة ، التي لاتدري من أين أتتك ، وأنت تقف أمام أحد الاعاجم .

– وكيف حالك مع الغربة ؟

– الغربة قاسية ، لكن كل شيء يهون أمام العيش وفي البيت سألك وهو يبتسم ؟

– أين علبك الزهيدة الثمن ؟

انه لايصدق .

— .. سترى .. سترى .

ثم غادرت البيت وأنت تغني ، لاول مرة تغني منذ أن وطأت رجلك أرض العجم . الان فقط تكتشف كم هي الغربة قاسية وفظيعة ، وكم هي الحياة صعبة في أرض تجهل لغة أهلها . آه يا ابن البلد ستكون لي رفقة جميلة ورائعة سنلتقي كل يوم ، كل يوم . نتحدث بلغة البلد ولا نمل نعد الساعات والايام والاعوام التي مكتوب علينا أن نعيشها هنا مع الاعاجم .

وقفت أمام الانسة — مادلين — . وأشرت الى علبتك أتتك بواحدة . فأفهمتها بأصابعك أنك تريد اليوم علبتين

— عندي اليوم ضيف من البلد .

لم تفهم ماقلت لها . ابتسمت لك . ابتسمت لها .

ثم عدت الى بيتك وأنت تغني من جديد

— هاهي علبي يا ابن البلد .

وانتظرت جوابه مزهوا .

لابد من العودة .

— هذه مصبرات للكلاب ياعلال .

— للكلاب ؟ .

تحولت الارض الصلبة تحت قدميك الى عجين رخو لايمكن أن تستقر فوقه . بدأت تهوي وتهوي الى تحت . وبدت الاشياء كلها في عينيك سوداء تهتز وتترنح كأنها خلقت من جديد هكذا اذن . لست غير كلب بديل وأنياب لايملك حتى القدرة على النباح ..

هاهي الاحلام الجميلة التي أدمنتها في وحدتك . في فراشك وعلى شاطئ البحر تنهار وتتفتت ، تتحول الى رماد بارد لاجمرة واحدة تدفئه — الحاج علال الدكالي — يجد نفسه فجأة مجرد حيوان حقير . عرق بارد كصقيع هذه البلاد الملعونة يتكون فوق جبينك حبات صغيرة تدخل كالابر في مسام جلدك . كلمات . مجرد كلمات بسيطة مجرد رموز خرجت من لبسها وغموضها . فأصبحت كلبا .

— للكلاب ؟ مصبرات للكلاب ؟ .

تحاول أن تتذكر بوضوح وقوفك أمام الانسة — مادلين فلا تحصل الا على صور مقطعة مضببة بعيدة ، كمن يحاول أن يتذكر أحلام الصباح التي لاتترك في الذهن غير أطلال لاتفيد شيئا .

أحسست بالدوار . وكدت تسقط لولا ابن البلد الذي ساعدك على الجلوس . حاول أن يواسيك قال لك .

— سنأكل اليوم مصبرات الكلاب هذه ، وليذهب العجم الى الجحيم .

وبدأ يأكل . ابتسم في وجهك برقة .

— تفضل ياعلال .

لم تكن تسمع مايقوله لك . انها مجرد مواساة . كنت تفكر في شيء واحد ، أن تغادر هذه البلاد المشؤومة تعود الى القرية وعائشة والاولاد .

— سأعود الى البلد .

— لماذا ؟

— سأعود ، سأعود .

حاول أن يقنعك بالبقاء ، لكن هل سيرد لك كرامتك المحطمة ؟ هيهات ياعلال لن يبرأ جرحك الا بالعودة . فأنت مجرد كلب مادمت تعيش في بلاد العجم .

ليأكل ماشاء من هذه العلب اللعينة فلن يخدعك . لن يصبح مجرد كلب كما وقع لك أنت . سيبقى انسانا لانه يدرك سر الكلمات السوداء المكتوبة على ظهر علبة الشؤم .

— يجب أن تبقى هنا . فكر ولا تتصرف في لحظة انفعال . ماذا ستقول لزوجتك وأولادك ؟

— ابق أنت الذي جئت من أجل الدماغ . أما أنا فقطعت البحر من أجل البطن . وهاهو بطني محشو بطعام الكلاب

وتمددت فوق سريرك . تخيلت نفسك فوق حصانك الابيض وهو يعدو ويعدو في الاتجاه الذي تلتقي فيه السماء بالارض ، وابتسمت لنفسك كما لم تبتسم من قبل

— غدا سأعود الى البلد .

ثورة الرّبض



ازداد سنة ١٩٥٥ بالدار البيضاء نشر نتاجاته القصصية والنقدية باسم محرف كالتالي - صويلح - وذلك بـ - البيان - و - العلم - و - المحرر - و - الثقافة الجديدة -

قصة : صويلح مصطفى

حدثني رجل اصطناعي الاسنان ، أبيض اللحية والحاجبين والاهداب ، يرتدي طربوش الوطن وجلبابا من الكابردين الخالص ٠٠ مكرش الجبين ، مرتعد اليدين ومتورم عضلات الاصداع حين يسعل ٠٠ متوقد العينين حين يركز على مؤخرة بنت متسرولة ٠

قال ٠ عن السلف الصالح قيل ، بينما نحن جلوس في حضرة أمير المؤمنين ذكره الله في جنانه بألف قيراط خير ، وكان يطل عبر ستارة شفافة على أكواخ تمتد في قرطبة حتى قدم القصر ، اذا بلون الخمرة المستوردة فيخديه يمتقع واذا به يصعق حتى خاله الخدم والحشم والزمرد وكتاب الدواوين والبساتين والمنجمون والموسيقيون وأصحاب الشرطة والتجارة والعصافير والفقهاء سيموت ٠

تخيلتني كبيرا من كتاب الدواوين ، الامير يصعق ولون الخمرة المستوردة فيخديه يمتقع فأضع راحتي على قلبي وأهتف في سري : ثروتي ، ثروتي ٠٠ ثم أطفق أرشه بماء الورد وأزعق مع الزاعقين والزاعقات ، مولاي مولاي ٠٠

لكنه سرعان ماستدعى هيبته وصبوته فجاءه حمدنا خاشعا راكعا ثم قال : - مابال هذه الرعية ماعادت تلوح بالمناديل حين ترفع البصر نحونا ، ومابال المحارب ماعادت تصدح بالدعاء لنا ، ومابال دخان الحدادين ماعاد يخترق الغمام، ماقولك ياصاحب الشرطة في حامل - اللحظة - بصقت حالما رمقتني وهرولت بين الحوانيت التي ماعاد أصحابها ينادون على الزبائن وهم يغنون٠٠

قال صاحب الشرطة : لن يولد من يكرب فرحة مولانا الامير ، تريد رأس الحامل والرأس المتشكل في رحم الحامل خادمكم المطيع يحضرهما في الحال ٠٠

قال منجم نصراني : الترغيب يامولاي ، الترغيب٠٠

قال الامير : أي ترغيب وخزانتي فرخت وجباية الخراج أصابها الشح فما عادت ترفدها ٠٠

قال المنجم : عفوك يامولاي ٠ فالرأس الذي يريدصاحب الشرطة قطعها ٠ تقول دورة الكواكب ٠ أصبحتتتنازعها المنازع ، الام يروأعداؤه ، وعندما يأمر مولاي بالترهيب فانه سيخسر الضرائب والرأس ، عندما تسقط الامارة في يد أعدائه ٠٠٠ الترغيب الترغيب ، توصيك دورة

الكواكب يامولاي ..

بطربوشه وجلبابه قابع أنا أرشف القهوة بجواره .. يسعل الرجل يسعل . تتوقد عيناه يركز على مؤخرة بنت متسرولة ... مريض ولاشك ياسيدي ، يسعل الرجل يسعل ، أنا معافى أنا ، هبة برد عابرة ليس الا ... يا ابني هذا الرجل ليس أبي ، من صلب المرأة التي تحمل عقد نكاحها لكنه مخصي ، أنا أعرف الحكاية ... أنت مسن ياسيدي وهذه هي سنة الحياة .. يرشني رذاذ بلعومه سأعيش حتى أرى أحفادك ، يخرف . أبي لحام لايتطرش ولا يتجلبب ، كل ليلة تقسم أمي حبة بطاطس الى شطرين وتضعهما على عينيه فيتنفس بعمق ويأخذ يحكي عن الجباه التي يجري من فوقها العرق وفقاعات الزيت المحروق . قل هو الله أحد . الشب المضطهد . تعيش تعيش ياأبي ... يهدأ الرجل فيحدثني ..

للحظات شد الامير مابين حاجبيه وراح يحاور سره في سره ، ثم أشار براحته المطلة من كم قفطان مثقل بأسلاك الذهب وسأل : ومارأي الشرع ..

فقال فقيه مقلم اللحية : ـ رأي الشرع من رأي مولاي ـ

وقال فقيه ثاني ، الاصل في الشرع طاعة ولي الامر

وقال فقيه ثالث : مايقره الامير يقبله الله ..

فعاد الامير الى التفكير ، طلب انفضاض المجلس وعاد الى التفكير . طلب من صاحب الشرطة كتابا بكل كبيرة وصغيرة وعاد الى التفكير . طلب خمرة وامرأة لم يضاجع مثلها قط وعاد الى التفكير، عبر الستارة أطل على الكريان وعاد الى التفكير . في الكريان تراكض العيون . توزعوا على الازقة والساحات ومجالس الفقهاء والطلاب . اندسوا بين الحدادين والخبازين والسقاه ، اختلطوا بالحانوتيين والجنود واللصوص وذوي العاهات .

يسعل الرجل يسعل .. أماما يمينا خلفا ، أينما وجهت ثمة عين تنهشني ، تقرأ حركات شفاهي وخطوط كفي وثنايا جبيني تتورم حنجرة الرجل . تفاجئني فاطمة ببسمتها المشنوقة ، أصافحها .

ـ أهلا فاطمة . تفضلي .

ـ شكرا . مستعجلة .

ـ لم أرك منذ مـــدة .

ـ دنيا .. آ ... يتوزعني الشغل ومكناس والقنيطرة

ـ كيف هي الاحوال هناك .

ـ ذاتيا . المعنويات مرتفعة جدا جدا . موضـــوعيا لاتســـأل .

ـ بلغي السلام عني ، فأنا كما تعلمين لا .. أستطيع .

ـ أعرف ،أعرف . الى اللقــاء .

ـ الى اللقاء ..

وهي تمشي كشمس يرمقها الرجل ويزداد سعالــه ، أشيعها فيقفز الى ذهني كل العشابين الذين يتآمرون على معدتي ... ياصاحبي ليس المشروب ـ بوبس ـ هــو المسهل الوطني الوحيد التعرضه متاجر هــذا الوطن . فهاهم يستخلصون من عشبة الديمقراطية مسهلا وطنيـا جديدا فليبشر كل الذين مايزالون يعانون من معضـلة هضم حاطات دم فقراء هذا الوطن .

يهتز صدر الرجل فتندلق القهوة على زجاج المــائدة وتصبغ مساحة كبيرة من وسط جلباب الكابردين ، أطرد كل العشابين من ذهني وأنظر الى الرجل ، مرضك خطير ياسيدي . يزداد اهتزاز صدره ، لا لا ، يمكنك أن تطمئن ياابني . أطلب له كوب ماء وأرهف السمع .

في اليوم التالي وفيما كان مجلس الامير منعقــدا اذا بجندي من صفوة الجنود يدخل محل حداد ويبادره :

ـ هات سلاحي أيها الحداد ..

قال الحداد : ـ لم أتم انجازه بعد أيها السيد . ـ

وقال الجندي بحنق :ـ أتجرؤ على تكرار ذلك أيهـا الحقير ـ هذه ثالث مرة أسمع فيها منك نفس الرد . ـ .

قال الحداد : ـ اسمع أيها السيد ، لقد رجوتك مرارا أن تمدني بتسبيق ابتاع مايتطلبه صنع سلاحك من مواد فالنار كما ترى لم تلتهب في موقدي منذ مدة ، ولي أولاد وعلي واجبات تجاه خزينة الامير ، ثم اني لست حقيرا كما تدعي أيها السيد . ـ .

فاحتد حنق الجندي وأشهر سيفه ثم أجهز يغمده فــي جنب الحداد وهو يصرخ ـ خذ أيها الوقح ، خذ حتــى تكون عبرة لمن تسول له نفسه اهانة أسياده . ـ.

بيد أنه ماكاد يسل السيف من نافورة الدم الساخن فـي

جنب الحداد حتى أسرع الناس يتجمهرون من كـل الاطراف وتحلقوا يتصايحون · نفضوا أيديهم من كـل الهموم الصغيرة وجاؤوا يتلاهون ، طوقوا الجندي ثـم راحوا يتشاورون ·

— والله لن يحلها سوى الدم — ·

— نحن عزل أيها الصحاب · — ·

— احذروا انكم تذهبون نحو الموت — ·

— اننا انما نذهب نحـو الحـيـاة · — ·

ثم اجمعوا · أقعدوا الجندي وحاكموه ، ثم مالبثوا أن أعدموه ، ثم توجهوا نحـو القصـر ومالبثـوا أن حاصروه · فارتج قلب الامير حينما ملأ سمعه صوت مذعور يقول : — انهم يطلبون رأسك يامولاي — ·

عندها حضرني العبيد محمولا بين رموش شمس أفراح ساطعة في حقول وشوارع نيكاراغوا وايران ·

وحضرني شعبي ··

رأيتهم يضغطونه بين الكعب والحصى يدعكونه ·

وشعبي مصنوع من كبريت ، حقا هو الان مبلل،لكنه لامحالة سيجف غدا ،

حينئذ يشتعل شعبي · واشتعال الشعوب أبدا ليس كاشتعال أعواد الثقاب اليستعملها الحشاشون فهـذي سرعان ماتنطفىء ···

— كح كح ··· كـحـ حـ ح · — ·

— يبدو أنك انتهيت ياسيدي — ·

يكبح الرجل سعاله ويضحك بخبث ، لا ليس بعد ·· فأتقزز وأنتبه اليه ·

طال حصار القصر لمدة طويلة ولم يفلح الرماة وحفظة القرآن والعيون وسدنة المال من الخلف والابـراج والكوى اختراقه ·· فدب اليأس الى مسام الامير وكـاد يمس ،لولا أن تفتق ذهن صاحب الشرطة عن فكرة رهيبة ما ان تفحصها الامير حتى تلبسه بعض الذهول وأمـر بتنفيذها في الحال ·

خفية تسلل بعض الجنود الى الكريان وأضرموا النار في المسـاكن والمحـلات وأقبـلوا عـلى الثـوار يولولون ويتنادبون فهاج الثوار وتشتتوا متراجعـين ، وفجأة وبينما هم ينهمكون في انقاذ الاطـفال والحـوامل والعجزة وكل الاشياء التي الفوها ، اذا بريح عاتية مـن السيوف والسهام والحوافر والرماح تنفخ فيهم من الخلف فلم تبق منهم ولم تذر ·· نطق الرجل الكلمات الاخـيرة وانفجر يسعل ويضحك في نفس الان ، فقمت الى اذنـه وهمست أنه يحكى أنحاملا وضعت في تلك اللحظة ،وكانت بين الحياة والموت — طفلا على جبينه آثار خروق جديدة مازال الامراء والمنجمون يتداولون أمره فلا يغمض لهـم جفن ·

عتروس أم حسن



من مواليد ١٩٥٥ بالقنيطرة ينشر باستمرار ابداعاته القصصية ودراساته الايديولوجية بـ — البيان — وله مجموعة قصصية مشتركة بعنوان — أطفال يكبرون رغم انوفهم — ٠

قصة : أحمد بطا

كجرد صغير ، جرى الولد الصغير في ساحة الدار الكبيرة ، كانت عجيزته العارية بغبرة بالتراب ، وقف يلهث في زاوية الفناء حيث اقتعدت حليمة قطعة حصير ، ترمي الخبز في الفرن ، واعواد الصفصاف اليابس تحاديها من كل جانب. لثغ ابنها كلاما ، وصدره الصغير يتنفس بسرعة كعصفور خائف ٠

امتقع وجه المرأة المحمر بالدخان وصهد الفرن ، وهرولت تنتعل — صندالة — بلاستيك نحو الباب بعدما خبطت فخذيها مرتين ٠ وارتمى الطفل الصغير المسمى « الحسين » على عجيزته الرمادية باكيا ٠ كان يعرف انه السبب ، تركل لحظة ثم مسح مخاطه ، وقام يضحك هامشا على قطة تلصصت اقراص الخبز الطازجة ٠

بعيدا في فدان زيتون ، وقف فلاحون بدأ تعب المساء على وجوههم الشاحنة كشدع الشمس الهاربة خلف الجبل ٠ كانت حليمة ام حسين تبكي وتعض شفتيها ، وتدور حول بئر عميقة ٠

قال فلاح عجوز :

— قلت له مرارا ، ابتعد يا حسين عن البئر ، الفدان كبير ٠ والعتروس صغير لا يفهم قلت له ، يا حسين ، يا حسين ، والله شاهد العتروس نزق لا يفتأ يطل برأسه في البئر ولكن من يسمعك ٠

كان حديث العجوز قد جلب اهتمام الفلاحين المتأخرين ٠ فازدادوا اقترابا منه ٠ وتابع حديثه متجها ببصره نحو حليمة المنزوية قرب شجرة تين ٠

— وجدك كانت عيني على العتروس ، الطفل يتبع الطير اينما طار ٠ وكأنه مفطوم على الطيور لكن ما بيدي حيلة ، وما اظن الا ان العتروس من اصل الجبل — ٠ ثم وجه سؤاله الى حليمة التي كانت تنظر الى البئر كمجنونة تريد الانتحار ٠ — من أي مكان اشتريت هذا العتروس — ٠ واعقب سؤاله بجواب ، وكأنه ادرك ان الجواب ، مستحيلا مؤكدا ان العتروس فعلا من اهل الجبال ٠

— ، حليمة امرأة مات زوجها موتة طبيعية منذ زمن بعيد ٠ الا انها لم تحزن لموته لاسباب لا يعرفها الا القليل من سكان القبيلة ٠ ورغم ان القبيلة ٠

وفي جحور القبيلة عشش البؤس والجوع ، وبعض الامراض التي ليس لها اسماء ، ولا تعالج الا في اضرحة الاولياء والشرفاء ٠ تتطور القبيلة مع الزمن ٠ ويتطور البؤس والجوع لينافس الزمن ولا تفتأ هذه العلاقة مشدودة الى الاذهان وكأن حليمة لازالت تملك نضارة وجمالا يتلمظه رجال

الحياة داخل القبيلة ليس لها مجال اخر يمكنها ان تتطور نحوه ، وكل حدث يغزو العقول ، خارجا عن هذا التقليد فهو غريب . الزمن قوي ! ومن يقهر الزمن ؟ ... الزمن جبار ولا يرحم وما الموت الا انتحارا وهروبا من انياب الزمن . والزمن لايقتل ولكنه يقلب في عرف القبيلة . كانت بعض العيون ترنوا الى أم حسين لتتأكد من رسم بصمات الزمن على وجهها الذي يحمل سمره السنابل .

في هذه اللحظة تنفت ام حسين شعرها كان ساقاها منفرجان بشكل علني قرب حوض البئر العميقة ، مرت اخيلة في ذهنها بشكل هوسي ، جعلتها تردد بين الاونة والاخرى : — فعلها أبن الحرام — .

تكاثر عدد الفلاحين في الحقل . وبدأ التشاور حول الحل ، فمهما كان الامر ، فأم حسين بنت القبيلة ، وحسين سواء أكان أبن حرام أم لا لاذنب له في القضية . — لعن الله الفقر والمصائب لاتنزل الا على الفقراء — .

تمتم عجوز وسط الحشد ، وصاح احد الفلاحين وكان لا زال شابا قويا :

— المرأة وحدانية ، والبهيمة ستموت ان لم تنقذ من الماء ...

تنسمت أم حسين في قول العجوز خيرا هزت رأسها ، فرأت حركة عشوائية قد دبت في الجمع وكأن غايتهم ليست انقاذ البهيمة . فكثيرا ما سقطت نعاج عجول في ابار القبيلة ، والويل ان اصغى مجهود الفلاحين عند خلاص البهيمة وهي تخرج سليمة بدون كسر او عاهة اذ بدونها لن يتسنى لاحدهم أكل لحم جديد ورخيص .

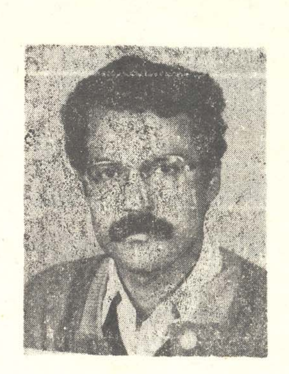
ارتعشت فرائص ام حسين ، وهي تتخيل احدى قوائم — البهيمة — مكسرة . وتقدم ابن الفقيه بسلهامه — السوسدي الخفيف — وصاح في الجمع : « صلوا على النبي » . وحضرت الحبل واشتركت السواعد في الربط والشد . وتطوع ابن الفقيه بالنزول لقعر البئر بعد ان صلى الجمع على النبي مرات عديدة . كانت ام حسين واقفة تلهث كمجنونة . وامتددت ظلال الفلاحين تتطول نحو سياج القصب كأشباح هاربة مدعورة . كان من الواجب ان يخرج — العتروس — سليما . لذا كانت العملية تتقدم باتقان .. القلوب المتهالكة تجتهد في احضانها امنية لذيذة في هذا المساء . منذ زمن بعيد غابت صورة اللحم الطري ورائحته وتحولت فكرة اسطورية في عقول الفلاحين . كان التعب يتبدد تحت وطأة ضخامه ثقل البهيمة المحمولة من اعماق البئر . وكانت الصلاة على النبي تزداد بصرامة كلما احست الكتل الجائعة باقتراب مصيرها

وانطلقت من جوف ام حسين — صيحة — ، ثم عقبها صمت طويل ، بعدما وقف الحشد الغفير يسترجع انفاسه ويتصبب عرقا ، ويحمد الله في اعماقه على الكسر الذي اصاب العتروس في رأسه وكان لابد من ذبح البهيمة قبل فوات الاوان ، وترددت في صمت ، ثم تطورت الى نوع من الحل الحكيم ثم الى مشادات كلمة — وزيعة — وتقدم فقيه القبيلة منتظرا بابنه ، وفي يده قلم يسجل اسماء المشاركين في شراء اللحم .

وتهافتت كلاب جائعة الى الحقل ، ووقفت ترقب من بعيد عملية الذبح والسلخ تحرك اذنابها في عيونها بريق أمل قريب ، كان قد اتبعها لعق براز القبيلة ، ونهش فئرانها . وتهافتت بعض الحمير والبغال تحمل فلاحين من دواوير مجاورة وصلها النبأ .

— كان المساء لطيفا ومنعشا ، جعل رائحة الدم واللحم أكثر جاذبية في خياشيم الفلاحين والكلاب . في هذه اللحظة كان الطفل الصغير المسمى — حسين — ، نائما قرب الفرن على الارض الغبراء ، تحاديه اعواد الصفصاف اليابس ، وقرب عجيزته الرمادية انكمشت قطة صغيرة ترقب نزول ظلام تلك الليلة في فناء الدار الكبيرة .

أزهار الصّمت



ولد سنة ١٩٤٨ بالقنيطرة • تخرج من كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس عام ١٩٧١ أحرز على شهادة الدروس المعمقة في النقد سنة ١٩٧٨ من كلية الاداب بالرباط • يوالي النشر بالجرائد والمجلات المغربية كـ - المحرر - أصدر مجموعة قصصية مشتركة معنوية بـ - اللغة والكلمات الزرقاء - •

قصـــة : عبد الرحيم مودن

ولدت صامتا ، استمع ابي الى شروح الفقيه المعقدة عن مواليد هذا الزمن المشؤوم • مولـود لا يعلن عن نفسه بصرخة او بسمة او ضحكة ، هو من الضالين • ذلك امر لا ريـب فيه ، وحينما انتهى الفقيه من قراءة اوراده ، امتلأ المكان بروائح دخان وهمهمات غريبة ، ثم اندفع بوقفة هوجـاء اوصلته الى فناء الدار المترب ••

احسست بنظرات ابي النارية تلسع قفاي ذات الثنايا الصغيرة • زحف ابي على ركبتيه نحو امي ، ثم التقطني من قدمي ، وضربنـي على مؤخرتـي العارية بكفه الغليظة - وصراخي لا يعلمه الاالله - ضربات متتابعة حتـى نطقت : سأكتفـي بأكلـة واحدة ، وبامكانـك ان تفطمنـي قبـل الاوان ، وسأكبر في قماط من قميصك القديـم •• اماالمهد فهو زائد عن الحاجة ، وسأحترم قيلولتك الطويلة ، وشاظل صامتا ••

وجدت نفسـي في حضن امي ، هزتني برفق ، ناغتني بقطع الحلوى وروائح السمن ، وعبيـر الفطائر حتى غالبني النعاس •• وحينما استيقظت من نومي ، احسست بدفء شريط جلدي اسـود يحضن معصمي ، قالت امي : نجحت في الامتحان • ساعة جميلة اليس كذلك ؟

طوال اليوم ، اخذت اذرع الزقاق جيئة وذهابا ، ويدي اليسرى على خاصرتي ، كنت عاريا الا من ساعة تلمع ارقامها الذهبية تحت اشعة الشمس ، كانت كل ملابسي ! طوال النهار ويدي اليـسرى لاتغادر خاصرتي ، وحينمـا اختفت الشمس وراء الافق رفض العقربان التزحزح من مكانهما ، وظـل كل منهما يتوسد الاخر في الثانية عشرة • هززتها بعنف ، وادرت لولبها المعدني يمينا وشمالا ، ثم الصقتها بأذني اليمنى دون ان تحرك ساكنا • لم تكن ساعة حقيقية ، مزقتها بأظافري ورفستهـا بقدمي ، وانتحيـت ركنـا تابعت فيـه قضمهـا بأسناني قطعة قطعة •

دخل ابي وصرخ في امـي :

ـ هل اكل البغل ؟ !

نكست امي رأسها ، والقمتني ثديها ثم سحبته بسرعة بعد ان رفع ابي يده اليمنى .لعقت فمي بلساني ، واسرعت الى مص ابهامي خوفا من ان يدخلوا في فمي حلمة البلاستيك » .

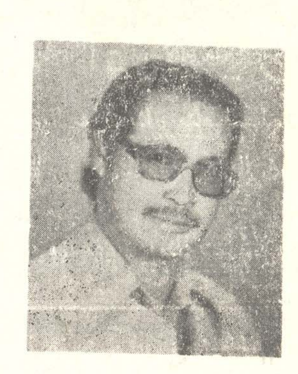
لم يغادر ابي المنزل طوال اليوم ، كان يخاطب نفسه بصوت مسموع ، ويعد اشياء وهمية بأصابع يده ، وحينما اعياه الكلام جذبني بعنف من حضن امي ، ثم قرصني بعنف ايضا ونظر الي طويـلا ، واخيرا دس في كفي قطعة نقدية صغيـرة مخرومة الوسط ، صرخت بصمت ثم انفلتت خارجا. تقدمت من بائع الحلوى المعجون بالسكر و « الجلجلان »ـ
ـ نقود من ايام سيدنا سليمان ؟!

رمى بالقطعة النقدية بعيدا ،ثم لعنني ولعـن ابي بصمت ثم تراجعت الى الوراء وقذفته بهـا ، تلقفها بكفه ، ونادى علـى بضاعتـه وهو يبعد الاطفال المتحلقين حول « صينية » الحلوى ، مر سائل اعمى بقوده طفل مبصر . اقترب الاعمى من « صينية » الحلوى ، دس البائع القطعة النقديـة في كفه الممدودة ثم فرك يديه وابتسم ..

في الصباح وضعت امي في جرابي كسرة خبز وقطعة سكر ودفتر ، كان علي ان اقطع مسافـة طويلة لاصل مدرسة المدينة ، في الطريق ، سخر من قميصي الذي يصل الى الركبتين طائر مر مسرعا ، فوق رأسي ، اما الريح فقد عاكستني طوال الطريق حينما رفعت ثوبي الى اعلى عنـد كل خطـوة اخطوها ، خجلت من نفسي لان مؤخرتـي ما زالت تحمل آثـار اصابع ابي الغليظة ، نظرت الى سحابة فلوت رأسها غاضبة متخذة شكل تمساح ضخم،مما دفعني الى الاسراع في مشيتي التي تحولت الى عدو خفيف .. المدينة .. .. الضوءالاحمر.شرطي المرور يتوسط الطريق بثبات ، ادخل اصابع يده اليمنـى في اليسرى لاصلاح القفازين ، اجـال بصره في سيارات متوثبة ودراجات هوائية خجولة ودراجات نارية مازالت تنتفض غيظا برسم القفاز نصف دائرة بحركة لينـة . يذوب الخجـل وسط الغيظ المزمجر ويتزوبع الـكل فـي دخان ازرق يلتفت الشرطي الى الخلف ، اتداخل في قميصـي الطويل .. يسألني عن ابي وامي وسني وعنواني . يركلني بمقدمة حذائه ويلعـن ابي وامي وسنـي وعنواني ... يجـذب سترتـه الكاكية الىاسفل يباعد ما بيـن ساقيه ويتنهد بارتياح . نفضت الغبار عن قميصي الطويل واديـت التحية بيدي معاثم مرقت كالسهم من بوابة المدرسة في الفصل حدثنا المعلم طويـلا عن البترول الذي اخترعـه العرب قبل اوروبا ، والبترول وقود يحرق داخـل الالة ، والاحراق انواع عدة : احراق قلعة ،وردة ، كتاب ، طفل .. دق جرس الخروج ، تحلق الاطفال في ساحة المدرسة حول صبية كانت ترقص علـى تصفيقاتهم ، كفوا عن التصفيق دفعة واحدة ، ثـم تناوبت ايديهم على نـزع ملابسـها قطعة قطعة ،، اخيرا رفعوها بصخب ثـم قذفوا بهـا خلف سور المدرسة ، امسكت ذيل ثوبـي بمقدمة اسناني ، وعدوت بأقصى سرعتي .. في الطريق المترب شيعني الطائـر بصفير ساخر ، وامعنت الريح في معاكستي امـا السحابة فقد اربد وجهها عندما نظرت الـى السماء ، ولم يتورع شرطي المرور عن صفعي مرة ثانية بعد ان مرقت مسرعا امام لباسه الكاكي .. واثناء عدوى كنت مصرا على ان اظل صامتا .

عبد الرحيم مودن

داخل برج السقوط



اسمه الحقيقي – معروفي مصطفى – وأما مبارك اليزيدي فهو اسم ادبي ، عرفه به قراء – العلم – وقد ولد الشاعر ب – بني ابراهيم – باقليم سطات سنة ١٩٥٩

قصة : مبارك اليزيدي

تعالت الصفارات . كثر اللغط . وضعت الحواجز في الطريق . وقفت الشرطة في حالة استنفار كانت شاحنات الجنود تتدافع في سرب طويل . المدينة خائفة . في السماء طائرة الهيلوكبتر تنظر بعيون ركابها كطير البقر . الليل في المدينة كالزنجي الذي مسخ غرابا وحط على الحاجز الخشبي لمقهى صليب الجنوب . غفت المدينة – خائفة – تحت ستار الليل الرهيب . صديقي رثياء لم ينم تلك الليلة . كان يتناول الكأس في حنوو انسجام نفسي تمنى رثياء لو غرق في البحر . رثياء غاضب . كان كلبي يأكل من يدي قطع اللحم المشوية –بحب – على نار الموقد التي أشعلتها أمي ثم تسللت الى غرفة زوجها لتقضي رغبة مشروعة . الليل اسود كالزنجي . وتهبط أحلام هذا الليل مغلقة بالضباب الكثيف على المدينة الخائفة . نعقت صفارات المعامل . تحركت السيارات الصغيرة . ناحت سفينة برصيف الميناء . ضحك الجنود المتحلقون حول منضدة مقهى صليب الجنوب . مسحوا راس الغراب الاقرع . اشتكى الغراب من حرقة العطش . ضحكوا وسقوه بيرة خاصة . اطفأت السيارات انوارها . تسربت اشباح الليل تبحث في الازقة ، تستمع وتتجسس على البيوت الخائفة والغاضبة . فتحت الباب . كانت الاشباح مكومة قرب الحاجز كأكياس البصل . بصقت في الفضاء . كانت رؤوس السيجارات تتناوم . اغلقت مدينة النساء ابوابها ونوافذها . اطفأت المصابيح الصغيرة والرقيقة التي يسهر عليها الاطفال الصغار فتحت البيوت السرية صدرها لحرارة الليل . كانت الشرطة تحرس – في الخفاء – بيوت اللذة . دار صديقي بوروندا على نفسه . فتح ضلع النافذة . كانت الظلمة شديدة . اعتذر صديقي بصوت خائف وحزين .

– هذه مشكلة . البيت بلا ضوء ولا ماء . انا اعتذر . زيارة كريمة . انا اعتذر ، لا يهم ،

سكت صديقي بوروندا . اسوار مدخل العماره عظيمة وسوداء بظلمة المساء ، كوجه قلعة تركية . صديقي يرفع منظاره ليتأمل الموجودات حوله في ذهول . اعتذر ، دفع كاسا الى شفتيه . رضع منها . أشعل سيجارة ، رضع منها نفسا .

ـ لا يهم . كل شيء في هذه الدنيا ، لا يهم . اتهلا في راسك .

بوروندا يمثل من وراء قناع غارق في المساحيق .

قلبه الكبير يحمل هموم العالم . انفجرت سعاد في وجه حمودة صارخة بالاتهام . انفها الكبير ، في صفحة وجهها الشاحب ، قد احمر من الغضب والغيرة .

قالت بصوت من اعياه التصبر :

ـ أنت تهرب من البيت كثيرا ..

ـ الشغل ..

قرأت هي سطور عينيه :

ـ انك مع الاخرى .

ـ هذا ظن خاطىء .

ـ الخطأ هو الذي تعيشه يا رجل . تشتغل طيلة اليوم وتطلب اللذات ليلا ، لا تستريح قليلا ، لا تتفقد البيت والاطفال .. انك في غيبوبة تامة .

ـ الكل بخير .

ـ انا فاهمة .. وانا ؟؟ ، هل انا بخير من اجلك .. ؟؟

ـ البيت ، بيتك .

ـ هاها ، البيت بلا زوج ، خلاء موحش .

واغلقت اذنيها واتهمته بالخيانة . الغيرة تأكل من حبة قلبها . قناعها شاحب . قوس شفتيها يرتعش . عيناها تأكلان صفحة وجهها ستهجم عليك انفجر البركان تحت قشرة الرأس . كسرت زجاج باب غرفة النوم . انفجرت شرايين يدك تتدلى كعنقود العنب . كان الدم كنافورة قصر البلدية، غزيرا محرقا وساخنا . رفعت يدك الى اعلى رأسك وتذكرت صديقك بوروندا الذي يعيش مشكلته . في البار ، مساء ، عندما عادت الى العمل . قالت له بصوت خائف خافت وحنون .

ـ هو بعينيه ، رآني عندما دخلت الى الحانه .

دخل هو الى حانة بورضو وسكر حتى الموت . فوق المدينة وسطح البحر ، بغرفة ضيقة . لكنها كانت واسعة في اعينهما . كانت هي ممددة على السداري . في صباح الغد ، المدينة الضعيفة تغتسل بقطرات المطر . كانت تضحك وهي تدير وجهها . تدخله في الوسادة ، تغرقه في الصوف كطفلة صغيرة تخجل من نفسها . تلهو بيديها الصغيرتين ، المكتنزتين ، كأنها ترش الماء بهما ولم تجد منشفة ما تمسح بها صدرها . تزم شفتيها الشهيتين وتغرق عينيها في وجهك يا حمودة .

ـ وفي الواحدة صباحا . وقبل مغادرتها الحانة بقليل ، دخل ، وكان ثملا حتى الموت . في نفس الساعة تكاثر عشاق ـ الروج ـ كنت متعبة يا برهوشي وبفارغ الصبر ، كنت انتظر مغادرة الحانة .

ـ انتظري قليلا ، سأعود بسرعة .

ـ الى اين .. ؟؟

ـ الى المرحاض ..

ـ حاضر يا برهوشي الصغير .

وذهب هو الى المرحاض كعادة الناس في المدينة .

في الخارج نبح كلبي . تألمت من اجله . يدي فوق رأسي . هي بغرفتها الضيقة التي تنام فوق المدينة وسطح البحر . بكت امي وتناست امراضها التي اقعدتها ارضا . نهضت وذهبت تطرق الابواب ، استغاثة ، تطلب الاسعاف . اختبأت ام الاطفال . اغمي على الخادمة التي تتكلم الفرنسية بطلاقة . فاطنة أم كلاب تحبني . المسكينة ، ذكرياتها في عيني كشريط سينمائي . كوخها يقع قرب الطريق المؤدية الى حانوت شابلان الذي يتجر في الخمرة ليلا . متناثرة ، هي ، اكواخ دوار اولاد وجيه ، واولاد مبارك ثم دوار الكلب . ذات اغتراب نفسي يعود الى زواجها القديم من فرنسي كان مزارعا بضيعة قرب البحر . كانت ذات عز وتحكمت في مصير ايامها تلك . غير انها لم تنجب اطفالا ، مما جعلها تعكس حبها على الحيوانات الاليفة ، كالكلاب مثلا . وسكنت بهذا الكوخ الذي كان منحة من افراد الدوار . كرهت فاطنة ام كلاب من يومها الاول ان تشتغل ببيت احد اثرياء الدوار .

تزوجت فاطنة ام كلاب ثم طلقت زوجها (المروكي) المغربي الذي لا يحسن النطق بالفرنسية .

لقد احبت عزلتها مع كلابها العشرة . عاشت سعيدة . كانت تحبذ الاشتغال خادمة ببيوت رجال يتكلمون اللغة الفرنسية . وكنت احب كلابها – يوما في الاسبوع – عندما تستقبلهم في ساحة بيتي . كنت سعيدا بوجودها . وكانت تحبنا وتصحح نطق اللغة الفرنسية على ألسنة أبنائي . شعرت بالغربة وانت ببيتك يا حمودة . حملتك الايدي . يدك مقطعة . ارقدتك الايدي . يدك ممزقة الذراع تتدلى لحمتها في ألم . غطتك الايدي . نبح كلبك الامريكي وهو يطارد الكلبات الجائعات .

وبصوت غاضب ، قالت لموني ، لزبون آخر الليل :

– ماذا تريد مني .. ؟؟

قال الزبون بصوت يتسول شيئا :

– هل اتحدث اليك .. ؟؟

– تكلم .

– انا احبك من اربع سنوات،ولكالاطفال صغار. حدثني الناس بذلك .

– من الناس .. ؟؟

– كل الناس ، لا يهم ، حدثوني وكفى .

هي في ضحكات متعالية تصفعه بها :

– اذن .. ؟ ؟

– هل تذكرين باقة الورد التي اهديتها لك في حانة بورضو .. ؟؟ ، ليلتها لم انم ..

هي في ضحكات متعالية تصفعه بها :

– مسكين: يا روحي عليه ..

الجرح لا يشبع من الصراخ . اصفر قناعي . في قنوات عظامي سرت السنة البرودة . ابتسمت لنفسي من وسط مشكلتي . سألت نفسي : (لو تدفق الدم اكثر .. ؟؟ ، سيسكت القلب ، يتوقف عن الضخ نهائيا . استرحت للجواب . خرج ابي وهو يفتل شاربه الطويل . مسح صلعته . تفرس في الوجوه المتحلقة حولي . ضم ازاره الابيض . اقترب مني اكثر . قبل ناصيتي وشد بقبضته القوية على كتفي .

قال ابي بصوت غاضب :

– والكاظمين الغيظ ..

ابي يؤمن بقوة السيطرة على الذات . لا يفتأ يردد هذه السورة حتى سمته جماعة في ترديد الاوراد والشطحات ، بسوق الخردوات ، بالكاظم. نظر الى السماء الفائمة من الخوف واشياء اخرى تلمسها ابي .

اخذني صديقي البيرطو الى المستشفى في سيارته الصغيرة . تذكرت قول صديقي راما : (لم تبحث عني ان لم تجدني .. ؟؟) . وتذكرت: كنت في اجازة . كان الجيب فارغا من النقود . سافر أخي الكبير وملأ بيتي بكمشة أولاد وزوج ثرثارة . الصخب والصراخ . اصبح البيت ثكنة عسكرية او حلقة من حلقات سوق الاثنين .انتفض السكون وطار الهدوء من البيت . وتشاجرت زوجي مع زوج اخي . كنت حكما فاشلا بينهما . هربت بجلدتي من احذية الكعب العالي . طلبت سلامي وهدوء اعصابي بشاطىء البحر . على صخرة (ضرس ابليس) كنت ممددا . المد كان رخاء. زرقة البحر تتأمل السماء بألف عين سرية . الشمس في صدر السماء كوشم ضاحك تحترق . اطلقت رجلي على اخاديد الصخرة اليقظة في حر الشمس . اغمضت عيني وشعرت بنفسي ذرة في الكون المتليء حركة وحياة .

ونزل في هالة من شعاع ابيض شفاف . اقترب مني وقال بصوت موسيقي ناعم :

– لم تبحث عني ان لم تجدني .. ؟؟

– طريقي اليك هي ، وسيلتي – قالت ذاتي –

– قطع حبل الوسيلة وانتظر ..

– آه ، يا سيدي .. آه من الانتظار ..

– أأنت محب ، محب اذن .. ؟؟

– آه ، يا سيدي .. آه ،...

– طبق هذه القاعدة :

١ – استمع

٢ – فكر

٣ – تأمل

وطار في قرص الشمس الضاحكة . هبت النسمة

باردة على خدي تمسح دموع نفسي المحترقة اشواقا. كنت في حلم . ابتسمت لنفسي . كنت انا عين ذاتي .

ابتسم صديقي البرطو . السيارة الصغيرة تجري الجرح يؤلمك يأكل منك بجوع كبير . ملأت رئتي هواء . ابتسمت . دفعت شحنة الاكسجين الى حلقة الصدر ، فمزقت شبكة الالام وهدأت شبكة الاعصاب المريضة . في المدينة فتحت البارات ابوابها. هجمت جماعة سمر الليل متناثرة هنا وهناك

١ ــ حرب النساء ، حرب خطيرة .

٢ ــ الله يلعن دين امهاتكن يا ميكروبات ..

٣ ــ طز عليك دنيا .

نفير السيارات . اضواء النيون ذات مسحة رومانسية تعري الزبائن بالدخول ثم التذوق . الاقنعة نظيفة . لحمة الصدر شهية في مربع من الثوب الشفاف . الشرطة بالباب .

تقلبت الشابة لوني على السداري . غطت وجهها البرونزي ، كأنها تلعب مع احلامها لعبة الاغماءة .

لعقت لسانها الاحمر الصغير بشفتيها . ضحكت، فابتلت رموشها بقطرات دمع رقيق .

ــ ذهب (قالت) وهو يردد : (الوداع يا حبي الكبير ، من اجلك سأبقى ، هكذا ، اعزب ..) ،ثم غنى بصوت سكران (طول عمري عايش لوحدي).

صفقت له ضحكات السكارى الجاثمين حول الموائد في انتظار آخر ليل لا يموت .

١ ــ اشرب .
٢ ــ اسقيني يا مدموازيل ..

صاح صوت بباب الحانة الغارقة في ظلمة زاوية الشارع المنعطف امام الميناء .

ــ لم تأخرت يا ابن الفاعلة .

وتذكر الشاب قويدر ساعة خروجه من غار تسكنه اخته قرب المحطة والحي الصناعي . مشط شعره الطويل . مسح خديه بمساحيق النساء .

ــ انا ذاهب من اجل صيد ثمين يا اختي .

رجل ثري بسوق الخردوات . شكارة كبيرة وزوج لا تحبه .

ــ لا تتأخر كثيرا . الجو فاسد هذه الايام وعلبة البوليس بكل عطفة وزاوية شارع .

ابتسم قويدر . ارتدى سروالا ضيقا يضم الخاصرة في شوق . بلوفر غامق يميل الى لون الشحوب والصفرة .

رفع كم البلوفر الى المرفقين . العينان كحيلتان. الشفتان عليهما مسحة رقيقة من احمر الشفاه . تمايل قليلا ، امام اخته ، على خطوات راقصة. كمشة اخوات بالبيت . الام قوادة تعرفها عيون رجال الليل ، عشاق الردف والمؤخرة . كانت الليلة دافئة ينبيء قمرها الطالع بالفرح . ستكون الحركة كثيرة بساحة الخبازات وعطفة السينما رياض حيث الشبان الذين عادوا من الخارج لزيارة الاقارب والاحباب .

القب والجلباب ودخان الشواء المتصاعد من فتحة دكان المعلم المراكشي . الاطفال والجلباب الذي يرتفع قليلا ، من بين الفتحة يرقص الساق في اشارة خاطفة كوجه عذراء خلف النافذة . انحدر قويدر من الساحة التي تتفرع عنها طرق صغيرة . وبشارع محمد الخامس استقل سيارة اجرة .وكان في الموعد .

ــ لم تأخرت يا حبي ..

مسح الشاب خصلة غلامية . مسح خده وهو يعتذر .

ــ زارني بعض الاصدقاء من الذين يحبون الثرثرة والكتب .

ــ لا تتأخر مرة اخرى ..

ــ لا لن اتأخر .

ــ هكذا تعجبني ..

ويغرق الشارب الطويل في الخد الطري .وتعجن اصابع اليد الخشنة الشمع الاصفر وتقطره بمنعطف الشارع الذي يمر بالقرب من حانة الميناء. فوق المدينة وسطح البحر ، بالبيت الضيق ، فوق الطابق الايمن ، قالت لوني وهي تمسح شعرها .

ــ تفضل تأكل ، ما لك .. ؟؟ ، هكذا ،معبس الوجه كأنك خرجت من القبر .. ؟؟

ـ من عمل صالحا فلنفسه ..
سؤال كالسهم ، قاصف ارتجف على فتحة الشفتين .

ـ كيف اشتريت هذا الاكل .. ؟ ، وبماذا ..؟؟

ـ زبون ، تعرفت عليه ـ كالعادة ـ انه طيب .

ـ كان التعارف بينكما وثيقا .. ؟؟

ـ أووه ، بدأنا الآن ، في شريط الغيرة .

ـ هو مجرد سؤال .

ـ رجل طيب وكفى .

ـ كل الزبائن طيبون . لم أسمع منك أن واحدا منهم معدنه غير طيب .
ـ كلهم طلبوا التعرف عليك وكنت ، دائما ، ترفض .

ـ أجل ، زبائن طيبون .

ـ أنت قاس وقبيح .

نزعت جواربها . كانت ترتدي روبا ازرق . تريكو قصير الكم . على صدرها تتدلى وترقص على اثر كل حركة ، قلادة قديمة ، لكنها عزيزة عليها ، هدية والدتها . اغرقت نظراتي في بن عينيها ، كانت هي تغزل الصوف بلسانها في كلمات ساكتة ..

بساحة الخبازات انتصب (الوجه الدرامي) وسط حشد من الشباب والعاطلين . بصق (الوجه الدرامي) كلماته النارية . كان الوجه الدرامي يتزعم مظاهرة ضد المقصلة التي انتصبت أعمدتها على جنبات الطرق المتفرعة من ساحة الخبازات . القبعات سوداء . هرب الدم من الوجوه . اختفت النظرات تحت ظل القبعات . الوجه الدرامي طويل الاعضاء . اجعد شعر الرأس . في عينيه بريق الاطفال . قوي ، صديقي ، هذا الدرامي الذي تعلم الشعر في ظهيرة واحدة قرب النهر وبين مزارع الاقحوان . في حبة عينية كانت النار تغلي . تحت قشرة الرأس البركان يلعق نفسه . المدينة المكومة على نفسها كدجاجة خائفة ، لاتتحرك أبرقت الشمس بعينها المريضة لمشاهدة هذه الظروف التي يعيشها الوجه الدرامي . اختفت الوجوه اكثر تحت قبعات البوليس ورجال المطافيء . ذعر الصفار . اصفر القناع . جفت الحلوق . التصقت الجلود بالعظام . لعبت الامعاء بالبطون في غرغرة تنبيء بالموت . تعالت الصفارات . طوقت الشرطة الازقة المتفرعة عن ساحة الخبازات . خرج بوروبندا من قلعته لم يرهبه الليل بظلمته . انحدر على السلم المتعرج وسط كمشة ضوء احمر لبار القرية .

ابتسم لنفسه واطلق صوتا :

ـ هذه هي الجحيم .

دوائر الضوء ترقص على عزف صاخب . السقف متحن قريب من رؤوس الزبائن . ودوائر صفراء ، زرقاء هناك على الجدار ، تلعقها الاضواء الحمراء بألسنة جائعة . تمايل جسد بوروبندا الى الامام . تدلت رأسه على صدره . اقترب من الحاجز الخشبي اللامع . اقتربت الشابة بوجهها الشاحب الاصفر بالاصباغ والسهر . قرات سطور وجهه ، حيته . تجاهل بوروبندا تحية البارميد .

قال بصوت غاضب :

ـ اسقني ثم اذهبي الى الجحيم .

شارع الامام علي يغلي بالمومسات واصحاب الحاجة والجواسيس وطلاب اللذة . تعزف الجوقة، ويرقص زبناء مسهم تيار التخفف من اعباء العائلة ومسؤولية الابناء والدنيا . تسبل العيون الجفون. تتفصد المسام عرقا نتنا . من العمل الى حانة الارجل . طريق طويلة ، من العمل الى الحاجز الخشبي ، عندما تكون المعدة فارغة وبالمؤخرة نفايات الليل .

١ ـ كل ليلة وحظها من الحسان .

٣ ـ اطلب الله ، تأتيك الدنيا راكعة على قدميها .

١ ـ ماذا عند السماء ..؟ ؟

٢ ـ عاش البوليس .

١ ـ طز عليك يادنيا يالعابة .

٣ ـ الله يلعن دين القـ ..

٤ ـ اشرب يا صديقي ، هذه ليلة عرسي .

٥ ـ اشرب يا عزيز ، فأني لن اراك بعد اليوم .

٣ ـ الدنيا فاسدة ، كفساد الضريبة .

٢ ـ عاش البوليس .

٣ ـ يفسد الدين عندما تفسد الضريبة .
٢ ـ ماذا تفهم انت في الدين .. ؟؟

٣ ـ افهم في الدين ما لا تفهمه امك .

٢ ـ عاش البوليس .

١ ـ اخرس يا حمار .

٤ ـ الناس كلهم ازبال .

ضحكت الشابة الصغيرة في دفقة صوتية ساخرة :

ـ احنا في الجحيم ، لم تبحث عنه اذن .. ؟؟

بورونيدا في صوت ساخر :

ـ هنيئا لنا جميعا .

ضحكت الشابة ثانية :

ـ احنا في الجحيم .

ـ اسقني ثم اذهبي الى الجحيم .

رقص الوجه الدرامي ، وتصنع الحمق . تعالت الصفارات . تحلقت الشرطة من حوله . غير انه كان ذكيا فتصنع الحمق . رقص وغنى بصوت غاضب . كانت ايام المحن والشقاء تتدافع تحت قشرة الرأس . ابتسم الوجه الدرامي عندما ابتعدت الشرطة . تفرقت المظاهرة . بقيت ساحة الخبازات فارغة ، لحظة قليلة ، ثم هجمت عليها الحركة والحياة النائمة التي تسير عفوا في الطريق .

الصوت الاول : ـ أريد يا ذات الوزن الثقيل ..

الصوت الثاني : ـ انا هيبي متحرر ، لا اعرف الله ولا احب الفقهاء .

الصوت الثالث : ـ انا متحرر لا اصلي ولا اصوم ، أنا في عرضك ياشابة ياجميلة ..

الصوت الاول : ـ انا دائما انتخب بـ (نعم) . انا اخوك في الانسانية . لا وطن لي ولا دين .

الصوت الثالث : ـ انا حيوان يا ذات الوزن الثقيل ..

تعالت الصفارات . صاح غراب مقهى صليب الجنوب من العطش . مسح الجنود رأس الغراب الاقرع . سقوه بيرة خاصة . كان الليل دسما كبقعة زيت على وجه المدينة .

حاولت ان اتناسى المي . كان الالم قويا .
صاح صديقي بوروبندا :
ـ اسقني ثم اذهبي الى الجحيم .
ـ أحنا في الجحيم ..

في البيت كان الكلب يرتع في الساحة . كنت ممددا على السداري كخشبة ميتة . كانت امي تطلي قروح رأسها بالحناء . بداخل المرحاض كان الاب يغتسل لصلاة الجمعة بمجسد (الزاوية) درقاوة .

نافذة غرفتي ، كانت ، مفتوحة على بقعة من سماء غائمة بالسحب . تحركت السحب قليلا . البحر يثرثر في الشاطىء البعيد . الاخرى تحت قشرة رأسي تضغط على اعصابي . انا كالميت. على السداري جسد مغطى بأزار أبيض . الذراع ممددة ، مسترخية في اقماطها كطفل رضيع .الحمى والالم والاخرى في صدري تفتق الورد . كنت وحيدا . تشققت السحب شيئا ما . ووجدته امامي في غلالة نور سمائي ازرق ، اصفر ثم احمر .

ـ لم تبحث عني ان لم تجدني ..

ـ وجدتك يا سيدي ..

ـ وكيف وجدتني .. ؟؟

ـ طيبا وبسيطا داخل ذاتي .

ـ الآن اتقنت القاعدة ، اتذكر .. ؟؟

ـ نعم . لم تبحث عني ان لم تجدني ..

ـ الى اللقاء .

ـ أجل ، ان لم تجدني ..

وطار صديقي راما في غلالة الضوء الشفاف الاصفر القاني . كنت وحيدا . وفي حلم الدماغ المحموم ، كان راما ، يركب حماره الاشهب ويسافر عبر النجوم .

مبارك اليزيدي

شيء كالرعب

قصة : محمد صنوف

وفرك عينيه ثم حدق في الساعة المثبتة على الحائط .. غريب امر هذه الساعة ملأها .. هو متأكد من ذلك وعقرباها لا يتحركان .. اطال التحديق وأعتقد أن تحديقه لم يدرك الدقيقة بعد ..

تأكد من جمودها ..

انسل من تحت الغطاء الدافىء .. واستغرب للسكون الهائل السائد هذا الصباح .. اول مرة يستيقظ دون ان يوقظه صوت محرك .. او بائع اسماك .. او صياح سافل .. او .. او ..

« سبحان مبدل الاحوال » .

رغبة جامحة في دس جسده في بركة ماء دافىء يبعث في اعضائه نشاطا يحتاج اليه هذا اليوم ..

ادار لولب الحنفية .. سمع صوت قطرات ماء قليلة تتزاحم .. ثم تندلق في الحمام .. بعدها تظل الحنفية جافة ترفض اسراف المزيد من الماء ..

.. في انتظار الماء فكر في الاستماع الى اغنية لا يشك في مفعولها المعنوي .. مد يده لالة التسجيل .. رفضت ان تتكلم .. ليتأكد من وجود الكهرباء ضغط على زر الانارة .. رفض الصباح ان يبتسم ... لا ضوء — لاماء — لا ضوضاء ...

ماذا حدث ؟؟ ..

لافطر اولا ..

في المطبخ لم يكن هناك شيء يحضر منه طعامه .. الذي ادهشه ان دزينة البيض اختفت من مكانها في الثلاجة .. وان قنينة الحليب هي الاخرى غير موجودة ..

اذن فالاخرج الى الشارع ،، ولاطعم نفسي في احد مقاهيه ..

ما أن أطل على الشارع حتى فغر فاه من الدهشة والاستغراب .. كان خاليا من كل شيء ..

هذه الغرابة ..

اليوم احد .. اكثر الايام ضجيجا في الشارع .

لا سيارة .. لا دابة .. لا انسان ..
المقهى المجاور لبيته مغلق ..

مشى خطوات علّه يعثر على هيئة بشرية ..

لا احد ..

لا احد ..

العالم رحل وانت نائم ..

اطلق من انفه ضحكة على نفسه ..

ثم .. ركض عائدا الى بيته ..

لاتأكد من وجود الجيران على الاقل ..

طرق باب الجار المباشر .. ظل يطرق يكبر الاستغراب .. يكبر الرعب ..

وبـدأ يطـرح تساؤلات هـل هـو في الحلم أم في **اليقظة** .. ؟

اندفع بكل قواه مصطدما بالباب في محاولـة فتحه .. انفتح الباب .. الغرف مرتبة ترتيبا عاديا .. والاشخاص غير موجودين ..

طرق ابواب كل الجيران .. فتح كل الابـواب بعنف .. لم يكن هناك احد ..

في الشارع كانت الشمس تقبع في كبد السماء .. رفع بصره اليها .. كانت هي الشمس .. والسماء صافية الاديم كعادتها في مثل هذا الفصل لكن الغريب ان لا احد في الحي .. حتى القطط التي كان يتمنى ان تنمحي من العالم بسبب مواءها المزعج والذي لم يتحمله يوما .. بدأ في البحث عنها ..

بدا يركض في كل اتجاه وفي لا اتجاه .

صرخ : ....

ـ اينكم يا اهل الحي ؟

صرخ بأعلى صوته .. ولم يسمع صراخه ..

همس : .. ..

ـ غريب ..

وسمع همسه ..

اتجه نحو عتبة احدى المؤسسات .. وجلس .

اغرورقت العينان بالدموع .. وانتحب فـي صمت .. لاعنا نفسه وجوده .. اين كنت عنـدمـا ارتحل العالم ؟ ..

وفي شبه غيبوبة ظل مستندا ظهره الى بـاب المؤسسة .. كانت الاشعة تتلألأ على زجاج الباب في هـدوء ..

مد اصابعة ليرى انعكاس الاشعة عليها ..

تآكلت الاصابع .. تقلصت في سرعة لم يتبين معها ان كفة اخذت حجما اصغر .. لم يحس بشيء كالاحتراق .. كان كالمخدر ..

جذب يده وظل يتأملها ، بأصابع يسراه تحسس منابت الاصابع المبتلعة .. التصقت الاصابع بمنابت الاصابع ..

وصار يصيح في رعب ..

وركض هاربا من الاشعة ..

ثم توقف عن الركض في ملتقى طرق فارغ .. الاضواء المنظمة للسير كانت ميتة والسير كـــان منعدما ..

ماذا حدث ؟

مـــن يســـأل ؟

اعاد سؤاله الصارخ ..

اينكم يا اهل المدينة ؟ .. اينكم يا اهل العالم؟.

لكنه لم يسمع صراخه ..

عندما همس ..

يسمع همسه بطيئا يتسرب الى اذنيه وكـأنه محمور .. اي طريق سياخذ . ؟

البحر هي الاخرى تعاني ما عانته اصابع يمناه لانتهى يمناه في تضامن غريب ..

ركز بصره على هذا المشهد الجديد ..

لو كانت الاجساد المروضة للاشعة على شطآن العالم منذ زمن طويل ..

عندما قرر ان ياخذ الطريق الذي عن يمينه لم يكن هناك طريق ..

وجد البنايات اصطفت على رصيفين .. ووجد

نفسه واقفا في الزقاق الضيق الذي تكونه المسافة الفاصلة بين الرصيفين ..

وامتد بصره باحثا عن نهاية الطريق .. تاهت النظرة .. ولم ينته الطريق .. اين سيجد بيته ؟ كيف سيعثر عليه بعد هذا التغير الغريب اللا متوقع. وهذا الصمت المخيف ..

قال له اخوه :

ـ اتدري كيف ستكون نهاية العالم ؟

ـ لا شك انها ستأتي نتيجة حرب نووية بـ ين العملاقين ..

قال ابوه ...

ـ ستطلع الشمس من الغرب ... .. وتخسف بنا الارض ..

ضحكا من كلامه ..

عقـب الـولد ..

ـ ضحككما من علامات الفناء ...

لكن اين انا يا هذا العالم ؟؟ اين انت ؟ ايـن اصدقائي .. واهلي ؟ ولماذا هذا الضياع ؟ لم تأكل الشمس اللحم البشري .. ولم ؟ ..

ظل يتساءل حتى انه لم يعد يعي ما يقول .. اغبياء .. اذكياء .. منافقون .. اريد ان اموت ..

ويركض عبر الزقاق الطويل املا العثور على بيته .. ركض كثيرا .. لم تتلاحق انفاسه .. لـم يتعب ..

استغرب ايضا ..

ثم ادرك انه كان يركض في مكانه .. لم يتحرك خطوة واحدة .. لا ... الركض لم يعد يجدي .. اذن فلامش .. فلامش .

حاول ان يمشي لكن ساقيه رفضتا التخفيض من سرعتها .. ورأى نفسه يركض دون هواه ..

يا هذا العالم الاخرس .. اقتلني وارحني ..

اجبني .. فقط اين انا ؟

اراد ان يتوقف عن الركض ... لم يستطع .. سأل :

ـ الى متى سأظل هكذا ؟ الى متى ؟

تقاربت المباني مضيقة من ساحة الزقـاق .. سأسحق .. سأسحق ..

.. اريد ان اموت .. اريد ان اموت .. الا تعلم انك ميت منذ الميلاد ؟ .. قالتها صديقته ..

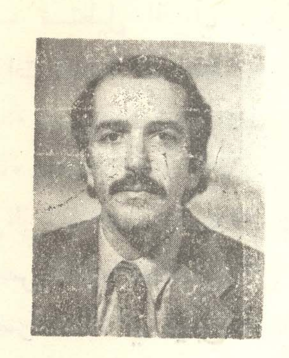
رفض ان يعيد الى ذاكرته اقوالهم يريد فقط ان يخرج من هذا المأزق .. انه يحلم .. لا لكنه استيقظ من شبه هذا الصباح ..

انه لا يحلم .. كم يود لو كان يحلم يا ليته يحلم لكن متى سيوقظونه من هذا الكابوس ؟

سأعتبر نفسي نائما اعاني من حلم مزعج منتظرا لن تمتد يد الى ايقاظي .. فمتى تمتد هذه اليد ؟

متى .. متى .. ؟

حوار في لحظة الصفر



من مواليد القصر الكبير سنة ١٩٤٥ تابع دراسته وأحرز على الاجازة الادبية ١٩٦٨ ويحضر الان اطروحة جامعية عن الفن القصصي المغربي لنيل شهادة الدروس العليا ٠
أصدر مجموعتين قصصيتين ، الاولى سنة ٧٦ بعنوان - انياب طويلة فيوجه المدينة - والثانية عام ٨٠ عن اتحاد كتاب العرب بدمشق تحت عنوان - دائرة الكسوف - ٠

قصة : مصطفى يعلي

تقعر الزمان ، وتشكل صفرا ضخما ٠ خرج من تجويفه المترهل فلان بن فلان ٠ لم يكن مفاجأة أي ٠ كنت انتظره منذ زمان ٠ انشق عنه الجدار ، أو طلع من الارض ، نزل من السماء ٠٠ لا يهم ٠ المهم أنني تخوفت اكثر ٠ أحسست باللسع ٠ تشكلت أنبوبا محشوا برعب هائل ، لا يدانيه الا رعب من يترقب حكما صاعقا من أشداق القاضي ٠ والحاصل ، انني وجدته قد تغير كثيرا ٠ تجعد وجهه المدور ٠ شاب فؤاده ٠ ثقلت حركته ٠ ملامحه تعكس بؤس تلك المدينة المريرة كالحنظل ٠

وانت ، ألا ترى وجهك في تدوير المرآة جيدا ؟ لسنا سوى عليق ينبت هكذا ولا يورق ٠ جافا ينبت ويبسا يصير ٠ الا خبرني يافلان بن فلان ، بما آل اليه عش الهم والغم ، الذي خلفته ورائي ، منذ شع في ظلام الاعين ضوء قزحي ممغنط ٠ كيف حال قرميد الاسطح المقوسة ؟ ٠ وماذا حل بالدروب الملتوية المغلقة ؟ ٠ فهل أصلحت حفرها ؟ أم ان رائحة الماء الحار ما انفكت تفوح ، كما لو كانت تصدر عن جيفة ؟ ٠ وما خبر اطلال ليلى العامرية وكيف هي احوال مطرب الحي الذي خلعته العشيرة وهل اجتاح الاسمنت والرمال ، هناك ايضا ، كل الحدائق والبساتين المطوقة ؟ ٠ وبراعم العليق التي اكل الذباب مأقيها ، ماذا جرى لها ؟ من عمي ؟ ومن ذوى ؟ ومن التهمته الغيلان ؟ ومن أفلت بالصدفة حين سحره قزح ؟ ٠ والاخرون ؟ أقصد الشلة ٠ أتفهمني يافلان بن فلان ؟ ٠ من سمن منهم كالبقرة الهولندية ؟ ومن لايزال يركب أحلام أبي در ؟ ٠ أي ، لو كوس الحبيب اما تزال وفيا للمدينة العجوز ؟ توالي فيضاناتك الموسمية المباركة ٠ تغدق (الشابل) على عشاقك ٠ أم انك انت الاخر قد امتصت مياهك السنوات العجاف ؟ ٠ ياضيعة من أعياهم انتظار المواسم الاسطورية الحافلة بالزرع والضرع ٠٠ اليس كذلك يافلان بن فلان ؟ أعرف جوابك مقدما ومؤخرا ٠ أكيد انك تدمدم

في اعماقك : « ومع ذلك ، فطوبي لمن غرقت ارجله في غريدك يالوكوس ويافوز من تمتلىء خياشمه بعبيرك .. » .

ان شئت الحقيقة يافلان بن فلان ، فكم انا مترع شوقا الى تراب الحارة . الى حديث بقالنا البسيط . الى ترهات الشلة المحببة .. ابطال هم في عذابهم في احلامهم . في اقامتهم . كنت احس دائما ان قرونا بأكملها تفصلني عنهم . في الايام الاخيرة ، اصبحت اشعر ان الزمن قد تلاشى بيننا . ألا فلتقبل ، نيابة عني عتبة دارنا . كل الجيران . بل كل الناس . مع كل الاركان . زر قبر جدتي ، واسألها ماذا حدث للسندباد حين تحركت به الجزيرة ، واكتشف انها حوت هائل ..

ارثني يافلان بن فلان . لقد انطفأ قوس قزح. وهما كبيرا كان . خدعة خبيثة ثمنها ضياع عمر ، منبتا بلا جذور . بين وجوه تفقد رونقها بسرعة ، كمعروضات واجهة مرتبة بلا ذوق . داخل معصرة فغرت حلقومها لتتلهى بحصرى بتفتيتي بتسويتي دمية مهرجا حبة فلفل متفسخة .

« أنت اخترت . اما هناك ، فقد عز على الجميع افتقادك . وهم ما فتؤا يذكرونك بأسف خصوصا وانهم كانوا يأملون في مواهبك كل خير »
— صورة براقة صالحة للاعلام مثلا ؟ .
« بل اطارا مهما . يصلح خريطة المدينة . يشرح الاجسام . يحتلب الانساغ يخطب يتحدث بالنيابة » .

انظر يافلان بن فلان . الان من الطابق الخامس ، يبدو الفضاء الشاسع غائما داكنا كجناحي غراب . النمل تحت يغلي دما وأعصابا حديدا وبنزينا . الدمى متهالكة على الكراسي . تنتشي باللهب في حناجرها ، والبراكين في أدمغتها .. ماذا في استطاعة العليق ان يفعل امام جبال المغناطيس ؟ أجب يافلان . كان كل شيء معلبا بالاحلام . كل صخر . كل خشب . كل مسمار . كل عظم .. كلها كانت أجنة فرح . والعالم رحيق من الالوان الساطعة . عنفوان من اللذة . فيجرى التائه وراء ملكة جمال الكون . السراب الموعود . هل مررت ذات يوم بصحراء يافلان بن فلان ؟ . هل عاينت كيف تستطيل الفيافي ؟ وتستطيل ذرات موصولة بذرات قوافل اثر قوافل قل . ؟ وفجأة ، ينطفي قزح . تعرج صلب الماضي والحاضر . تساقط الاباء واحدا واحدا أوراقا يابسة في خريف مستمر. قيل لي ان الحارة اصبحت في حوزة الارامل . اطفال الامس شابوا مبكرا . كل هذه القرون كنت حاضرا هناك في غيابي ، اقاسم المدينة المحدود به شيخوختها المعذبة . أصغي الى نبضها الواهن . أسأل . فتحمل الي عجلة الايام ، عبر صريرها وحشرجتها مأتم ، واخبار تنتمي الى ما قبل ظهور الطباعة .

« كنت دائما تؤكد :ان المدينة العجوز قد نسيها التاريخ . اصبحت جبة ضيقة وعتيقة في نظرك . توجعك . تحدك عن الحركة . تحكم عليك بالشيخوخة المبكرة .. ولا تكف عن الشكوى : الغبار غلالة لجدران البيوت التي لا يغادرها الظلام طيلة السنة . الوحل الدائم حصير شيطاني . لا يكاد يتخلى عن الطرقات حتى في فصل الصيف ، حيث تتحول المدينة الى اتون استوائي . الناس قطع متحفية نادرة من مخلفات العصور الحجرية الاولى .. وتحتج : أليست هذه العجوز هي حاضرة الوطن الاولى كما يدعي عشاقها ؟ . لماذا اذن ، يحكم علينا ان نعيش في قفص عمره ماءات القرون . ومساحته ثلاثة كيلو مترات معقوفة ؟ . انها احبولة حقيقية مسدودة

كالصفر . ولم تكن الناس الساذجة بالنسبة اليك ، الا انشغالا عن الموت الذي يمرح في الوحل والغبار ويتناسل بين عناقيد الذباب في اطمئنان . واخيرا كونت لنفسك حكما نهائيا على المدينة البئيسة . ونعيتها : شغل هذه المدينة العجوز المقيتة ان تفح التقزز في وجوهنا ، والتفاهة في حياتنا انها تابوت هائل ...

خالفت الجميع . حاولت ان تكسر القاسم المشترك بينك وبين الدواجن كما تعودت ان تقول ولم تجرب ان تلوى عنق المدينة الدجاجة على الاقل لتفهمك ، وتبادلك عشقا بعشق . بل طلقتها ثلاثا قبل كتابة العقد اقسمت لتشقن بطنها وتتدفق جنينا بكرا : طرحت الجبة . أطلت شعر رأسك ولحيتك ترنمت بموسيقى الاسلاك والالكترون . رطنت بكافكا ، وسارتر وماركوز وبارت .. سهرت ليالي السبت . ركبت صحنا طائرا ، لا ينزل الى التراب ابدا .. ابوك أكثر من الحوقلة والتشهيد . امك ضاعفت من صلواتها وبكائها . جدتك امتنعت عن اتمام قصة السندباد لاخوتك ، وماتت . قال الناس: هذا الزائغ يخالف ليعرف . فبصقت في وجوههم : حمير .. ثم غادرت . حسبت انك تخلصت من قمقم القرون الوسطى . رميت بنفسك في حرب داحس والغبراء زاعما انك ستغير الاطوال والاعراض . ستطير بالكرة الارضية الى مجرة مجهولة ، مذهبة كواكبها . لم يشفع عندك عبير البرتقال . ولا بساطة الحشرات الاليفة . لا هدوء الازقة ساعة القيلولة . ولا وشوشات الحسان خلف الابواب والنوافذ . لا انين الدهاليز المظلمة . ولا قطف التوت ، وحلب المواعز .. الا ترى ان ذلك لا يحدث عادة سوى في القصص او في السينما .

— كفى يافلان بن فلان .. والاطوحت بك من هذه الشرفة .

« لا تنفعل هكذا .. هناك أمر واحد لم تفعله حتى الان .

— وهو ؟

« ان تتبخر الى عنان السماء .. »

— سحقا لك ولي ..

لما انجذبت الى هذه المدينة الشابة ، المصابة بالزهرى والروماتزم المزمن ، انزرعت في زمنها . كان قد اجتاحها القطب المتجمد الشمالي . غير انها كانت لا تزال تبدو عروسا متوهجة اشعلت نار القرى للاحذية الثقيلة ذات العيون الزرق ، والشعر الاشقر . كانت قنينة خمر مشعشعة . لكنها محرمة على اهلها المعلبين في الدواوير جلطة من النفاية .. في البدء كنت رغبة جامحة . وددت لو أغير جلدي وعصارة مخي . وفي الختم كان العجز . فلم املك الا ان انضم الى السلاحف المصابة بالكساح على كراسي المقاهي والبارات . أمعائي تجتر شظايا زجاج الشعور الحاد بالخسارة والهباء ، عطل كل اهتمام اخر . لم يكن الجواد الذي انطلق من جوانحي يوم ولدت ، يعلم ان العالم موشوم بكل هذه الضراوة .. حينئذ ادركت بفيض ، كم كنت احب المدينة العجوز . حبي لجدتي الراحلة . دون ان اجد من ابوح له بحزني . كانت تسكن مفاصلي كحمى المتنبي امرأة من الخدر . ماثلة دوما في حياتي أدمن مغازلتها ولا أملك الا أن أحبها بشبقية متفاقمة . لكنني لا أجرؤ على الاقتراب منها ، لاتشمم شعر مفرقها . من الداخل كان ينتصب الحذر . فأصير قيسا المحروم من ليلاه لا أكف عن مناجاتها : صغيرتي عجوزي . نافورة الكوابح . مرضعتي الكسل والخوف . النعيم في البؤس ، والبؤس في النعيم . وما تيسر من طموح

سلاما وخصاما حتى مطلع البرق •

« وماذا فعل قيس كل هذا التاريخ ؟ • »

ـ سيسؤك يافلان بن فلان أن اذكر لك انني شربت انهارا وأنهارا ملونة •

« وماذا آخر ؟ • »

ـ غرقت في بئر الثرثرة •

« وماذا ايضا ؟ • »

ـ تفرجت على أفلام الكـوبوي ، وجيمس بوند ، وهرقل ••

« وأيضا ؟ • »

ـ ناطحت الدببة •

« وما الفائدة ؟ • »

ـ اجيبك بسؤال يافلان : ما الفائدة مـــن السراب ؟ •

« الا تفكر في العودة ؟ • »

ـ من السراب الى الوهم •

« بل من الوهم الى الحقيقة • »

ـ هراء •

« طول حياتك ستظل معقدا »

ـ احتفظ انت باستقامتك يافلان بن فلان •

« سواء هنا او هناك ، فلن تستطيع ان تدرك أنك منحوت من طين • لا فائدة ••

ـ تماما • لا فائدة ••

« منك •• فقد اتيح لك مالم يتـــح للكثيريــــن غيرك • »

ـ بل لا فائدة من كل العليق الثرثار •

« مصيبتك أنــك لاتعقــل متى ينتهــي الليــل ومتى يبدأ النهار • لعلها البحار الملونـة فعلـت فعلها •• » ـ ••• أو لعلها المنزلة بين المنزلتين •

« الان ادرك ان الغريب غريب حقا • »

ـ اشرب كأسك يافلان بن فلان • وانظر تحت الى الشارع الطويل العريض • تأمل ، ثم اضحك أو ابك •• تحت كانت عجوز بدوية ، تتهالك فوق حمار شامي يتحرك بالكاد ، وهو يتبرز باسهال على الاسفلت الاجرب ••